غيض من فيض

مِن ذاكرة المؤرِّخ الأديب الحاجّ

مُحمَّد حُسين الشَّيخ علي الرَّمضان

غيض من فيض

من ذاكرة المؤرخ الأديب الحاج محمد حسين الشيخ علي الرمضان

سلمان بن حسين الحجي

رقم الإيداع: ٣٦٣٠/ ١٤٤١
ردمك: ٨ - ٢٧٦٣ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطَّبْعَة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحیم

تقديم

حظي التاريخ الشفهي في حياة الشعوب العالمية بمكانة كبيرة، واهتمام واسع في الحث على رصده وتدوينه، وعملت المراكز الكبيرة التي تخصصت في كتابة كل ما يتعلق بالتاريخ الشفهي، لما يحمله من أهمية في التعريف بمسيرة المجتمع، وما تخللها من أحداث ومواقف، سواء كانت سعيدة أو محزنة، ارتبطت بمسيرة البلاد بشكل عام، أو بشخصيات محددة كان لها أثر في حياة الناس ونفوسهم.

ولعل من مكامن أهمية التاريخ الشفهي، أن هناك الكثير من الأحداث والتفصيلات والمواقف قد أغفل المؤرخون عن كتابتها، أو كتبت من وجهة نظر واحدة، بينما هناك معالم ورؤى جديرة بالاهتمام والعناية تستحق أن ترصد وتدون، كما من حق الشعوب أن تتعرف عليها وأن تطلع على معالم تاريخها الغائب أو المغيب.

ومنطقة الأحساء من المدن التي تمتلك إرثاً حضارياً وتراثاً واسعاً في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، لم يدون ويسجل منه إلا النزر اليسير، وما بقي مغيباً في قلوب الناس وصدورهم يشكل الشريحة والقسم الأكبر، ومن هنا تكمن وتأتي أهمية العناية بتاريخ المنطقة

الشفهي ممن عاصر الحياة الاجتماعية وكان جزءاً منها، أو كان ذا تأثير في بعض أحداثها، أو سمعها من الشخصيات المواكبة لها.

ومن الجدير التنبيه إلى أنه ينبغي تحري الدقة في اختيار الشخصيات وانتقائها بحيث يلزم أن يكونوا، ممن يمتلكون ذاكرة قوية، ودقة في نقل الحدث والصورة دون شوائب أو زيادات قد تخل بنقل الحقيقة أو تشوه صورتها.

ومن هنا تأتي أهمية اللقاء مع شخصية الرجل العملاق، والأديب البارع، والراوية الكبير، الأستاذ المؤرخ الشاعر محمد بن حسين الشيخ علي الرمضان (أبي سمير)، الذي يعد أحد أبرز الشخصيات الأدبية في تاريخ الأحساء المعاصر، ومن أكثرهم وعياً بالتاريخ وإلماماً به، قضى معظم حياته بين الكتب والغوص في بطونها، شخصية نهمة بالقراءة، تمتلك نظرة ثاقبة للأحداث، وقدرة على التحليل وتفكيك الحدث إلى عناصره، فهو ليس مجرد ناقل للصورة والمعلومة، بل يمتلك القدرة على تصويرها بكل تفاصيلها بدقة، لدرجة أنك تشعر أنه يتكلم عن أمر وقع بالأمس القريب، فتشتم معه عبق الماضي ورائحته، وتسرح بخيالك، وتعيش معه التاريخ بكل تفاصيله.

نعم، إنه العم أبو سمير الرمضان الذي ربطتني به علاقة وطيدة تمتد لأكثر من خمس وعشرين سنة، بدأت فصولها عندما فكرتُ في الكتابة عن جده الشهيد الشيخ علي بن الشيخ محمد آل رمضان (الشاعر علي الرمضان طائر الأحساء المهاجر)، وكانت معرفتي بالشخصية ضعيفة، والمعلومات حوله شبه معدومة، لم أعرف كيف أبدأ؟! أو من أين؟!

خاصة وأن شخصية الشاعر الشيخ علي الرمضان مضى عليها قرابة قرنين من الزمن، ضاعت معظم معالمها التاريخية، والمصادر المرتبطة به مفقودة، أو غير متوفرة -بالنسبة لي لا أقلاً- إلى أن وفقتُ في أحد الأيام وبجوار السيدة

زينب عليها السلام بأرض الشام، وتعرفتُ على العم أبي سمير الرمضان حدود سنة ١٤١٠هـ، وقد قيل لي أنه من أحفاد الشهيد الرمضان، وهو أكثر من يخدمك حوله.

تعرفتُ عليه فوجدتُه رجلاً متواضعاً مرحباً بكل حديث مرتبط بالأحساء، فقد أذهلني بثقافته وسعة اطلاعه على تاريخ الأحساء وأعلامها، فصرتُ أزوره كل يوم فترة إقامته في السيدة زينب أتبعه كظله، أصغي وأدون كل ما يتفوه به، فشعرتُ أني وقعتُ على كنز وشخصية لم أتعرف على مثلها من قبل.

وعندما سألتُه عن جده الشهيد أعطاني معالم عن حياته وشهادته، ووعدني بالمزيد لو زرته في منزله بالدمام، وفعلاً رغم أني حينها شاب ناشئ في عالم الكتابة ودهاليزها، فقد زودني بمخطوطة الديوان بقلم أخيه المؤرخ الكبير الحاج جواد بن حسين الرمضان (أبي حسن)، والذي لم أكن أعرفه حينها، وزودني بكل ما يتعلق به من سيرته، ومعالم حياته، وقصة شهادته، وما قيل في رثائه، وأعلام أسرته، ومكانة والده، فكان هو المصدر الوحيد والوحيد لكتابي «الشاعر على الرمضان طائر الأحساء المهاجر»، إلا المصادر المتعلقة بالجوانب الفنية، والتفصيلات الخارجية، عن أساتذته، أو التحليل لشعره، وغيرها.

فأنا مدين له بالكثير الكثير من الفضل، فهو يدهشك بتواضعه، وبطيبة أخلاقه، مع زخم كبير من المعلومات التي لا يبخل بها على أحد.

ولا يفوتني أن أشير إلى الكاتب والمؤرخ المتميز الأستاذ سلمان بن حسين الحجي، الذي نذر نفسه لرصد التاريخ الشفهي بمختلف تفصيلاته، فكان له كتاب «هكذا وجدتهم» وهو من أهم مصادر التاريخ الشفهي في المنطقة، وكتاب «أمالي الرمضان بقلم سلمان» الذي رصد فيها عصارة مجموعة من اللقاءات مع المؤرخ الكبير الحاج جواد بن حسين الرمضان، إضافة إلى سلسلة

من المقالات الرائعة والمدهشة عن «سكك الرفعة الشمالية وأعلامها» رصد فيها أدق التفاصيل مخلفاً زخماً كبيراً من التاريخ الشفهي القيم يُعد مصدراً لا يمكن تجاهله أو التغافل عنه لكل باحث ومؤرخ في الحياة الاجتماعية للمنطقة.

ويطالعنا اليوم بكتابه القيم الذي رصد فيه عصارة لقاءات مع الأستاذ والأديب الكبير محمد بن حسين الرمضان (أبي سمير)، حاول نفض الغبار عن عبق الماضي في ذاكرته فأخرج لنا كنوزاً، ومعلومات غاية في الأهمية، أتمنى له المزيد من الموفقية، والاستمرار في رسالته ومسيرته الكتابية.

الشيخ محمد بن علي الحرز

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت بداية معرفتي بالشاعر الكبير والمؤرخ القدير محمد بن حسين الرمضان، في يوم الجمعة الموافق ٢٠/ ١/ ١٤٣٣هـ، وذلك بعدما كنتُ أتحدث مع أخيه المؤرخ جواد بن حسين الرمضان عن تاريخ أسرة الرمضان، وعن جهوده في التأليف والتنقيب عن المعلومات التاريخية، ومشاريعه التراثية، ومساهماته في رصد ما يرتبط بعلماء الأحساء خلال حقبة من الزمن، وأشار لي باستفادته المتنوعة من أخيه محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن الشيخ علي آل رمضان، فذكرتُ له رغبتي في اللقاء به، ورتب لي ذلك بأن دعاني في منزل أخيهما المرحوم جعفر بن حسين الرمضان، بمناسبة الذكرى السنوية الأولى من وفاته، وكانت الدعوة تتضمن قراءة القرآن الكريم وتناول وجبة الغداء. وفي أول لقاء مع شاعرنا الرمضان تعلق قلبي بتلك الشخصية، وما ذلك إلا لثراء معلوماته وتنوعها، ورغبته فيمن يوثقها، وتفاعله مع توجهي، واستجابته لطلبي، والإجابة على استفساراتي، حيث أنه لما عرف أنني من مواليد فريق الرفعة الشمالية بمدينة الهفوف، استرجع ذكرياته إلى ما قبل ستين سنة، وتحدث بما لديه من معلومات عن رجال وتراث ومواقف فريق الرفعة الشمالية.

وذلك اللقاء السريع شوقني لإجراء لقاء مفصل معه، خصوصاً أنني حصلتُ على من شجعني على ذلك التوجه، عندما عرف بعض المهتمين بالتراث بالمنطقة توثيقي أهم مفاصل حياة أخيه جواد الرمضان، وبما أنه من سكنة منطقة الدمام، وقليل النزول إلى الأحساء، مع كبر سنه، وأمراض الشيخوخة، وبعض التحديات الأخرى من هنا وهناك، طلبتُ من ابن أخيه الأستاذ محمد بن موسى الرمضان (أبي كميل)، تنسيق اللقاء معه، وتم ذلك وبشكل مختصر لظروف معينة منعت من تحقق طموحاتي بإجراء لقاء مفصل معه، وبالرغم من توثيقنا في ذلك اللقاء معلومات مهمة، إلا أنه من جهة أخرى قتل ما بداخلي من ولع لاستخراج ما لديه من ذكريات ومواقف وأحداث مهمة في مسيرة حياته تخص المجتمع الأحسائي، لأسباب خارجة عن إرادته.

وبعد عدة شهور، ومراجعة لحساباتي، وموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، غيرتُ من قناعتي، وما ذلك إلا لأهمية الشخصية، وندرة معلوماتها وأهميتها، فعزمتُ على تخطي العراقيل التي ستواجهني، فكانت بوابة اللقاء به في هذه المرة عن طريق الأستاذ علي بن محمد المحمد علي، ومن بعد ذلك اللقاء بدأتُ أنسق اللقاء معه بشكل مباشر، عبر الاتصال الهاتفي، بعد الاتفاق معه، أحياناً يتحقق اللقاء، وأحياناً لا يتحقق بسبب ظروفه الصحية وغيرها، ومعظم جلساتنا كانت يوم السبت عصراً من كل أسبوع، عندما كان يوم السبت أول أيام العمل الحكومي[1]. هو أول يوم عمل فيه، فقد كنتُ استثمر ذلك اليوم لعمل بعض الزيارات للمسؤولين في أمانة منطقة الدمام، والمديرية العامة للمياه بالدمام، وغيرها من الجهات الحكومية التي لها ارتباط ولو بشكل غير مباشر

(١) علماً بأن الإجازة الحكومية الأسبوعية تغيرت من الخميس والجمعة إلى الجمعة والسبت ليكون يوم السبت الموافق ٢٠/ ٨/ ١٤٣٤هـ هو أول يوم إجازة في النظام الحكومي الجديد.

بمهام المجلس البلدي، فكانت خطتي الصباحية بعد وصولي الدمام التوجه إلى منزل العديل محمد بن أحمد المازني لتناول وجبة الإفطار، والجلسة مع كبار السن حيث يجتمع في ذلك اليوم بعض المتقاعدين من أصدقائه في صباح كل يوم سبت، وكنتُ أستثمر تلك الفرصة للاستفادة مما لدى بعض كبار السن من معلومات تاريخية مهمة وبالأخص عن فريق الرفعة الشمالية، ولعل من أبرز من استفدتُ منه في ذلك من تلك الجلسات: الحاج جواد بن أحمد الهودار، والحاج عبد الرسول بن محمد العليو، والحاج راضي بن أحمد الخير اللَّه، والحاج محمد بن أحمد المازني، والحاج جعفر بن علي المعيلي، وغيرهم، بعد ذلك أتوجه إلى برنامج مراجعتي الرسمية، عندما يتم التنسيق لذلك مسبقاً، وقبل الظهر بساعة أتردد على مجلس السيد علي بن السيد ناصر السلمان، للقاء به، ورصد بعض ما في جعبته من معلومات تاريخية تخص مسيرته العلمية، وبالأخص في المحطات الأولى من حياته حيث الفترة التي فيها الحراك والتغيرات السريعة، منها ما يخص أسرته، ودراسته، وعلاقاته، وتحليلاته، طبعاً ليس في كل زيارة للسيد تتحقق أهدافي التاريخية بالنظر إلى أن تلك الجلسة مخصصة لاستقبال المؤمنين، ومعرفة أخبارهم، والرد على استفساراتهم، وتسوية الحقوق المالية الشرعية، وإجراء عقود الزواج، وغير ذلك، وبعد العصر يبدأ اللقاء المفصل مع مؤرخنا محمد بن حسين الرمضان.

تعددت لقاءاتنا مع أبي سمير، بما تزيد على عشرين جلسة، وفي إحدى الجلسات الأخيرة، نسق لنا اللقاء الأستاذ علي بن محمد المحمد علي، حيث كان يهدف إلى تصوير فيديو لمقابلتنا مع الأخوين الحاج حسين بن علي المحمد علي، والحاج محمد النمر.

وبعد جمع المتاح من المعلومات تم الاتفاق وبالتنسيق معه بمراجعة ما

كتب مع أخيه المؤرخ الحاج جواد بن حسين الرمضان، والأستاذ خالد النزر، والأستاذ حسين بن جواد الرمضان، كما ساعدنا في ذلك مبادراً الأستاذ حسن بن جواد الرمضان، قبل الطبع والمراجعة اللغوية والنحوية، والتي قام بها الأستاذ يوسف بن عبد اللَّه البوقرين، والأستاذ عيسى بن مبارك الربيح، كما قام بالتدقيق الأستاذ حيدر بن جمعة السنيني مع خالص شكري لهم جميعاً، وقد اقترح عليّ الأستاذ حيدر السنيني عنوان الكتاب «غيض من فيض - من ذاكرة المؤرخ الأديب محمد بن حسين الرمضان (أبي سمير)" وقد نال إعجابي، واعتمدتُه.

لقد استفدتُ من العم أبي سمير الكثير من المعلومات التاريخية والثقافية والاجتماعية والأدبية والسياسية و... إلخ، كما أنني أستطيع أن أصفه بأنه شاهد على التاريخ من عمق ذكرياته، وحضوره الذهني، وتمكنه من تحليل الأحداث التي مرت عليه، وإبداء وجهة نظره فيها بقراءة مستقلة، ساعده على ذلك، إدمان قراءته المتنوعة، وتنقلاته المتعددة، وفي دول كانت خصبة بالأحداث والحراك السياسي والثقافي والأدبي، ومعايشته لتغيرات سريعة، إضافة إلى أساس نشأته، وتوجه أسرته، وميوله الأدبية، ومتابعاته التاريخية، وغير ذلك. ندعو اللَّه أن تكون المعلومات الموثقة تبرز قيمة شخصيتنا وأديبنا ومثقفنا وشاعرنا الرمضان، وأن يستفيد منها المجتمع، وأن يوفقنا للارتقاء بوطننا ومجتمعنا، ونأمل المسامحة عن أي خطأ، أو تقصير، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه المنتجبين.

سلمان بن حسين الحجي

١٧/ ٣/ ١٤٣٦هـ

والآن وبعد أن طوينا صفحات التقديم والمقدمة والتي اشتملت على الكثير من العبارات التعريفية الإجمالية بشخصيتنا المتألقة في سماء التاريخ والثقافة والأدب ؛ فلنتابع الآن تفاصيل سيرته ومسيرته الذاتية:

■ مع الشاعر والأديب محمد حسين الرمضان

مرحلة الطفولة

كانت ولادتي بفريق الفوارس في مدينة الهفوف – الأحساء – بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٥٠هـ حسب رواية والديّ، وفي عام ١٣٥٦-١٣٥٧هـ ألزمت الدولة المواطنين بالحصول على الهوية الوطنية، ثم في عام ١٣٧٠هـ صدرت لائحة جديدة، أهم ما فيها إلزام جميع المواطنين بالحصول على الهوية بشكلها الجديد ولا يستثنى من ذلك حتى من لديه هوية سابقة، بالنسبة لي في عام ١٣٧٠هـ لم يكن لدي من إثبات رسمي إلا الجواز، فتوجهتُ إلى الإدارة الحكومية المعنية باستخراج الهوية، وكنتُ متزوجاً حينها حيث كان زواجي عام ١٣٦٦هـ وقد رزقتُ بولد عام ١٣٦٨هـ وقد توفي بعد أربعة عشر يوماً من مولده، بعدها ولد ابني الوحيد سمير عام ١٣٧٠هـ، ولما توجهتُ للموظف المسؤول بتلك الدائرة الحكومية، سألني عن تاريخ ميلادي، فقلتُ له: أنا من مواليد ١٣٥٠هـ.فقال سنكتب بالهوية أنك من مواليد ١٣٤٨هـ.

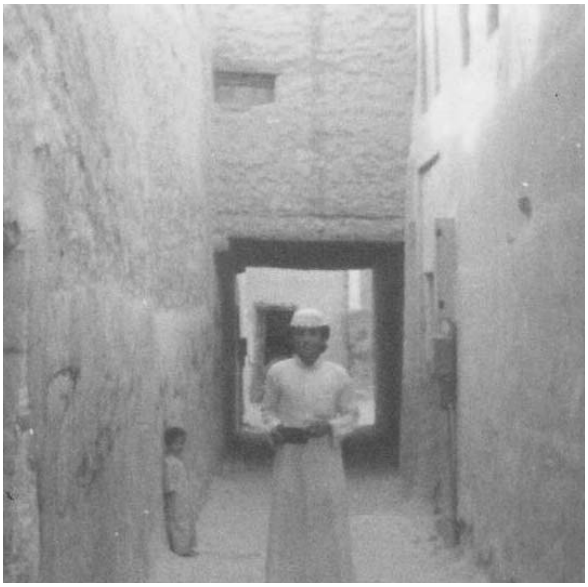

■ فريق الفوارس

إذاً فمولدي حسب رواية الوالدين ١٣٥٠هـ، أما الموثق في الهوية فهو ١٣٤٨هـ، وترتيبي في الأسرة الخامس حيث تقدمني في الظهور على التوالي: فاطمة، ومريم، وعلي، وجعفر، وأنا الخامس ومن بعدي على التوالي علي، زهراء، أحمد الأول، موسى، جواد، أحمد، وجيهة، وبين جواد وأحمد هناك سقط توأم سماهما الوالد سليم وسلامة.

والسبب في تسميتي باسم محمد حيث إني ولدتُ بعد وفاة جدي لأبي، فحملتُ اسمه لإحياء ذكراه.

والدتي:

هي بتلا بنت حسين بن محمد علي آل أبي خلف من عشيرة آل بن مهنا ترجع أصولهم إلى آل الفضل من ربيعة طي، كما أنها ابنة خالة والدي، واسم خالته هي فاطمة بنت الملا علي بن محمد آل موسى بن رمضان، وأم فاطمة هذه واسمها رحمة هي ابنة الشهيد الثاني الشيخ علي الرمضان، وكانت أمي رحمها اللَّه مولعة بالقراءة وعندما خُطِبت لأبي، كانت لا تزال طالبة في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم، فكان شرطها الوحيد هو أن تكمل حفظ القرآن الكريم ثم تقرأ السواد[1]، وقد استمرت بعد زواجها في دراستها، حتى تحقق لها شرطها، وكانت تقرئ الفتيات، وتقرأ في المآتم،

مدرسة القرآن الكريم:

وكانت في البيت الملاصق لبيتنا امرأة تقرئ الفتيات القرآن الكريم، وهي التي قرأت عندها والدتي رحمها اللَّه القرآن الكريم، ومن بعد ذلك تزوجت، ولكن

(١) السواد: تعليم القراءة في كتاب غير القرآن الكريم، وأطلقت هذه العبارة تكريماً للقرآن الكريم، فما عداه من الكتب هو (سواد في بياض).

ما زالت تبحث عن قراءة السواد، فوفقت للالتحاق بمدرسة (رقية البن فارس)، وصارت تقرأ عندها السواد، ولولا أنها قرأت السواد ما قرأت أي كتاب آخر. فمعلمات القرآن الكريم من النساء، كن يعلّمن مع قراءة القرآن الكريم ووفيات المعصومين عليهم السلام ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وغير ذلك، ووجدتُ أكثر من امرأة يضعونها عند معلمة القرآن الكريم، ويشرطون عليها (تعليم السواد)، وإذا ختمت المرأة القرآن الكريم، فتعلّمها يمكّنها من قراءة بعض الكتب.

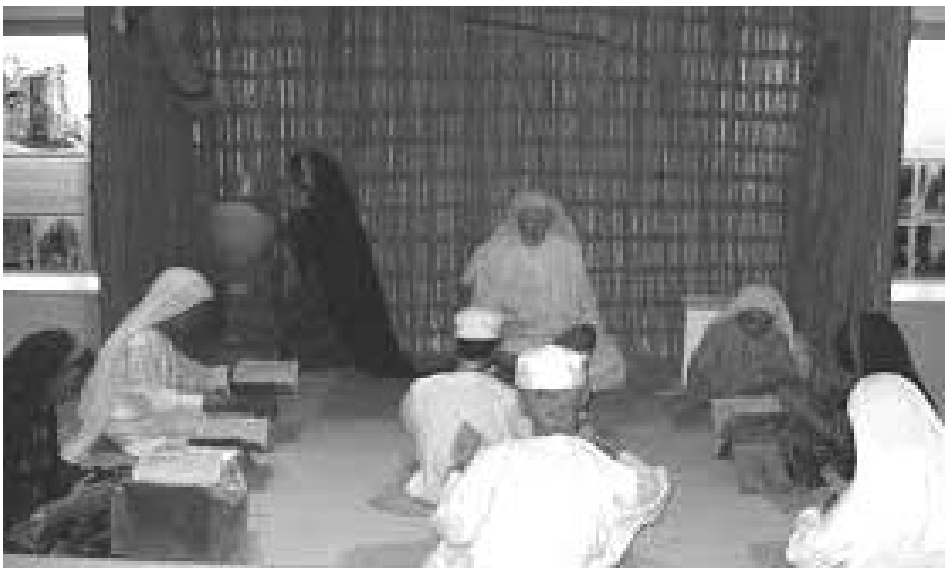

تعليم القرآن الكريم:

في طفولتي أقنعوني بأن ألتحق بمدرسة فضة بنت ناصر الحميدي والمخصصة لتحفيظ القرآن الكريم، وكانت تقبل البنين دون العاشرة من السنين، التحقتُ بمدرسة تلك المرأة المؤمنة فمكثتُ عندها مدة يسيرة ثم انفصلتُ عنها، والسبب أن أحد الطلبة اعتدى عليّ بالضرب، فأخذتُ في البكاء بصوت عال، فسمعت والدتي بكائي، فجاءت إلى بيت الجارة المقرئة مسرعة، وهي منزعجة، وأخذت تعاتبها عتاباً شديداً، وأخذت بيدي وأخرجتني وتوجهت بي إلى والدي

رحمه اللَّه، طالبةً منه أن يلحقني بمدرسة أخي جعفر المخصصة لتحفيظ القرآن الكريم، وكنتُ أطمح في أن أكون مع أخي جعفر والذي عمره ثمان سنوات، بل و أصرتّ على التوجه لتلك المدرسة، إلا أن والدي رفض طلبها، وقال لي: من الصعوبة أن تتعلم بالمدرسة وعمرك خمس سنوات، فاقترح على الوالدة أن تعلمني قراءة القرآن الكريم، فشرعت الوالدة في تدريسي، وقرأتُ معها إلى نصف جزء عم، بعد ذلك تولّى الوالد تعليمي القرآن الكريم أنا وأخي جعفر، حيث كل واحد منا يمسك نسخة من القرآن الكريم، فأول ما يقرأ الوالد بعض آيات القرآن الكريم، وبعد أن يقرأ العشر، (وهو جزء من الجزء) وأنا وأخي جعفر نتابع ذلك، وبعدها يطلب من الأخ جعفر أن يكمل قراءة القرآن الكريم - وأنا ووالدي نتابع له - ثم أشرع أنا في قراءة القرآن الكريم والوالد وجعفر يتابعان قراءتي، وبهذه الطريقة ختمتُ القرآن الكريم.

معلمو القرآن الكريم:

بالنسبة لمعلمي تحفيظ القرآن الكريم من الرجال القريبين منا منهم: الملا عبد اللَّه بن صالح العامر، وكان معه من المساعدين في التدريس الحاج عبد اللَّه بن إبراهيم البوعلي (أخو الشيخ أحمد آل أبي علي)، والحاج موسى البن سليمان، والحاج حسين بن صالح بن علي بن محمد الرمضان، وكلهم كانوا مكفوفي البصر. وهناك شخص من آل اللايذ من فروع آل أبي خمسين اسمه علي، كان نظره ضعيفاً جداً، وكانت طريقتهم في تعليم الصبية قراءة القرآن الكريم وفق طريقة القراءة عن ظهر غيب، ومثل هذه الطريقة تتطلب جهداً من الطلبة للرقي بجودة قراءتهم، وتمكن الطالب من إتقان قراءة القرآن الكريم، إلا أنها لا تجعله يتقن قراءة أي مكتوب آخر، ولقد شاهدتُ بعضاً ممن يحسن قراءة القرآن الكريم، لا يحسن قراءة غير القرآن الكريم كالرسالة، لأن الذي علّمه

القرآن الكريم كان كفيفاً.

في آخر الستينات كان هناك شخص يعلّم قراءة القرآن والخط وهو الحاج طاهر بن عبد المحسن بن إبراهيم آل أبي خمسين، وهناك معلم آخر للقرآن الكريم وهو: الملا عبد اللَّه بن علي بن حسن بن إبراهيم، وهو أديب وشاعر.

تعلم القراءة والكتابة:

أذكر- وأنا عمري خمس سنوات - أن أحد أبناء عمي كان يدرس القرآن الكريم ويتعلم الكتابة والخط، فكنتُ أبكي حينذاك ؛ لأن لدي رغبة للتعلم مثله، فلاحظ خالي الحاج حسن بن علي بن حسين الشيخ علي الرمضان ذلك فأعطاني قرطاساً وقلم رصاص (بنسل) وبدأتُ أكتب، بعدها ساهم والدي في تعليمي الكتابة وذلك قبل تعلمي القرآن الكريم.

أهمية المنبر الحسيني:

وقد أعجبني تمكن والدي من تفسير بعض آيات القرآن الكريم، علماً أنه لم يتعلم قراءة القرآن الكريم إلا بعد زواجه، إلا أني عرفتُ فيما بعد أن ذلك التفسير لم يكن من تبحر في قراءة كتب التفاسير، وإنما من كثرة الاستماع للمنبر الحسيني، فهو الغذاء الحقيقي - فالإمام الحسين عليه السلام هو مصباح الهدى، وسفينة النجاة- وكان كل ذلك في منبر عزائه (سلام اللَّه عليه) حيث إن مآتم الإمام الحسين عليه السلام مدرسة متنوعة الغذاء، منها الديني والتاريخي والطبي والثقافي.

تأثري بالمنبر الحسيني:

وأتذكر أني تأثرتُ بالمنبر الحسيني وأنا في عمر ثمان سنوات، حيث كنتُ

أتابع المآتم الحسينية.

بداية التعرف على برنامج الخطيب الحسيني: أين يقرأ؟ وربما يقرأ مأتماً أو مأتمين أو ثلاثة مآتم. وفي كل مأتم يأتي الخطيب الحسيني بموضوع يختلف عن الآخر في حدود الإمكانية[1].

الالتحاق بالمدارس الحكومية:

تأخر غالبية أفراد مجتمعنا الأحسائي عن إلحاق أولادهم بالمدارس الحكومية أكثر من ست سنوات. وكانت بداية المدارس الرسمية في الأحساء (الهفوف) عام ١٣٥٥هـ تقريباً عندما بنيت المدرسة الأولى، فعزف الكثير من الناس عن تسجيل أبنائهم بتلك المدرسة من الشيعة والسنة، فالموالون لأهل البيت عليهم السلام بالأحساء كان عندهم تحسس في أن إلحاق أولادهم بالمدارس قد يؤثر على عقائدهم، وأبناء السنة والجماعة كذلك، وكانوا يفضلون مدارس تحفيظ القرآن، ومدارس تعليم الخط على المدارس الرسمية، واستمر ذلك التخوف إلى سنة ١٣٥٨هـ حيث بدأ التجاوب التدريجي البطيء من الأهالي مع تلك المدارس.

بداية الدراسة في البحرين:

وهذا التشخيص نفسه كان لدى شريحة من البحرانيين، حيث لما فُتحت

---

(١) ويقال إن المنبر الحسيني كانت بداية تطويره تنسب للشيخ كاظم السبتي في العراق، ثم من بعده للشيخ كاظم نوح، ومن بعده لرائد المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، ثم تطور إلى ما وصل إليه في زماننا الحالي في أداء المحاضرات، ومن تميز في المواضيع، وعمق في التحليل، وجرأة في الطرح، ولذا أرى أن منبر الحسين له التأثير الأكبر في بقاء الولاية لأهل البيت عليهم السلام في جميع بلاد العالم، وأنصح الشباب بالارتباط بالمنبر الحسيني فهو مدرسة ونتاجه يفيد الفرد المؤمن في أمور الدنيا والآخرة.

المدارس قبل مئة سنة (ومنها مدرسة الهداية الخليفية) ثم المدرسة الغربية في المنامة، فقد لاحظ المسؤولون أن الشيعة البحرانيين لم يسجلوا أولادهم بتلك المدارس، مما دفع أحد المعلمين في المدرسة الغربية من أولاد الوجيه منصور بن جمعة القطيفي أن اقترح على المسؤولين تغيير اسم المدرسة من المدرسة الغربية إلى المدرسة الجعفرية حتى يتشجع شيعة البحرين للالتحاق بتلك المدرسة، وتم تغيير اسم المدرسة ولكن مع ذلك فالنزر اليسير الذي تفاعل مع تلك المدارس بالمدن، أما في قرى البحرين فقد رفضوا الالتحاق بتلك المدارس خوفاً على عقيدتهم.

■ مدرسة الهداية الخليفية في البحرين

الدراسة بالنجف الأشرف:

قرأتُ في مقالة عما حصل في النجف الأشرف، قبل افتتاح مدارس تعليمية للبنات، وذلك بعدما فتحت الحكومة مدارس لتعليم البنين، ثم أرادت أن تفتح مدارس للبنات فتم الاعتراض على ذلك من قبل الأهالي، وبعدما أكمل الأولاد المرحلة الابتدائية، وبعضهم حصل على الشهادة المتوسطة، ولربما أكمل بعضهم المرحلة الثانوية، والذي يعد ذلك في مثل ذلك الوقت إنجازاً كبيراً، لوحظ إحجام

الشباب المقبلين على الزواج من البنات اللاتي أصولهن من النجف الأشرف، بسبب أميتهن، لذا اتجهوا إلى الزواج من خارج النجف الأشرف، مما ألزم ذلك أهل النجف الأشرف أن يطالبوا الحكومة أن تفتح المدارس للبنات.

المدرسة الأولى بالأحساء:

في الأحساء عام ١٣٥٥هـ فتحت المدرسة الابتدائية للبنين وكان مديرها مصري الجنسية (واسمه النحاس)، وكانت المدرسة عبارة عن بناء قديم يسمى (الحميدية) والعجائز يسمونه (القِّلِق) وهو بناء شُيّد في العهد التركي عهد السلطان عبد الحميد وسمي باسمه، ولم يتفاعل أحد من مجتمع الشيعة في التسجيل بتلك المدرسة، وتم تغيير موقع تلك المدرسة في عام ١٣٥٦هـ إلى موقع مديرية الشرطة وكان المدير اسمه شوقي، لكن ظل التفاعل سلبياً مع تلك المدرسة.

طلبة أثناء خروجهم من المدرسة الأميرية في
عام 1941 (أرشيف أرامكو السعودية)

وجهة نظر:

وأرى أن أولاد الشيعة لا ينحرفون عن عقائدهم، حتى لو التحقوا بالمدارس الحكومية، بسبب تحصين المنابر الحسينية لهم بما تزودهم به من العقائد الحقة بأدلتها العقلية والنقلية الصحيحة، فالطفل من عمر الثلاث تراه يعتاد على الاستماع للخطباء الحسينيين بالحسينية، ويبدأ الطفل بشكل تدريجي يستوعب أهمية الحضور لتلك المنابر، ويتعلم مما يقوله الخطيب الحسيني عن أهل البيت عليهم السلام، حتى يتشبع بالجوانب العقدية والفقهية والأخلاقية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

موقف:

وأتذكر أن شخصاً من أهل نجران من الإسماعيليين ويسمون باليامين، وهم ممن يتعبدون فقهياً على كتاب (دعائم الإسلام) قال لي: إن الطلبة الذين التحقوا بالمدارس الرسمية بنجران لا يسلمون على كبار السن، فكأنهم انحرفوا عن الطريق المستقيم بسبب المدارس الحكومية. فقلتُ له: المدارس ومناهجها في نجران هي نفسها عندنا في الأحساء، ونحن لا نخاف على أولادنا من الانحراف. فقال: ما هو السبب؟. قلتُ له: بسبب المدارس الحسينية والمتمثلة في المأتم، واستشهدتُ له بأبيات نظمتها في مولد الإمام الحسين عليه السلام:

ولولا مآتمه فيكم ... تذكركم بفروض الولا
لمات التشيع ما بينكم ... وأنزله الكبت دار البلاء
فليست مآتم لكنها ... مدارس منها الهدى يُجتلى
ومن حُرموها مع الانحراف ... غدوا من بهائمهم أجهلا
وأميكمُ ثقفته فصار ... من متعلمهم أفضلا

مدارس البنين:

في عام ١٣٦٠هـ تم بناء المدرسة التي كانت بالقرب من مبنى بلدية الأحساء آنذاك فبدأ التجاوب أكثر من الشيعة، وكان من العلماء الذين شجعوا على الالتحاق بالمدارس الحكومية: الشيخ حبيب بن الشيخ صالح القرين، والميرزا علي بن الميرزا موسى الإسكوئي الحائري.

مدارس البنات:

أما عن التحاق البنات الأحسائيات بالمدارس الحكومية فلا أعلم بتفاصيلها ؛ لأني كنتُ في الشام آنذاك، إلا أني سمعتُ في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز، أنه أصدر أوامره بفتح مدارس البنات، وقوبل باعتراض على ذلك من علماء الشيعة والسنة في الأحساء، وأعد بعض علماء السنة بالمنطقة عرائض للمعارضة على ذلك، وبدأوا يجمعون تواقيع من وجهاء المنطقة لرفض فتح مدارس البنات، وكان ممن قدم له المعروض: الشيخ باقر آل أبي خمسين، ولكنه رفض التوقيع، وعرضوها على شخصية ثانية من فضلاء الشيعة، فوقع عليها[1].
وكان لي ثلاثة أبيات قلتها في ذلك الواقع:

إن لـلأم في الحياة لـدوراً كلنا ننحني لـه إجـلالا
ولها الحق أن تـزود علماً كـي تربي بـنـوره الأجيالا
هي أولى مدارس النشء فينا علّموها تعلم الأجـيـالا

ثم صار توّسع في قبول الأهالي لتسجيل أولادهم بالمدارس الحكومية في المدن قبل القرى.

---

(١) وشخصية علمية أخرى رفضت ذلك ولما وقعت على البيان قال كلاماً غريباً لا حاجة إلى تدوينه.

وفي الشأن نفسه أتذكر أنني قرأتُ كتاباً في تكريم عالم الدين السيد علي بن السيد ناصر السلمان، حيث ذكر في مقابلة مطولة له أنه ألحق أولاده بالمدرسة الحكومية مما عرضه للإهانة من قبل المحيطين به والمستنكرين للتعليم.

بداية الحراك الثقافي:

اعتمدتُ على وضع الأسرة الأدبي، وأتذكر أنني في سن الخامسة إلى السادسة من عمري كنتُ دائماً أمشي وأنا رافع رأسي إلى الأعلى حيث لم أكن أنظر إلى الأرض[1]، وكان البعض حينما يلاحظ ذلك يصرخ عليّ ويقول: (الهواء ما يؤذيك ولا شيء تكسره) ويطلب مني أن أنظر إلى الأرض.

الحاجة فاطمة بنت الملا علي الرمضان:

الحاجة فاطمة هي جدتي لأمي ووالدها الملا علي بن محمد الرمضان الخطيب الحسيني والشاعر الكبير المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، وأمها رحمة بنت الشيخ علي الشهيد الثاني الشاعر الكبير، وكانت تحفظ من قصائد الشيخ علي ومن قصائد أبيها الملا علي الرمضان وغير ذلك من القصائد، وهي لم تكن متعلمة، وكانت تقول: عندما يرفعون أصواتهم عليّ خوفاً على حاجياتهم من أن أعثر فيها. أرفقوا به فإنه سيكون شاعراً، وكانت تتمثل دائماً بأبيات شعر وهي:

أرى الدنيا تعجّل بانطلاقي مشمرة على قدم وساق
وما الدنيا بدائمة لحي ولا حي على الدنيا بباق

كانت هذه أول أبيات شعرية أحفظها في حياتي، فقد كانت هذه المرأة تكرر هذين البيتين فتأثرتُ بهما، وأصبحتُ أفكر فيمن يركض في المشي وهو الحيوان، ولكن الدنيا! كيف تمشي؟! بعدها عرفتُ المقصد من هذين البيتين،

(١) (كما يقولون عيونه في هامته والعاقل كما يقولون يطالع مواطئ أقدامه).

وعرفتُ قائلهما، وهو الحسين بن الحجاج النيلي، وفقاً لما ذكره لي الشيخ علي بن الشيخ موسى آل أبي خمسين.

ومن القصائد التي كانت تكررها تلك المرأة المؤمنة قصيدة الشيخ محمد بن الشيخ علي البغلي ومنها:

إلهي بالمشفع في المعاد محمد خير مبعوث وهـاد

.... إلى آخرها، وهي القصيدة الثانية التي حفظتها.

المطالعة:

كنتُ أحبُ المطالعة وحفظ الشعر وترديده، كما أنني لما شعرتُ بأهمية القراءة - وأنا في الثامنة من العمر- كان المتاح عندنا في البيت من الكتب - إضافة لكتاب اللّه وهو القرآن الكريم - كتاب الأدعية ومقتل الإمام الحسين عليه السلام والوفيات وكتب الوالدة الحسينية (السفائن)، إلا أنني كنتُ أشعر بشوق وحاجة للقراءة في مجالات أكثر فصرتُ أبحث عن الكتاب أينما كان.

■ والد الشاعر الحاج حسين بن محمد الرمضان.

طموح والدي:

وأتذكر في سن العاشرة من عمري، كنتُ - بعد تناول العشاء- أتوجه إلى المأتم الحسيني وفي كل ليلة أبحث عن برنامج المآتم الحسينية بالفريق[1]، إلا أن الوالد رحمه اللّه قال لي: ما

(١) الفريق / الحي الذي يسكن والبيوت القريبة من مسكن الشخص، وينطقها الأحسائيون (الفريج).

أظن أنك تذهب إلى المأتم الحسيني من أجل الاستفادة وسماع مصيبة أبي عبد اللَّه الحسين عليه السلام، إنما من أجل أن تحصل على الدخان، لأن رائحة التدخين بارزة في فمك وثيابك، ولكي أختبرك فيما تقول، سأطلب منك إذا تسمعت المأتم الحسيني في الليلة القادمة أن تخبرني بما قاله الخطيب الحسيني إن كنت صادقاً؟ فما كان مني إلا أن ذكرتُ له ما قاله الخطيب الحسيني، مما جعل والدي يتأمل أن أكون خطيباً حسينياً، بعدما بانت عليّ بوادر طلب العلم والمعرفة وحب الشعر والأدب وعلوم اللغة العربية.

دراسة اللغة العربية:

اقترح عليّ والدي أن ألتحق بدرس الشيخ أحمد بن إبراهيم البوعلي، حيث لديه حوزة علمية يدرس فيها بعض الطلبة كتاب الآجرومية، ومن الطلبة الشيخ علي بن أحمد بن شبيث، وعبد المحسن بن الملا عيسى الرمضان (أبو راضي)، وعبد الوهاب بن الملا عبد الوهاب الرمضان (والذي سكن الكويت في آخر عمره) وأبلغ والدي الشيخ أحمد البوعلي فوافق على ذلك، وقد أبلغني ابن العم عبد الوهاب: بأننا قد انتهينا من (كتاب الآجرومية) ونسقنا مع الشيخ أحمد أن يبدأ بدرس في الفقه بعدما يحصل على من يعيره (كتاب شرائع الإسلام)، ثم اقترح عليّ أن يقوم هو بتدريسي مما تعلمه من الشيخ أحمد البوعلي، فوافقتُ على ذلك، إلا أن سفري إلى البحرين منع من تحقق ذلك، كان ذلك عام ١٣٥٧هـ من أجل العمل في مهنة الخياطة، وكان في تلك الفترة حتى الطفل الذي عمره خمس سنوات يشتغل في مهنة الخياطة، فقد

العابد الزاهد الشيخ علي بن يوسف آل شبيث قدس سره

مارستُ الخياطة وعمري خمس سنوات.

موقف في الخياطة:

ينقل أن شخصاً من آل الموسى الفدغميين كان يخيط حتى كف بصره ولا زال يخيط فيما بعد بمجلس الشواف، ويقال: في ذلك الوقت أن جاءه شخص من أصل نجدي إلى مجلس الشواف ولاحظ ذلك الشخص الكفيف الذي طلب من يجهز له مكان عمله، وبدأ يخيط على الهجس فقال له ذلك النجدي: (اللَّه عماك ولا حالك)!![1].

المدرسة الجعفرية:

وأتذكر أنه بعد سفرنا إلى البحرين قام والدي بشراء (كتاب النصّاريات) فيه مقتل الإمام الحسين عليه السلام وهو أول كتاب يشتريه الوالد لي بالبحرين.

بقينا مع الوالد في البحرين فترة ممارسته مهنة الخياطة بالرغم من صعوبة حصوله على عمل حيث كانت الخياطة تمر بمرحلة كساد، فاقترح أحد جلساء الوالد، وهو الحاج عبد الوهاب الباقر أن يدخلنا أنا وأخي جعفر في المدرسة الجعفرية، وهو من (فريق الرقيات) وسمعتُ أن جدهم قدم من الشام إلى الأحساء مع الجيش التركي، ويقال بأن أصوله عراقية، وكان منفتحاً وذكياً، وبما أننا في تلك الفترة كنا غير مرتبطين بأي عمل نقوم به، التحقنا بالمدرسة لمدة شهر واحد فترة بقائنا بالبحرين واستفدتُ من الدراسة في البحرين الأرقام الهندية ثم رجعنا إلى الأحساء وأصبحتُ أعمل بمهنة الخياطة.

---

(١) وهذا مثل شعبي أصله اللَّه عماه ولا حاله، ومعنى المثل إن اللَّه أعماه ولا يزال في مهاراته العملية.

الاتهام بالانفتاح:

من عام ١٣٥٥هـ - إلى ١٣٦٠هـ كان الناس يسيئون الظن في الصحافة حتى أنني سمعتُ رجلاً ينتقد عالماً من أهل العلم والثقافة يسميه (قارئ المجلات) بل أن ذلك الشخص مرّ على بائع بدكان في السوق وكان من معارفه، ولاحظ عنده مجلة، فأخذ المجلة بغضب، وقال له: أنت مثل فلان....يعني (قارئ المجلات).

وبما أنني أحب القراءة وأعشق الاطلاع، كنتُ أقرأ في المجلات المتاحة، وكان لي ابن خال يقرأ كذلك وهو الحاج حسين بن الحاج حسن الرمضان وأخوه الحاج علي بن حسن الرمضان.

■ من اليمين جلوساً الحاج حسين و الحاج محمد بن حسين الشيخ علي الرمضان ابي سمير ووقوفا الحاج علي ابناء خاله الحاج حسن الرمضان رحمهما الله.

وكذلك ممن كان يحب الاطلاع: الحاج أحمد بن إبراهيم الهلال، حيث تعرفتُ عليه في الكاظمية عام ١٣٦٤هـ، وقد وجدتُه يأتي ببعض المجلات إلى مشغل المخايطة، ويعلق عليها، وقد كان منفتحاً، ولهذا السبب اتهمنا من قبل شريحة من المنغلقين- بأننا منحرفون، لكثرة اهتمامنا بقراءة الصحف والمجلات وكثرة كلامنا حولها.

توسع انتشار المجلات:

بدأت المجلات تصل إلى الأحساء مع فتح مكتبة التعاون الثقافية وذلك عام ١٣٦٦هـ تقريباً، وأغلب المجلات التي تباع كانت مصرية، ومنها (الاثنين) التي تتناول مواضيع السياسة والاجتماع والأدب، وكان سعر بيعها بريال واحد،

وهناك مجلة (المصور) فيها مواضيع شيقة، وأما عن مجلة (العربي) الكويتية فقد كنا نرى أعدادها الأولى تباع على الأرصفة حينما كنا في الشام، حيث إن كثيراً من المجلات إذا قرئت ترمى، وكان البعض يلتقطها ويبيعها على الأرصفة بسعر زهيد، وكنا آنذاك ممن يشتريها منهم.

تنمية القراءة (١٣٥٦-١٣٥٧هـ):

توفرت لدي رغبة في القراءة والكتابة، خاصة مع طلب نساء الحارة مني ومن أخي جعفر أن نكتب لهن دعاء الفرج، ودعاء الصباح، وقصيدة أم عمرو للسيد الحميري،.....وغيرها، ولما أتقنتُ القراءة والكتابة، بدأت أكتبُ للنساء طلبهن، ومنها كتابة دعاء الفرج بنصف قرش سعودي.

جامع آل أبي خمسين:

وكنتُ من صغري مولعاً بالقراءة، وإذا لم يتوفر بين يدي كتاب كنتُ أتوجه للمسجد الجامع بفريق (الفوارس) والذي يعرف بجامع أسرة آل أبي خمسين، حيث كان في مسجد آل أبي خمسين في بنائه القديم ثلاثة محاريب، لأن بنيانه وسّع ثلاث مرات، وأغلق فيما بعد محرابان، وأبقي فيهما نافذتان لتلقى فيهما المخطوطات من المصاحف والأوراق والكتب القديمة ؛ نظراً لحرمة رميها أو حرقها لدى المعتقدين بالمذهب الجعفري. وقد كنا نطلّع على تلك المخطوطات ونستفيد منها، ونتابع المخطوطات بمساجد أخرى حيث إن بعض المساجد كانت الكتب توضع في (مرحلة)[1].

(١) وهي وعاء من الخوص كبير يستخدم لنقل الخضراوات والتمور.

جبل القارة:

كما كنتُ أنتقل إلى جبل القارة وأدخل إلى الكهوف بهدف الاطلاع على ما يرمى من وثائق وكتب قديمة، وكان بعضها ممزقاً، ولقد حصلتُ على فوائد كثيرة من تلك المتابعة.

مسجد الرقيات:

كذلك حصلتُ على ورقة ثمينة بمسجد الرقيات، وهي قصيدة مكتوبة بالخط الأزرق جاء فيها: هذا ما قاله الشيخ علي بن مغامس وزير الشيخ علي بن مقرب وقد عاش في دولة العيونيين، وقد أعجبتني القصيدة وبقيت عندي إلى عام ١٣٦٣هـ، ثم سافرتُ إلى العراق مع الوالدة لزيارة العتبات المقدسة، ولما عدتُ إلى البلد فقدتُ الصندوق الذي حفظتُ فيه تلك القصيدة وتأسفتُ عليها حتى الآن.

خلاصة القول:

إن أول ما شدني تجاه القراءة والأدب هو ماضي الأسرة الأدبي من العلماء والشعراء والخطباء، حيث أن جدنا: الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللَّه بن الشيخ حسن الرمضان من سلالة كلهم من العلماء، وكذلك يوجد في الأسرة الشيخ عبد النبي، وقيل إنه من العلماء، وغيرهم إلا أنه بعد استشهاد جدنا الشيخ علي عام ١٢٦٥هـ فقد كان يوما مفجعا لزوجته، فهي رأت أن العلم هو الذي تسبب في قتل زوجها، لذا يقال: إنها منعت أولادها من المواصلة العلمية، حيث إن أكبر أولادها كان اسمه أحمد وكان من العلماء، ولكن من ردة فعل أمه قيل: إنها وصلت إلى حالة بحيث إذا قيل لها: ابنها الشيخ أحمد تغضب، لأنها لا تريد أن يكون ابنها عالماً، نظراً لما جرى على

زوجها الشيخ علي. ومع ذلك كان مستوى الأمية في أسرتنا قليلاً، حتى غير المتعلم منهم في طفولته فإنه يلحق تعلمه حتى لو بعد الزواج، مثل والدي: الحاج حسين بن محمد بن حسين بن الشيخ علي، حيث قيل: إنه لم يدرس القرآن الكريم أو يحفظه في صباه، وإنما لمّا كبر صمم على أن يحفظ القرآن الكريم، فتحقق له ذلك ومثله أمثال.

١٣٥٦هـ:

وأتذكر في ذلك التاريخ أن رئيس البلدية كان جالساً على منصة مقابل الحميدية، واسمه خالد الفرج وتمتد أصوله إلى الدواسر، وكان رئيساً لبلدية الأحساء والقطيف حينها.

الملك عبد العزيز:

■ جلالة الملك عبد العزيز

لم يكن لجلالة الملك عبد العزيز رحمه اللَّه تعالى مشكلة مع مذهب الشيعة، وليس لديه مشكلة في اختلاف المذاهب، ثم إنه على يقين من موالاة الشيعة للدولة السعودية، ومما يؤكد ذلك أن الملك عبد العزيز عندما استولى على نجد، كان يأتي إلى الأحساء في كل سنة، ويقيم في منطقة في جنوب الطرف تسمى قصر المجصة وبالقرب منه مزارع ونخيل، وكان يتواصل معه الشيخ موسى آل أبي خمسين المتوفى سنة ١٣٥٣هـ فقد كان يجمع من سائر أثرياء الشيعة في الهفوف وقراها كميات من الأرز والدقيق

■ الأمير عبد اللَّه بن جلوي

والقهوة والسكر، وحتى بعض الأقمشة ويقدمها كهدية إلى الملك عبد العزيز، باسم هدية جماعة آل أبي خمسين. وهذا ما يؤكد ولاء الأحسائيين للحكومة السعودية بقيادة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وقد كان الشيخ موسى آل أبي خمسين يتواصل مع أمير الأحساء آنذاك عبد اللَّه بن جلوي بن تركي بن عبد اللَّه، بعد افتتاح الأحساء في: ٢٨/ ٧/ ١٣٣١هـ.

أول ديوان:

أول ديوان اقتنيته من سوق الحراج عام ١٣٦٠هـ وهو ديوان (العقاد) حيث كان ضمن أوانٍ قديمة ستباع في سوق الحراج، ولا توجد في ذلك الوقت مكتبة بالهفوف، وكان موقع سوق الحراج عند مدخل الهفوف من (دروازة الخميس أو تسمى دروازة أم خريسان أو تسمى دروازة الشمالية) حيث تجد الخندق ممتداً من الدروازة إلى برج الربعة على محاذاة الكوت، وبجنبه سوق الحراج يباع فيه كل شيء، من: أثاث البيوت القديمة وغيره، وقد يكون من ضمن الأغراض المباعة الكتب، وقد يكون ليس له قيمة عند بائعيه، فاشتريتُ الديوان بنصف قرش تقريباً وكتاباً آخرً بنصف قرش لجبران خليل جبران باسم المواكب وهو ديوان شعر.

الراديو في الأحساء:

إن أول راديو دخل إلى الأحساء كان لشخص يسمى التويجري، وكان هو رئيس حرس بوابة الشمالية للأحساء، وكان مكتبه في مضيف الحكومة في

دروازة الخميس، وأذكر أننا كنا نتوجه إلى موقع تشغيل الراديو، ونسمع ما يبث فيه، وعمري ثمان سنوات، وكنا نتعجب من ذلك، مع أني شاهدتُ الراديو قبل ذلك في البحرين. أما عن أول من اقتنى الراديو في فريق الفوارس فهو الحاج يوسف بن موسى البوعلي وهو رجل أعمال وشاعر وأديب توفي سنة ١٣٩١هـ وكان الناس يستمعون أخبار الحرب العالمية الثانية في ساحة تسمى (الجفرة) في محلة الفوارس، وكنا نقف في الجفرة نستمع لما يبث بالراديو عندما يرفع يوسف البوعلي صوت الراديو، وكنا نسمع الحديث عن الحرب العالمية الثانية ١٣٦٤هـ، وأتذكر أن أحد الشباب في تلك الفترة أقدم على شراء راديو وكان أبوه من المؤمنين الذين يلهجون بقراءة القرآن الكريم والأدعية، فأصبح المحيطون به يبكون مما أقدم عليه ابنهم من شراء الراديو، وكان الراديو يشغل ذلك الوقت ببطاريات كبيرة الحجم، وإذا ما دعت الحاجة لتعبئتها من محلات التعبئة، طلب من أحد الحمالين أن يحملها على كتفه فبمجرد ملاحظة ذلك من قبل بعض أهالي الفريق، فإنه يتهم بالانحراف! وكانوا يستغربون من قبول ذلك الحمال العمل بربع ريال مقابل تعبئة تلك البطارية، خاصة أنهم كانوا يفتون بأن بيع الخمر وعمل هذا الحمال على حد سواء!

أما من يرغب في شراء الراديو فعليه أن يقوم بإجراءات قبل ذلك، والتي من أهمها: أن يأخذ موافقة من الجهة المعنية في الدولة وهي الإدارة الحكومية التي تقوم بمهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي تشترط على مشتري الراديو أن لا يشغله أوقات الصلاة، ولا يوجهه لسماع الأغاني وغير ذلك من الشروط، وإذا وقع على تلك الشروط، منحت له ورقة تسمح له بالشراء من تاجر بيع الراديو. ولفت نظري أن الناس كانوا يسمون كثير الكلام بـ (الراديو) وكان خياط البشوت كثير الكلام! وأما عن ردود فعل الناس تجاه شراء التلفاز في بداية اختراعه فلم أكن حينها في الأحساء لمعرفة ردود فعل الناس تجاه ذلك.

الفقر:

من عام ١٣٥٠هـ إلى ١٣٦٠هـ كانت آثار الفقر واضحة في الأحساء، ومما يؤكد ذلك، إذا اشتم أحدهم الخبز تراه يفزع، وربما إذا شاهد من يحمل الخبز في فترة الضحى كان يقول: إن شاء اللَّه خيراً، فقد يفهم أن ابنه مريض، أو يكون ممنوعاً من أكل التمر.

ومن مواقف الفقر: أن أحد الفقراء توجه إلى السوق، وشم رائحة البطيخ، وشرب ماء من المسخنة (الإناء الذي يشرب منه الماء)، قال: اكتفينا رائحة بطيخة وشرب ماء.

ومن شواهد الفقر كذلك كان الميرزا علي الإسكوئي مدعواً في ضيافة أحد المؤمنين، فلحق به بعض الأفراد من الفقراء، ودخل مع الميرزا إلى منزل المضيف، بعد ذلك دعا صاحب ذلك البيت الرجل مرافق الميرزا علي وطلب منه أن يخرج من المنزل.

وكان في السابق يضع بعضهم حارساً على الباب في المناسبات التي يقدم فيها الطعام، ويمنع دخول غير المدعوين، وقد تكون بيد البواب عصا يضرب المتمرد منهم. ومن آثار الجوع أيضاً في مجلس عزاء المرجع الديني الشيخ عمران السليم، يقال: إن أحدهم ممن كان يمارس الخياطة في مجلس الوالد، قد أكل أكثر من اللازم في مجلس عزاء الشيخ عمران السليم في العمران، فمات في مكان العزاء مباشرة لهذا السبب أو ذاك! وذلك سنة ١٣٦٠هـ، ومما يعكس واقع الناس المعيشي أن أكبر مساحة في سوق الخميس قبل ستين سنة بالهفوف هو سوق الحلى أو سوق الحساس، كله من الأسماك المجففة يأكله الناس «حساس مشلج هيز (سمك) جبوب الربيان» حيث ذلك يمثل الاستهلاك اليومي للناس، كذلك يعكس واقع الناس الاقتصادي، ملابسهم في ذلك الوقت، فقد تشاهد من

يلبس الثياب الممزقة ويكثر لبس الشماغ الممزق، وطريقة لبسه للشماغ تشعر بفقره، كما كانت هيئة الناس في لبسهم متدنية مما تعكس وضعهم المعيشي.كما أن الأغنياء في ذلك الوقت يعدون على الأصابع، وأذكر ذات مرة أن أحدهم كان يشتكي للوالد حيث إنه من عشيرة ثرية فقد ذهب لسوق الجت يحمّل، فمر عليه أحد أقاربه، وقال له: لماذا تقف هنا؟ فتلعثم ذلك الذي يسعى لتوفير لقمة عيشه عن طريق تحميل البضائع، فقال له الآخر: أعلم أنك تريد أن تحمّل وأخرج من جيبه قرشين وكان الريال يعادل ثلاثين قرشاً، والقرش يعبرون عنه بطويلة والريال بثلاثين قرشاً فقال له: انصرف عن السوق لا تحمّل. فكان ذلك الرجل يشتكي عند الوالد فيما بعد بقوله: (أعطاني اليوم ابن عمي قرشين يوم غد كيف وبعده) حيث يوجه إلى بعض أثرياء الأحساء نقد لمن يستعطي من أرحامهم، بل حتى من أصحاب المحلة لو سأل فلربما يؤنبه هذا أو ذاك. وهذه الطريقة يجسدها المثل الشعبي (لا يرحمك ولا يخلي رحمة اللَّه تنزل عليك).

١٣٥٣هـ:

تكررت إقامتي في العراق أكثر من خمس فترات، وفي كل مرة أبقى فيها أقل من سنة أو أكثر، وأول مرة سافرتُ إلى العراق مع والديّ كان عمري ثلاث سنوات وكان ذلك في السنة التي توفي فيها الشيخ موسى آل أبي خمسين، وكانت سفرتنا قبل شهر ذي الحجة، وبقينا إلى ما بعد ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام وقد كانت طموحات والدي زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في تلك السفرة، إلا أنه لم يتوفر لديه المال الكافي، لذلك رجعنا إلى أرض الوطن.

من نتاج تلك السفرة أن الوالد كان يتعجب من ذكرياتي مما كنت أنقل له من مواقف تلك السفرة ومنها: أننا كنا ساكنين في بيت بالكاظمية يسمى (حوش فرمان) وهو أصغر من (الخان) حيث يوجد بجواره (خان فرمان) وكانت مساحته

كبيرة، وقد سكن معنا بعض الزوار من الأحساء والقطيف والبحرين، لفتت نظري امرأة قطيفية تلبس ثياباً مزينة ببعض التعاليق من الذهب، فأخذت ثيابها وغسلتهم ونشرتهم في السطح فشعرت الشغالة التي بذلك الخان إلى التعاليق في تلك الثياب، ورغبت في سرقتها فاستطاعت أن تفصلهم عن الثياب في أثناء لعبنا مع الأطفال في السطح، فلما علمت صاحبة الثياب بفقد تلك التعاليق من الذهب، أخذت تصرخ: من أخذ التعاليق؟ ولا من مجيب، ولم أستطع التحدث في ذلك خوفاً من ردة فعل تلك المرأة، ولكني لما رجعتُ إلى الأحساء أبلغتُ الوالد بأن العاملة في الخان هي من سرقت تلك التعاليق، فاستغرب الوالد من أنني أذكر ذلك!.

١٣٦٣هـ

أطلق البعض على سنة ١٣٦٣هـ سنة الرحمة، وإن كان سنة الرحمة لها تاريخ مسبق[1]، فسنة ١٣٦٣هـ هي سنة الوباء والمرض المعدي، وهو (التيفوئيد)،

(١) اطلعت على تقرير أعده محمد الحربي، بجريدة الاقتصادية، تاريخ ١٤/ ٥/ ١٤٣٠هـ، العدد، ٥٦٨٩ ذكر فيه (أن كشفت دراسة طبية عن دخول إنفلونزا الخنازير إلى منطقة الجزيرة العربية قبل ٩٣ عاماً، وهو ما عرف في تاريخ نجد بسنة الرحمة، والذي أودى بحياة الكثير من أهالي الجزيرة العربية والخليج والعراق وبقية دول العالم، حيث قدرت الوفيات حينها ما بين ٤٠ و٥٠ مليون نسمة خلال ثلاثة أشهر، بما يعادل ٤٠ في المائة من سكان العالم في تلك الفترة. ويرى الدكتور صالح الصقير استشاري الطب الباطني وباحث في تاريخ الأوبئة في نجد أن ما حدث في نجد عام ١٣٣٧هـ ما هو إلا إنفلونزا الخنازير، وهو امتداد لجائحة عالمية قضت على ٤٠ في المئة من سكان العالم آنذاك، وأضاف الدكتور كانت انطلاقة الوباء في ذلك العام من أمريكا رغم إلصاق المرض في إسبانيا وتسميتها باسم الحمى الإسبانية. والمتتبع لتاريخ إنفلونزا الخنازير في ذلك الوقت: «يعرف كيف انتقل من أمريكا عبر المحيط ليصل إلى فرنسا ومن ثم إسبانيا التي فقدت ثمانية ملايين من سكانها في تلك الفترة». وفي سنة الرحمة حيث وقع فيها الطاعون، وهلك بسببه في قلب الجزيرة العربية ألوف من الأنفس البشرية، وهذا المرض عبارة عن جراثيم قتالة لا تدركها

وكان الناس يتفاءلون بالرحمة فيسّمون بناتهم باسم (رحمة) تفاؤلاً منهم ورفعاً للبلاء الذي حلّ عليهم، وكنتُ في الأحساء بداية تلك السنة، وأتذكر أنه مات في شهر رمضان من فريق الفوارس خمسة أشخاص في وقت متقارب، وانزعج أهالي الفريق بذلك. وكان بعض الأهالي يسمي العيد الذي بعد شهر رمضان (الفطر الأول) وهو عيد الفطر، والشهر الذي بعده يسموه (الفطر الثاني) وهو شهر ذي القعدة، والشهر الذي بعده يسمونه (الفطر الثالث) وهو شهر ذي الحجة.

وأنا بعمر ١٣ سنة كان لي أخ يكبرني اسمه جعفر، قد سافر قبل زواجه إلى البحرين، ثم للكويت، ثم إلى الكاظمية، فلما سمعت الوالدة، رغبت في الذهاب إليه لزيارة أهل البيت عليهم السلام، فعزمت على السفر، واستأذنت من الوالد، وكنتُ مرافقاً لها، وسافرنا من الأحساء يوم ١٨ ذي الحجة (يوم الغدير)، بعد حضورنا المناسبة.

انطلقنا في آخر النهار، وكنتُ لأول مرة أسافر في سيارة القصيبي، والذي كان متكفلاً بنقل السماد من العقير إلى داخل الأحساء، حيث بين خان العقير وميناء العقير هناك ساحة كبيرة، كانت الإبل تنوخ فيها بفعل التجمع على مر السنين، وبما أن تلك الأرض كانت منخفضة، أصبحت كأنها تلة، ولجدنا الشيخ علي الرمضان المتوفى عام ١٢٦٥هـ، والذي كان يدرس في إيران قصيدة في ذلك، منها: أبيات في هذا الصدد، قالها متشوقاً لوطنه الأحساء:

يكّرر بلومي في الرواح وفي المغدا ... وأكـــره منه مـا يعاد ومـا يبدا
ومـالـي والـلـوام لادّر درّهـــم ... قد استحسنوا باللوم سفك دمي عمدا
يريدون صرفي عن هواي سفاهة ... وهيهات يأبي ذاك من طلب الرشدا

العيون المجردة، ولقد وقع هذا الوباء في بداية هذه السنة عام ١٣٣٧هـ، وكان عاماً في نجد والأحساء والخليج والعراق واستمر ثلاثة أشهر والعياذ بالله، وبسببه هجرت مساجد وخلت بيوت من السكان، وهملت المواشي في البر.

يقولون في أرض العجير قذارة فقلت لهم والله اشتاقه جدا
وقـالـوا أبـو زهمول مر مذاقه فقلت لهم والله أحسبه شهدا
ألا ليت لي من مائه المر شربة يصادف حر القلب من طيبها شهدا
ويا ليت لي وهي السعادة وقفة على رمل أم الذر أبري بها الوجدا
فيا ليت شعري هل أبيت برملها وأوقد حمضلا يفضح المسك والرندا
إذا عبقت بي نفحة من دخانه شممت بها ما تحمل الريح من سعدا
أهيم بتلك السوح ودّا وقد دري أخو اللب من ماذا أهيم بها ودا
رعى اللَّه من تلك الديار دياره ومدّ لهم من فيض معروفة مدا
لقد قلدوني منّة لست قـادرا على شكرها حيث ارتضوني لهم عبدا
سقى اللَّه ربعاً كان يجمع شملنا وألبسه الوسمي من نسجه بردا
فلله ربعاً ينبت الأسـد والظبا ويحمي بشوك السمر من خده وردا
لقد نلت فيه منتهى كـل لذة وصاحبت فيه طالعا كان لي سعدا
ليالي وجه الدهر نحوي مقبل ولم يولني الأعراض منه ولا الصّدا
ليالي تأتيني الأمـانـي مطيعة فأبلغ من أوطاري الغور والنجدا
على ذلك المغني المنير وأهله سلام محب نـازح هالك جهدا
له الدهر بعد السلم أضحى محاربا يجر عليه من فنون البلى جندا
رماه بمر القطع من بعد وصله وابـدلـه من قـرب أحبابه بعدا
فأمسي وقد شطت به غربة النوى يصالي من الاشجان في صدره وقدا
يبيت كما بات السليم ويغتدي بقلب حسام البين شطره قدا
وأنـي لأرجـو من إلهي بفضله شفائي بوصل قبل أن أسكن اللحدا

وبعد ما لا يقل عن ١٥٠ سنة من زمن جدنا الشيخ علي الرمضان، أصبح القصيبي ينقل السماد، ليستفيد منه المزارعون لتعمير أرضية النخل، وكان القصيبي يأخذ الركاب من الأحساء ويوصلهم إلى العقير، ويرجع بالسماد إلى الأحساء.

■ العقير

وفي تلك السنة،- وهي أول سنة يكون السفر عن طريق العقير بواسطة السيارة- كان عددنا يزيد على عشرين فرداً، ولما وصلنا العقير، انتظرنا ثلاثة أيام هناك، لأن السفن كانت متوقفة عن نزول البحر، بسبب الهواء الشديد، حيث استمر ذلك الوضع إلى ثمانية أيام، حتى سمحت الحكومة البحرينية للمسافرين بالسفر، فسافرنا إلى البحرين، وانتظرنا حين توفر (اللنج) ثم انتقلنا إلى الكويت، ثم انتظرنا إلى حين توفر (اللنج)، ثم انتقلنا إلى البصرة وانتظرنا فيها أياماً، وأتذكر أننا كنا يوم العاشر من المحرم في (الفاو) وكنا نشاهد المعزين بين النخيل، ولم نصل إلى (كربلاء) إلا يوم الثالث عشر من شهر محرم، وبمجرد وصولنا العراق، سمعنا الأخبار عن كثرة الموتى، وقالوا: إن الوباء الذي حل عليهم هو مرض (التيفوئيد) والذي زاد الطين بلة، طريقة الأكل في أيام الحرب العالمية الثانية، فلا يوجد إلا تمر وإحساس نتيجة قلة الأكل، وكان البديل هو(الجريش) وكانت الفواكه غير متوفرة، فمات كثير من البشر، حتى إن أحدهم نقل لي: أن أكثر من مات هم من الفقراء بسبب ظروفهم الاقتصادية، وعدم قدرتهم على توفير الأكل الصحي، والعلاج من المرض، أما الأغنياء الذين يستطيعون العلاج - وإن كان الطب في ذلك الزمان بدائياً- فبعض التجار كان يسافر إلى البحرين للعلاج.

وبقينا هناك خمسة عشر يوماً تقريباً، وجاءنا علم أن الوالد توفي تأثراً بالوباء، وكان هناك اثنان أو ثلاثة من طلبة العلوم الدينية يصلون على الموتى، وضعوا لهم عريشاً في (السدرة) لانتظار قدوم الجنائز.

■ البصرة

وفي ذلك التاريخ ١٣٦٣هـ، كان يوجد أطباء بدائيون ليسوا على مستوى من الكفاءة، وكان العلاج من (القناقينة) التي تستخرج من شجر الكينة، وأتذكر أن مقابل منزل أخي جعفر في حي الفيصلية شجرة الكينة، وكانت رائحتها طيبة، وقالوا: إن ورقها يستعمل ضد الحمى، ومن هذه الشجرة صنع الأطباء منه علاجاً يسمونه (قناقينة) وموقع ذلك الطبيب بدروازة الخباز، حيث توجد داران، دار على يمينك، ودار على يسارك، والطبيب في إحدى تلك الدارين، وأتذكر أن والدي أخذني إلى الطبيب للعلاج، وكان هندي الجنسية.

وممن توفي بسبب ذلك المرض والدي، فرجعت والدتي إلى أرض الوطن مع بعض أبناء العم، وبقيتُ أنا مع الأخ جعفر هناك للعمل، للاتفاق الذي تم بين من نعمل معه وبيننا، حيث دفع لنا قيمة شغلنا في الخياطة لسنة كاملة مقدماً، مما جعله يلزمنا بالبقاء في العراق للعمل مقابل الأجور المدفوعة مقدماً،

■ أخوه الأكبر الحاج جعفر

وكان سبب اتفاقنا معه حاجتنا لبعض المال لسداد دين الوالد، حيث إن سفر الوالدة إلى العراق، كلف الوالد ديناً رهن فيه خمسين ذراعاً من بيت سكناه، فصار الاتفاق بين الوالد وأخي أن يستدين من الشخص الذي يعمل له أخي في خياطة البشوت بمبلغ ثلاثين ديناراً لتسديد دين الوالد وفك الرهن، وهذا سبب عدم رجوعنا مع الوالدة إلى أرض الوطن، وبقينا سنة كاملة في العراق لسداد ذلك الدين، وكان قيمة الدين ٣٠ ديناراً، وتعادل بالريال السعودي حينها ٤٠٠ ريال تقريباً، وكانت الخياطة بالعراق الكرمك ب ٦٠٠ فلس. ويوجد لبّاس ويقصد بها العباءة، من أجود الأنواع، تخاط بحسب الطلب، وسعر خياطتها بدينار وربع. وقد توفيت جدتنا لأبينا بعده بأقل من أسبوع، ثم توفيت أختنا بعد شهرين.

وقد قلتُ مقطوعات أدبية في رثاء الوالد، ولم يبق منها سوى مقطوعة من تسعة أبيات علقت بذاكرتي لا لجودتها ولكن للذكرى الأليمة المؤلمة، وهذه هي الأبيات:

أبتا بعدك بي ضاق الفضا ... ليت حيني بعد عينيك يحين
عميت عيناي إما قرتا ... بعد يوم فيه أردتك المنون
كنت لي عوناً على صرف القضا ... فعلى حزنك من ذا أستعين
قمر من أفق دنياي هوى ... ودفين بعده الصبر دفين
صوحت بعدك أزهار المنى ... وعرانا اليأس فالعيش شجون
ميّت مالك إرث يقتنى ... لم يورث أهله إلا ضنين
إنما أبقيت في الدنيا لنا ... طيّب الذكر لأهليك يزين

ولنعم الإرث محمود الثنا خالد والـمـال تفنيه السنون
ولـك الرحمة من بـاري السما ولـنـا الـحـزن ومـا شـاء يكون

الكاظمية

كانت سفرتي في تلك السنة أهم فترة في حياتي الأدبية، حيث أنني أتذكر موقفاً جميلاً، فذات مرة كنتُ أتعبث في غرفة لها سحاب من خشب ينسحب ويرجع ويسمى (شيالة)، فحصلتُ على عشرين فلساً من تلك الشيالة، فقررتُ أن أتجول بالكاظمية ماشياً إلى جسر الأعظمية، وكانت المسافة قريبة يقطعها الفرد على قدميه من دون عنوة، وكان الجسر يرتكز على سفن مرتبطة مع بعضها، تمشي عليه السيارات والناس والحيوانات، وكنا نشاهد مياه دجلة بمنظر طبيعي جميل، تحليها مياه البحر المتأثرة بحركتي المد والجزر. وفي طريقي مررتُ على بائع المكسرات المتنوعة، فأعطيتُه ٢٠ فلساً وأخذتُ حمصاً وزبيباً بفلسين، وأرجع لي ثمانية عشر فلساً (ويسمى العشرين فلساً لدى العراقيين بقران واحد) وأتذكر أنه حتى في إيران كانت بعض العملات تسمى قراناً، وأعتقد أن تسمية العشرين فلساً العراقي بالقران تأثراً بالعملة الإيرانية، وأتذكر موقفاً في موضوع القران: حيث إن أحد أولاد العم كان مقيماً في البحرين وله ولدان في الأحساء، أحدهما اسمه طاهر والآخر اسمه علي، وكان يسميهما (طويهر وعليان)، ففي أحد الأيام كان ابن العم يسير في السوق واشترى كمية من السمك نظراً لرخص سعره، ثم ملّحه ونشره على سطح البيت من أجل أن يجف، ليرسله فيما بعد عن طريق أحد معارفه إلى أسرته في الأحساء، أو هو يسافر بنفسه ويوصله لهم، إلا أن ذلك السمك تم أكله عن طريق أصدقائه الذين يسكنون معه في ذلك البيت، ولما علم بذلك من طيب النفس قال في ذلك أبياتاً من الشعر:

يـا رب أنـك تـعـافـي من أكـل مـن ذاك الـصـافـي

صـــافـــي شـــريـــتـــه بـــقـــران شـــافـــي أضـــمـــه فـــرحـــان
حـــق طـــويـــهـــر وعـــلـــيـــان

■ جسر الائمة فوق نهر دجلة والذي يربط منطقتي الأعظمية والكاظمية ٩ - ١٩٣

إلى آخر الأبيات، وكما ذكرتُ ففي طريق مشيتي إلى الكاظمية رأيتُ شخصاً عند قبر الإمام الأعظم أبي حنيفة، وتبين أن هذا الشخص ممن يخدم بالمقام، وكان يبيع كتباً أغلبها صغيرة على شكل كتيبات كان من أبرزها: من قصص ألف ليلة وليلة، وكان ذلك الكتاب مقسماً إلى كتيبات على شكل أجزاء، وكل كتيب صفحاته من عشر إلى عشرين صفحة، فاشتريتُ منه بعض تلك الأجزاء بأربعة فلوس، وهو أول كتيب أشتريه في العراق، حتى إن المخايطة الأحسائيين لما لاحظوا بعض أجزاء كتاب ألف ليلة وليلة بدأ بعضهم يطلب ممن يحسن القراءة أن يقرأ لهم من ذلك الكتيب، وبعدها كنتُ اشتري الكتب من البسطات التي تقع في شارع المتنبي لرخص سعرها (ولأنها مقروءة فيبيعها القارئ ليشتري بذلك السعر كتباً أخرى) فكنا في ذلك الوقت نشتري الكتب بـــ ٢٠ أو ٣٠ أو ٥٠ أو ١٠٠ فلس.

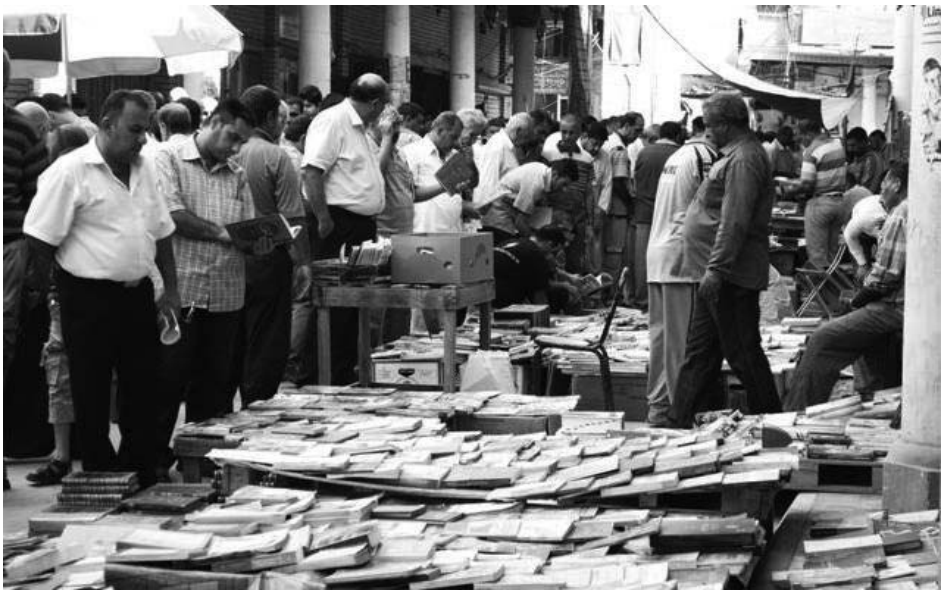

■ شارع المتنبي وسط بغداد

كانت مشترياتي من الكتب الأدبية، لأني كنتُ متولعاً في ذلك الوقت بالشعر، كما أنني اشتريتُ كتاب (مباهج السرة في تاريخ سامراء) بـ ٢٠٠ فلس وهذا الكتاب أعجبني كثيراً، لأن الكاتب يتعرض فيه لتاريخ سامراء وما فيها من (أديرة للنصارى) وهو (المكان المخصص للعبادة وهو أصغر من الكنيسة ويحيط به كثير من الأشعار، والشعراء يذهبون الأديرة ويشربون الخمر فيها ويتغزلون بها لأنهم لا يرون حرمتها، وقد ذكر في تاريخ سامراء أن فيها ما لا يقل عن ١٠٠ دير وكلها عليها أشعار، وقد بقي عندي ذلك الكتاب ونقلته معي إلى البحرين ثم إلى الأحساء.

وقد عبرتُ عن ذلك حين قلتُ:

نظرت إلى نفسي فأنكرتُ نقصها ... وهل كظلام الجهل للنفس من نقص
فقلتُ لها: هيا إلى العلم إنه ... الكمال وما نيل الكمال بمستعصٍ

فقالت:وأي العلم تعني فإنه مناهج شتى لا أكاد لها أحصي
فقلتُ أجـل إن الفنون كثيرة فإن شئت جمع الكل بالأدب اختصِ

المعيشة بالعراق:

تميزت المعيشة في العراق بالرخص، وأستشهد لذلك بهذا الموقف في سفرتنا مع الوالدين لزيارة العتبات المقدسة بالعراق.

طلبت الوالدة من الوالد أن يشتري لنا (معلاقاً) وهو عبارة عن الكبدة والرئة والقلب والكليتين، واستجاب الوالد لذلك. فسألته الوالدة بكم شريته؟ فقال والدي: بسبعة فلوس وكان الدينار يعادل ألف فلس، مما يعكس لك مستوى المعيشة بالعراق.

زيارة المراقد الشريفة:

في أثناء تواجدنا في العراق كنا نتردد على زيارة المراقد الشريفة ونحافظ على أداء الصلاة جماعة في صحن الإمامين الكاظميين عليهما السلام، ونحرص على حضور القراءة الحسينية في المناسبات، ولربما نحضر الاحتفالات التي تقام في الصحن،كما كنتُ أتردد على مكتبة الجوادين بالصحن الشريف، وأستعير من المسؤول بعض الكتب للقراءة، وأما عن ساعات القراءة المركزة فكنتُ أخصص لها أيام العطلة الأسبوعية وفي المناسبات، بحيث لا يتعارض مع الحصول على لقمة العيش.

١٣٧٣هـ

في عام ١٣٧٣ هـ سافرتُ إلى العراق وكنتُ في حينها متزوجاً، فأقمتُ سنة في الكاظمية، ولم يتوقف ترددي على المكتبات العامة والخاصة، وقد اشتريتُ

كتباً كثيرة بسعر رخيص، وكانت معظمها أدبية، وأنزلتُ الكتب إلى البحرين حيث لم تكن هناك رقابة على الكتب بمختلف أنواعها، أما أبرز المكتبات التي اشتريتُ منها فهي من المكتبات التي في شارع المتنبي في بغداد، وبالأخص سوق السراي، وأهل الأحساء يسمونه (سوق السراج)[1].

١٣٧٦هـ:

سافرتُ العراق عام ١٣٧٦ هـ مع أخي جواد (أبي حسن)، وأول ما وصلنا إلى العراق توجهنا إلى كربلاء المقدسة، وقرر الأخ أبو حسن الدخول لحضرة الإمام الحسين عليه السلام، وفي أول دخلة للحرم الشريف سرقت منه محفظته بما فيها من أموال وأوراق وغيره، بعد ذلك هو قرر الإقامة في الكاظمية و أنا قررتُ الذهاب إلى سوريا.

■ الأخ المؤرخ جواد بن حسين الرمضان

(١) هناك طريق في فريق الكوت بمدينة الهفوف أول ما تدخل من الدروازة يسمى طريق السراج.

أول قصيدة:

في عام ١٣٦٤هـ أنشأتُ أول قصيدة، وقد كانت لي محاولات مسبقة ولكنها عبارة عن مقاطع مختصرة، حيث بدأتُ أقول الشعر وعمري أربعة عشرة سنة، وكان أغلب شعري في الرثاء، وينطبق عليه ما ينطبق على ما يقوله حافظ إبراهيم الذي يقول:

ومـــن تصفح ديـــوانـــي ليقرأه فإن شعر المراثي نصف ديواني

وعندما جاء الملك عبد العزيز إلى الأحساء، نظمتُ قصيدة في استقباله وكتب القصيدة الملا طاهر بن محسن آل أبي خمسين، وأخذها مني الحاج عبد اللَّه بن حسن البحراني على أن يقدمها هو، ولكنه أبلغني فيما بعد بأنه لم يقدمها.

أول مشاركة في الإلقاء:

وأول مشاركة لي بقصيدة كانت في الشام، بعدما أُسِّست حسينية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث كان المسجد في الدور الأول، وصادف في ذلك الوقت وفاة السيد محسن الحكيم، فأنشدتُ قصيدة وألقيتُها بنفسي، وقد تجرأتُ في حينها حيث كان عمري ٤٠ سنة، ثم شاركت بمناسبة ثانية في عاشوراء وهي القصيدة الثانية التي ألقيها، أما مشاركتي في البلد فأصبحتُ أشارك في الأحتفال السنوي الذي يشرف عليه الأخ العزيز الخطيب الحسيني محمد صالح بن الشيخ كاظم المطر في الهفوف بمناسبة مولد فاطمة الزهراء عليها السلام على مدى عدة سنوات، ثم توسعت مشاركاتي في الدمام في عدة مناسبات.

العلاقات بين الاتجاهات الفكرية الشيعية:

برز في الأحساء فكر الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وهو من أكابر العلماء وقد قيل: إنه درس في البحرين، كما قيل: إنه هاجر من الأحساء مع كثير

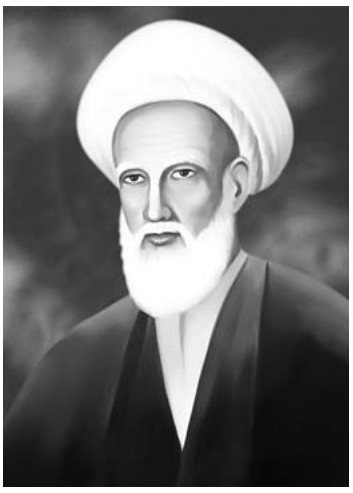

■ الشيخ احمد بن زين الدين

من العلماء للظروف السياسية آنذاك آخر أيام حكم الخوالد في الأحساء عام ١٢١٠هـ، حيث كان الحاكم في الدولة السعودية عبد العزيز بن محمد بن سعود وولي عهده سعود بن عبد العزيز، فجاء بجيشه في تلك السنة إلى الأحساء وأنهى حكم بني خالد في تلك الأحداث التي هاجر فيها الشيخ أحمد بن زين الدين والشيخ عبد المحسن اللويمي وكثير من العلماء إلى العراق وإيران والبحرين.

والشيخ أحمد بن زين الدين أقام في البصرة فترة من الزمن، حيث كان فيها كثير من الأحسائيين، وبعدها أقام في كربلاء المقدسة، وصارت له شهرة ومؤلفات وله صيت واسع، وبعد وفاته أخلفه السيد كاظم الرشتي وسار على منهجه، وبعد وفاة السيد الرشتي افترقت الشيخية إلى فرقتين.

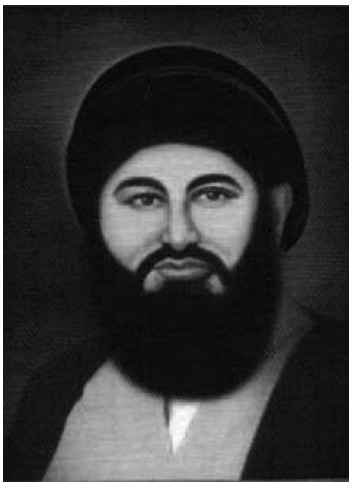

■ السيد كاظم الرشتي

الفرقة الأولى هي الشيخية الركنية. والفرقة الأخرى هي الشيخية الكشفية. ثم وقع الاختلاف على فكر الشيخ أحمد بن زين الدين في كل من العراق وإيران، وامتد أثر الخلاف إلى الأحساء في عهد الشيخ محمد آل أبي خمسين، ولكن نقل عن الشيخ موسى آل أبي خمسين أنه منع الخوض في الاختلاف بين العلماء. وفيما بعد ذلك نشأ الصراع في الكويت والبصرة وامتد

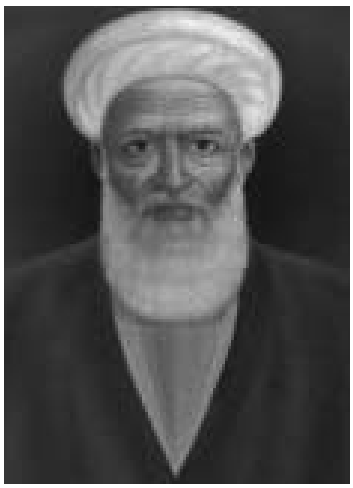

■ الشيخ محمد بو خمسين

أثره إلى الأحساء، حيث كان يتواجد في الكويت السيد مهدي القزويني، قبل أن ينتقل إلى البصرة، وكان شديداً على الشيخية، وأراد الميرزا محسن الفضلي أن يحل الاختلاف في الرأي بين الشيخ حبيب بن قرين والسيد مهدي القزويني (وقد كانوا جميعاً بالبصرة) إلا أن القزويني لم يوافق على إرجاع العلاقة مع الشيخ حبيب بن قرين، إلا بعدما كتب الشيخ حبيب أنه يبرأ من أي عقيدة للشيخية تخالف ما عليه الإمامية، بعد ذلك الحدث انتقل الشيخ حبيب بن قرين إلى الكويت سنة ١٣٥٠هـ، ومن ثم خرج من الكويت إلى البصرة.

أما عن الميرزا علي، فقد جاء إلى الأحساء بعد وفاة المرجع الديني السيد ناصر السلمان، وأول مرة أقام بها شهوراً، بعدها أقام فيها بشكل دائم، وفي عام ١٣٦٠هـ كنا في البحرين، سمعتُ أن الشيخ حبيب بن قرين وصل إلى البحرين

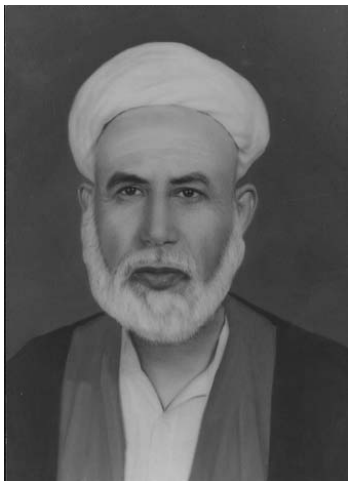

■ الميرزا محسن الفضلي

واستضافه علي الصائغ الملقب بالحمدي من آل محمد علي الصاغة، وهي المرة الأولى التي أسمع فيها عن اسم الشيخ حبيب بن قرين، وتوجه الوالد والعم للسلام على الشيخ حبيب، وكان معه الشيخ كاظم المطر ورأيتُ بالبحرين الحاج علي بن محمد الأمير، والحاج محمد بن عبد اللّه العليو، ثم واصل الشيخ حبيب مسيرة سفره إلى الأحساء، إلا أن الشيخ كاظم المطر بقي للقراءة في البحرين طيلة الأيام العشرة من محرم.

■ الشيخ حبيب بن قرين

سكن الشيخ حبيب بن قرين في فريق الرفعة الشمالية بمدينة الهفوف، وسكن الميرزا علي في فريق الفوارس باعتباره وكيلاً عن والده الميرزا موسى، ولم يكن بين الشيخ حبيب القرين والميرزا علي أي خلاف، وإنما الخلاف وقع من بعض الاتباع غير العقلاء.

أغرقة (غرجان) الهفوف القديمة:

ذكر ابن علوان في توثيق زيارته للأحساء في القرن الثالث عشر: أن الهفوف كانت مسورة ومع التوسع العمراني بنيت بيوت خلف ذلك السور، ولا يوجد إلا ممر ضيق بين السكن والسور، كما ذُكر عن مؤرخ هولندي أنه زار الأحساء قبل مئتي سنة وذكر أن الهفوف تحيط بها البساتين والتي تحولت فيما بعد مساكن للأهالي، وفريق الكوت غالب سكانه في ثلاث مهن: صفافير، ونجارون، وعمال بناء، وفيهم من المهن الأخرى ولكن على نطاق ضيق كالحياكة.

■ سوق الخميس بالهفوف

ولم يكن هناك خندق بين السوق وسور الكوت، ولكن لما رجع إبراهيم باشا من حرب الدرعية في شهر محرم، سمعتُ ما كان يتردد على ألسنة الناس من شعر وأعتقد أنه من شعر الدرسعي، إلا أنني لم أعرفه ومما جاء فيه:

إبراهيم باشا حكم الأحساء ودوايرها في شهر عاشور واستعبد عشايرها
وصيف ياقوت معلق في منايرها

يتبين أن المقطع غير كامل، وبعد ما دمر إبراهيم باشا الدرعية، جاء للأحساء عام ١٢٣٠هـ بجيش وقرر الإقامة في الكوت، والتي فيها سرايا الحكومة وأهل الأحساء يسمونها سراج وهو بيت الحكومة، ففكر أن هذه البيوت الملاصقة التي ما بينها وبين سور الكوت بالأخص الجهة الشرقية تثير قلقاً، فقرر هدم البيوت لتلك المحلة التي تسكن ما بين سور الكوت والقيصرية القديمة الداخلية المتجهة من الشرق للغرب (من مدخل ساباط القريني إلى مدخل الحويش جهة الجنوب تقريباً) حيث يوجد ثلاث قيصريات، وهي قيصرية الهدم، وقيصرية القطاطنة،

وقيصرية الحواويج، فطلب من أهالي تلك البيوت الخروج من منازلهم وهدمها من غير تعويض مالي، وسمعتُ من الآباء أن كثيراً من العلماء لم يجوزوا المرور من السوق (موقع تلك البيوت المهدمة) فالمواقع مغصوبة، فكان من يقرب منها يضطر أن يتجاوز عنها، لئلا يمشي عليها من خلف الحدادين أو بستان بو نعيجة، ثم يتجه من هناك إلى طريق المبرز أو الهفوف أو أم خريسان، ومن الأسر التي كانت ساكنةً في تلك المنطقة: آل غزال، وآل عامر، والبن الشيخ، وآل هلال، وآل القضيب، وآل الغدير، وقد انتقلوا إلى داخل الفوارس، وبقيت محلها ساحة واسعة، وهناك قول:

إن تلك الأسر ترجع إلى أصل واحد وهم:(آل بن مقلد) حيث توجد عشيرة كان لها إمارة في شمال العراق، يرجع نسبهم إلى عقيل بن عامر، وبعضهم يقول عقيل بن عامر بن صعصعة والتي منها أم البنين زوج أمير المؤمنين عليه السلام أم أبي الفضل العباس عليه السلام وكانت لهم إمارة في الموصل، ولهم تعاون مع الحمدانيين في القرن الرابع وبداية الخامس، ثم قضي على دولتهم من قبل الأرتقيين الذين يرجعون في أصلهم إلى الأكراد، ثم عادوا فيما بعد إلى المنطقة، وزعامتهم يسمونهم آل مقلد، وكان أحد زعمائهم يسمى حسين بن مقلد توفي في أوائل القرن الحادي عشر، كان يقيم في البحرين ورثاه الشاعر جعفر بن محمد الخطي بقصيدة، وسماه شيخ القطيف الأكبر. بعد تلك الحادثة التي هاجر بسببها حسين بن مقلد إلى البحرين، ثم سكنوا الأحساء، وقد اطلعتُ على وثائق تثبت بأن آل مقلد سكنوا في كل من العمران والقارة وغيرها.

وأمر إبراهيم باشا ببناء السور وحفر الخندق، وقد شغل الأهالي في ذلك الحفر وفق برنامج مرتب، فيوم يطلب من عمالة الهفوف، وفي يومين آخرين من غير الهفوف، حيث ساهم الكثير في حفر الخندق وبناء السور، وقد ورد في

الأمثال العامية عندنا عندما كان الأحسائيون يبذلون جهدهم لحفر الخندق وبناء السور، بالمقابل كان بعضهم لا يبالي بذلك الشغل، فقيل لهم:

■ القيصرية قديما الهفوف

لماذا لا تهتمون بالعمل في حفر الخندق؟ فيقول بعضهم: (ما قبلنا بذلك إلا على نحو الغصب نشيل الخالي ونخلي المليان) يعني الزبلان ما يرفع فيها الأوساخ حيث أن الأتربة التي ترفع من الأرض أثناء حفر بقوله اللَّه قال: (انصح يا عبدي ولو كنت مسخر) فهنا مثالان في حادثة واحدة، قيل: إنها قيلت: في حفر الخندق وبناء السور. الخندق يحيط بالكوت من جهة الشمال والجنوب والشرق، ولكن لا أعلم إن كان هناك امتداد للخندق جهة الغرب، ولقد لفت نظري في ذلك الاتجاه في فصل الشتاء مستنقع حيث تتواجد منخفضات تتجمع فيها الأمطار، إضافة لفضلات مزارع السيفة، وكان عمق الخندق أكثر من سبع امتار، في جهة الجنوب يمتد الخندق من برج الربعة إلى الهدام، لأن الأمير سعود

بن عبد العزيز في سنة ١٢٠٧هـ لما قضى على آل حميد هدم بيوتهم، وموقعها غرب فريق النعاثل، ثم أمر أن يبنى فيها كوت (قلعة أو الحصن)، والذي بناه أو أشرف على بنائه خزام، وسمي قصر خزام وبقي الخندق إلى بعد عام ١٣٧٠هـ.

■ قصر ابراهيم وبجانبه الخندق الذي بناه ابرهيم باشا

فريق الرقيات:

(الرقيات) هي محلة قديمة كما ذكر في الوثائق والمبايعات، حيث كانت عين الخدود وعين الحقل تسمى طرف الرقيات، ومما يدل على قدم الرقيات وأنها عدة قرى ويتخللها بساتين، والجبلة، والشريفة التي تقع جنوب الرقيات[١].

(١) تشير الوثائق التاريخية القديمة إلى أن أطراف النخيل في الجزء الشرقي من الهفوف هي أربعة أطراف هي: طرف الخدود، وطرف الحقل، وطرف الرفعة، وطرف الرقيات وهو يتبع طرف الرفعة، إلا أن طرف الرقيات وطرف الرفعة لا وجود لها الآن بسبب التمدد والتوسع العمراني على حساب الرقعة الزراعية بالإضافة إلى المساحة الشاسعة التي تشغلها المقبرة

ومعظم أهل فريق الرقيات من المزارعين، وهناك من يرجع منهم لأصل بحراني، وفيهم ممن يرجع إلى مدينة العمران، حيث في أول القرن الثالث عشر، صار شح في مياه الأحساء، التي فضلاتها تتجه إلى الشرق جهة العمران، ثم إلى الشمال والذي يسمى (الأسود)، والذي يتجه إلى الشرق الثاني يسمى (الأصفر) وكانت عليها زراعة متميزة كثيرة ومنطقة متميزة التربة، وتوجد وثائق تعود إلى ٢٧٠ سنة تفيد أن أسرة العبد النبي كانت تسكن في فريق الرقيات.

وقد ذكر والدي أن وقت طلوع الشمس ينتعش سوق الهفوف، ومعظم الحصاد يأتي من طرف مدينة العمران، وحتى بلدة الرميلة كانت مليئة بثمار المشمش، حينما شحت المياه ليصبح مصدر دخلهم بيع الحطب، إلا أنه لما شحت الموارد وغطت الرمال أجزاء من مساحات مدينة العمران، هاجر بعضهم إلى مواقع أخرى.

الجحافة:

آل جحاف من أهل الأحساء من قبيلة عبد القيس على قول، وهناك قول آخر يُعتقد أنهم من عقيل بن عامر، تجمع فيقال جحافة، وللجحافة ذكر في شعر علي بن المقرب العيوني ومن أبياته:

لما أتت أهل القطيف بجحفل ... متوقد كتوقد النيران
في آل جحاف وآل شبانة ... مثل الأسود بحافتي خفان

ويوجد فريق في مدينة الهفوف باسم الجحافة وهو من أقدم الأحياء فيها، ومن الراجح أن الجحافة في الزمن القديم يمثلون تجمعاً سكنياً في تلك البقعة

وكانت سابقاً تمثل مساحات زراعية يزرع فيها الرز الحساوي تعرف بعين حجي تتبع طرف الرفعة أشتراها الحاج محمد بن حسين البغلي بتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٢٠٦هـ وأوقفها مقبرة لدفن موتى المسلمين فيها بحسب ما ذكره الأستاذ المؤرخ حسين بن جواد الرمضان.

من الأرض عرفت باسمهم قبل تأسيس مدينة الهفوف، ومن سكان الجحاحفة القدامى: آل شكر، والبغلي، والبناي، وآل جاسم، وآل حجي.

سكة العجم:

في الوثائق رأيتُ مبايعات باسم (العجم)، لكني سألتُ عن حقيقة مسمى أسرة العجم، وبحثتُ في ذلك ولم أصل إلى معرفة أشخاص كانوا من أصول عجمية سكنوا في تلك المنطقة، إلا أنني سمعتُ فيما بعد أن العجم من العجمان الذين حاربهم الملك عبد العزيز وهناك اختلاف في أصول العجمان: بعضهم يذكر أن ليس لهم ذكر إلا في أواخر القرن الثاني عشر، يقابله رأي آخر يعارض الرأي الأول، ويذكر أن العجمان هم من قبيلة همدان ويسكنون الآن في نجران وبعضهم شيعة إسماعيليون، كما نقل حمد الجاسر أن العجمان موجودون بأقدم من هذا التاريخ، وأنهم انضموا مع من تبقى في البادية من عبد القيس وفرع منهم نزح إلى الأحساء[1].

فريق النعاثل:

فريق النعاثل منسوب إلى بطن من عقيل بن عامر يعرفون بالنعاثل وهم أول من سكنها وهي تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من مدينة الهفوف وتتألف من فريق النعاثل الجبلي وسكانها حياك منهم أسرة بو خضر وأصولهم حسب

(١) وتوجد وثيقة بخط الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (قدس سره) حصل عليها الأستاذ حسين بن جواد الرمضان ومؤرخة في الثامن من ذي الحجة الحرام من عام ١٢٠١هـ، ملخصها باع المدعو حسن بن علي البغلي بوكالته عن والدته فاطمة بنت إبراهيم آل أبي خمسين تمام وكمال خمسة أثمان شائعة من الملك المسمى العظيمي بطرف الرقيات مذيلة بشهادة المدعو حسين بن محمد العجمي أحد أفراد عائلة العجم (من قبيلة العجمان) التي تنسب إليها السكة المعروفة بسكة العجم.

قول بعضهم إنهم من البحرين، وهناك فريق النعاثل الشرقي وفيه الكثير من المخايطة، ومن أقدم من نسب إلى النعاثل الشيخ سلطان بن شهير بن موسى النعثلي الظهراني وقد قام بنسخ أحد الكتب بتاريخ ٢٠ / ١/ ١١١٩هـ.

الرفعة:

الرفعة تمثل نصف الهفوف القديمة، ويرى الكثير من الباحثين أنها أقدم الأحياء فيها.

وحي الرفعة يشمل كلاً من: الفوارس، والفداغم، والشريفة، والرقيات، والجحاحفة، وسكة العجم، والسدرة، وسكة بسطة، والحداديد، والرفعة الشمالية، والرفاعة.

وتشير الوثائق التاريخية القديمة إلى أن هذا الحي أكتسب اسمه من عشيرة الرفعة من قبيلة عبد القيس التي كانت تسكنه في عصور مضت فنسب إليها، ومن بقايا عشيرة الرفعة أسرة البن شكر، ذات النفوذ الواسع بحي الرفعة حيث أن أغلب حي الرفعة كان أملاكاً شخصية ومزارع ونخيل وبساتين وحيشان لهذه الأسرة، وقد ورد في إحدى الوثائق أن شيخ الرفعة وزعيمها عام ١٠٨٧هـ الشيخ محمد بن مهنى البن شكر، ومقبرة الشيعة بحي الرفعة بمدينة الهفوف أشتراها محمد بن عبد الحسين البغلي في عام ١٢٠٦هـ من عائلة البن شكر، وقد نص الشيخ محمد بن عبد اللّه آل عبد القادر في كتابه تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد على انتساب البن شكر إلى قبيلة عبد القيس.

فريق الفوارس:

سمي الفوارس استناداً إلى فارس الشواف، وهو أحد أجداد الشيخ عبد اللّه بن الشيخ حسين بن عبد اللّه بن عيسى بن حسن بن الشيخ حسين بن

الشيخ علي بن حمد بن حسن بن فارس، (آل الشواف) منهم فرع آل عيسى يضم: الشيخ حسين، وله أخ اسمه الشيخ عيسى توفي شاباً، تميز بجمع وتلخيص الكتب، وكان تقيّاً إلى أبعد الحدود، أمه هي بنت علي بن الشيخ عبد اللَّه بن الشيخ محمد الرمضان. وفريق الفوارس هو جزء من الرفعة من مدينة الهفوف، ونصل إليها بالدخول من دروازة الخميس فريق الشمالي على اليسار وقصر إبراهيم على اليمين، ثم تواصل المسير إلى عمارة القصيبي وعمارة العجاجي[١] وخلفها الفريق الأوسط فيه مسميات، يسمى فريق البوسعد أو فريق عين المالحة الذي يمتد إلى الحداديد، بعدها تتجه جهة الجنوب، لتصل بستان بو نعيجة، بعدها من جهة الجنوب أيضاً سكة بسطة، بعدها ينعطف الشارع تجاه السدرة، والتي على يسارها فريق العجم، بعده الجحافحة ثم فريق الرقيات، بعدها الجبلة[٢]. ويوجد بفريق الفوارس سابقاً مسجد يسمى مسجد الصغير (آل شواف)، يقابله بيت وقف للمسجد، وكان الشيخ حسن بن أحمد الرمضان يسكن في محلة تسمى الدريويزة، ولا يوجد لها اتصال بفريق الفوارس إلا عبر طريقين، إما عن طريق السوق، أو عن طريق بيوت العامر، وهناك أسرة تسمى آل اودي تسكن في الطريق ما بين الفداغم إلى بستان بو نعيجة فاستأجر منها الشيخ حسن تلك الدار مدة تسع وتسعين سنة وفتحها طريقاً، وأما أول الفوارس فتقع خلف هذه الدار التي فتحها وانشهر الاسم وأصبح يشمل الكل كما قال الشاعر:

بين صيحي والحويش وبنى ضب مكون حايل محتال
عند الأكل باذل سنه وعند المراجل باخل بالمال

(١) مقابل دروازة الكوت ومقدمة سوق القيصرية.
(٢) انت في السابق منحدراً، وكان البناؤون يأخذون من تلك الجبلة الغيلة.

سكة الحدايد:

إذا أتيت القيصرية من جهة الجنوب ستصل إلى سكة الحدايد، وسميت بذلك حيث عمل الحدادين يشتغلون بالقرب من السكة ويسكنون بداخل السكة.

فريق الشهارنة:

توجد محلة تقع جنوب سوق الحدايد كانت تسمى (بستان بو نعيجة) بعدها تقع بيوت القطان، والبوزيد، والغدير، ثم تصل لطريق يتجه إلى الشرق ومسجد خلفه يسمى فريق الشهارنة، خلفه سكة تسمى سكة العجم، بعدها بخطوات موقع يسمى القصير، وهذا الموقع كان في السابق يعرف بقلعة الشهارنة، وتقع شمال فريق الرقيات.

رأيتُ أربعة أو خمسة بيوت يحيط بها موقع فضاء يوصل إلى عين الحبيشية تسمى قلعة الشهارنة، وفي موقع قلعة الشهارنة سكنه صاغة فيما بعد وسمي بسوق الذهب وإلا في الوثائق القديمة كان يسمى ذلك المحل فريق الشهارنة، ويتضح من قلعة الشهارنة والتي فيها سوق الذهب، وفريق الشهارنة، وبلدة الشهارين كلها مؤشرات تدل على تواجد الشهارنة بالأحساء.

القصير:

كلمة قصر، وإذا صغر يسمى قصير يعني القلعة والحصن.

فداغم:

ينسب حي الفداغم إلى رجل اسمه فدغم من الرولة من قبيلة عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار نزح من شمال جزيرة العرب إلى الأحساء في القرن الثامن الهجري تقريباً وأستوطن جنوب الرفعة الوسطى بمدينة الهفوف وأسس فيها

مسجداً وحفر عيناً عرفت باسمه وقد اختفت العين والمسجد مع مشروع نزع الملكية في عام ١٤٠١هـ، والفدغم اليوم بطون وأفخاذ كثيرة منهم: آل موسى، وآل أبي خميس الذين تنسب إليهم المدرسة الدينية: مدرسة آل أبي خميس بفريق الفوارس من حي الرفعة بجوار مسجد البوخمسين.

السدرة:

إذا طلعت من الفوارس متجهاً إلى فريق الرقيات في منطقة معروفة في براحة تسمى السدرة، وسميت بالسدرة لوجود سدرة فيها مزروعة.

الحلة:

الحلة: من الحلول إذا حلّوا، وهو المكان الذي يحل فيه الناس، مثل الحلة في العراق، وأما في الهفوف فموقعها بعد شارع الحداديد مباشرة تصل إلى الحلة الكبيرة ثم الحلة الصغيرة، ولم تكن سابقاً فيها دكاكين، وإنما تمثل ساحة فيها سوق التمر وبجوارها سوق الشجاجير، وهم بائعو الخضار والفواكه.

فريق الرفعة الشمالية:

الرفعة الشمالية من أقدم أفرقة الهفوف في القرون السابقة (قبل تأسيس الهفوف الحديثة) اكتشفت فيه مدافن غريبة حيث دفنت فيها أجساد في هيئة وقوف، وقد تم اكتشاف ذلك عندما توجهت أجهزة الدولة لتوصيل أنابيب الصرف الصحي، حيث شاهدوا تلك الأموات، وهذا يعكس أن تاريخ الأحساء عريق، ويعود لأكثر من ستة آلاف سنة.

وقد عرف عن اليهود أنهم كانوا من سكنة الأحساء، وكانوا يعتقدون أن الدفن في فلسطين أفضل، فإذا مات أحدهم كانوا يدفنونه في خابية، ثم بعد نزع

اللحم من الجسد، ينقل الميت كهيكل عظمي إلى فلسطين.

ويوجد في فريق الرفعة الشمالية قطّاع حصى وغراريش ومزارعون وحياك ومخايطة... وغير ذلك. يتميز أهالي الرفعة الشمالية بالشجاعة والشهامة، وفي أيام حكم الترك احتاج حاكمهم حراساً للقيصرية ولم يستجب لذلك إلا شخص من سكنة الرفعة الشمالية من أسرة العمر واسمه علي، وجلب معه بعض الأفراد ثم عمل بعده ناطور من أسرة القفاص، أعرفه بطوله وله ولد تزوج بنت الحاج عبد الرضا البوعلي، وأصول القفاص من بلدة الحليلة، وقيل: إنهم من مدينة العمران حيث إن بعض أهالي الرفعة الشمالية من مملكة البحرين (جزيرة أوال) والآخر من مدينة العمران[1].

وقد كان هناك تعاون مشترك بين المخايطة، ومنهم الوالد وبعض الحياك في فريق الرفعة الشمالية، حيث إنهم يشتركون في العباءة، الحايك ينسج العباءة، والخياط يخيطها ومنهم الوالد.

وانفرد فريق الرفعة الشمالية بأن من يعمل في مهنة الخزف في الهفوف فقط عند أهل الرفعة الشمالية، وكذلك غالبية من يقطع الحصى بالهفوف عند أهالي الرفعة الشمالية. وعرفت الرفعة الشمالية بالسلم الاجتماعي. وأتذكر في عام ١٣٥٨هـ كنا في البحرين، وكان الزائرون في السابق للإمام الحسين عليه السلام يأخذون عرفة وعاشوراء، ثم الأربعين، ثم يقومون بزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وكان في ذلك التاريخ السيد ناصر السلمان متواجداً في البحرين للعلاج،ثم توجه للأحساء

(١) سألت والدي عن أصول أسرة البحراني التي تسكن بفريق الرفعة الشمالية فقال لي: هم من قرية بني جمرة، وهناك أكثر من أسرة تلقب بالبحراني، منهم أسرة البحراني الذين يسكنون في فريق الفوارس، كما يوجد من تلك القبيلة في مدينة المبرز، يرجع نسبهم إلى العصفور الذي منهم مراجع الدين، ومنهم الشيخ حسين الخلف بالبحرين، وقد سألتُ عن أصولهم في البحرين فقال الوالد هم من أهل شاخورة ومن أسرة عريقة.

وكانت جلسته في الحسينية الجعفرية بفريق الرفعة الشمالية في سنة وفاته، وقد كان السيد ناصر زاهداً لم يقبل أن يعتاش من سهم الإمام عليه السلام، فاتفق بعض أهالي فريق الرفعة الشمالية على شراء بيت له لحفظ أطفاله واستقراره، ووضعوا بين يديه المال الذي جمع من الأهالي لهذا الغرض، فشكرهم السيد ناصر على مشاعرهم النبيلة، وقال لهم أطفالي لهم اللَّه. ثم طلب منهم توزيع ذلك المال على الفقراء بالفريق. وقد وفقتُ للتوجه إلى تلك الحسينية مع والدي للسلام على السيد ناصر السلمان.

كذلك وفقت أن أدخل فريق الغراريش الذي بفريق الرفعة الشمالية، من أجل أن أستطلع عمل الغراريش، وكنتُ قد سمعتُ عن قصة حدثت هناك، وهي أنه: لما حكم الملك عبد العزيز البلاد، كان أحد المسؤولين يستطلع الأوضاع في الأفرقة (الفرجان) بالهفوف، ومنها أن تجول في فريق الرفعة الشمالية، ودخل جهة ساباط القريني، إلى أن وصل إلى الدوغة، ورأى الغراريش يمارسون عملهم في الفخار، حيث لاحظ من يعمل في تلك المهنة: أن العامل يأخذ قطعة الطين يضعها على المدور ويحركها برجليه وهو ماسكها، وكلمح البصر تصبح تلك المادة مسخنة أو جرة أو كاساً،فظن أن في ذلك سحراً! فسل سيفه مما لفت أنظار من حوله، فقالوا له: إن العاملين في مهنة الفخار يمارسون أعمالهم بمهارة واحتراف، وليس في ذلك سحر! ولما سمعتُ ذلك الكلام قررتُ أن أستطلع عمل الغراريش، وفعلاً لاحظتهم يأتون بطينة غضاريف ويخمرونها، ثم ينتظرون بعض الوقت على الطين حتى يلين، وعند العامل منهم المدور وتحته شيء يحركه برجله، ومن فوق الطينة يعمل منها المنتج كأساً أو غيره.

بفريق الشمالي هناك أسرة المعيلي، ومنهم من أهل فريق الرقيات، وربما بعضهم يعمل في الصفارة والحياكة والزراعة. وأسرة آل عليو، منهم: محمد

العليو (أبو سلمان) حيث كان رجلاً كريماً ويقدر العلماء والأدباء، واجتمعتُ معه في سفينة في طريق العتبات المقدسة سنة ١٣٦٣هـ، وقد كان عمري أربعة عشر سنة، وقد حصلتُ منه على الاحترام والتقدير والاعتناء لما علم بأني من أسرة الرمضان. وهناك أسرة الشافعي، أصولهم من قرية (بو شافع) التي كان موقعها قريباً من بلدة المنيزلة، وكانت مشهورة بكثرة إنتاج المشمش في آخر القرن الثالث عشر،و كان سوق المشمس في الهفوف كسوق الرطب له طلب كثير، لكن اختفت فيما بعد قرية بو شافع بسبب زحف الرمال على تلك المزارع، وبعض الظروف السياسية،وانتقل بعضهم إلى القطيف، وبعضهم إلى فريق الكوت، وفريق الرفعة الشمالية، وأتذكر من أهالي الرفعة الشمالية خطيباً حسينياً كان يطلب المعونة من المؤمنين، ولكنه لا يقبل المساعدة، إلا بشرط أن يقرأ حسينياً، وقد نعى الشيخ موسى آل أبي خمسين بعد وفاته، ولربما يكون هو الملا علي الجوجيب الذي أصله من القطيف. وفي فريق الرفعة الشمالية أيضاً يوجد أكبر بارقة للحياكة بالأحساء وهي بارقة سيالة لأسرة الحمد العلي(الحمضة)، وكانت أسرة الحمضة من الأثرياء بالأحساء. كذلك من الأسر التي تسكن في فريق الشمالي أسرة القريني، وهم مشهورون بالصفارة، ومن نتاجهم دلة مشهورة تسمى (القريشية)، ومن الأسر التي في فريق الشمالي: أسرة القرين، وهي الأسرة التي من أصولها المرجع الديني الشيخ حبيب بن الشيخ صالح القرين، وهم من سكنة فريق النعاثل سابقاً، وهناك أسرة:الشمس موجود منهم في الكويت، وهي من الأسر التي يمتهن رجالها الحياكة ومعرفون بالسمعة الطيبة.

وأتذكر أن صديقاً للأجداد يسمى بو هويد وقد خلف ولدين: أحدهما اسمه عوض، والآخر اسمه: مرزوق، وكان رجلاً شهماً ومواظباً على أداء صلاة الجماعة بمسجد آل أبي خمسين، وبعدها يأتي إلى مجلس آل الشيخ علي الرمضان ليعد القهوة، وفي عام ١٣٥٦هـ، توجه لأداء فريضة الحج في نهاية

عمره (كان عمره قرابة التسعين)، وفي طريقه للحج، أو في عودته نزل لقضاء حاجة، ومشت القافلة عنه فضاع بين الجبال أو ضل الطريق وتوفي ولا وجدت جثته،وهو من فريق النعاثل الجبلي.

ساباط القريني:

هناك ساباطات أو سوابيط عدة في مدينة الهفوف وفي مختلف الأفرقة (الفرجان)، وأرى أن أبرزها وأشهرها من وجهة نظري ساباط القريني بسبب موقعه الاستراتيجي في أحد المداخل الرئيسة لفريق الرفعة الشمالية، كما أنه ينفذ على السوق، وكنا نمر على ساباط القريني في طريقنا إلى أم خريسان، وعند مدخله خمسة أو ستة دكاكين صفافير، منهم من أسرة القريني، وبو مجداد، وأتذكر شخصاً بائعاً اسمه عبد اللَّه عصب، (وكان آنذاك عمري ست سنوات)، وكان مشهوراً بصناعة الملاعق التي من (الماو) بحسب مصطلح الأحسائيين آنذاك، ويقصد بالماو: النحاس المموه، ويعمل بطريقة خاصة، بحيث يصبح بشكل مذهب يلبسه الأطفال للزينة، كما يوجد في الساباط شخص من أسرة الدهنين، والبعض يلقبهم آل دهنيم، ويتبين أنه كان مقيماً في قطر، وصارت له حادثة أهين فيها من قبل أحد المسؤولين، فعزم على ترك قطر، وجاء مع أسرته عن طريق العقير، ولما علم مدير ميناء العقير به، تعرف عليه، وفي ذلك الوقت لم يكن معروفاً استخدام الجوازات، فخاطب مدير ميناء العقير أمير الأحساء عبد اللَّه بن جلوي آنذاك، وأعلمه بشخصية الرجل الذي من أسرة الدهنين، وسمح له بدخول الأحساء، وجاء إلى الهفوف، وفتح محلاً كبيراً قرب ساباط

■ صوره عامه للساباط

القريني، وهو شخص طويل، ووجهه جميل، ولحيته بيضاء وطويلة، وكان صفاراً، وأتذكر أن الوالد إذا مرّ من ساباط القريني وشاهد ذلك الرجل، كان يأتيه للسلام والحديث معه في مواضيع شتى، وسمعتُ فيما بعد أن ذلك الرجل عاد إلى قطر.

ممر رسيول:

كان فريق الرفعة الشمالية مسوراً من كل الجهات، فمن جهة الشمال بجنب ذلك السور توجد منطقة منخفضة كان يباع فيها البقر، وفيما بعد وقع جزء من السور واستغل ذلك لمرور أهل الفريق منه، لمن يرغب التوجه إلى مدينة المبرز، أو عين أم خريسان و... غيره.وهذا الممر نسب إلى (رسيول)، واسمه عبد الرسول بن عبد اللَّه الديرم، لأنه من فتح ذلك الممر – كما ينقل – (بممر رسيول) هي فتحة من السور، توصل أولاً على سوق البقر الأسبوعي، وكانت تباع الأبقار والجمال والأغنام يوم الخميس بتلك المنطقة، وفي شمال سور فريق الرفعة الشمالية، وبعد ذلك السور موقع بستان اليهودي، والذي باعه بواسطة وكيله عبد اللَّه بن حسن الأمير وكان له سور رفيع، وفي ذلك الوقت الذي شاهدتُه لم يكن مزروعاً ولا يوجد بداخله بناء.

فهذا الطريق قرّب المسافة لمن يريد التنقل إلى المبرز – كما قلنا سابقاً – وسمعنا كلمات غير لطيفة في بعض الأماكن الأخرى، ومنها: جفرة الحويش، وجفرة الحويطة[1]. وسميت الحويطة، لأنها تحيط بها المحلات، ومن الأماكن جفرة البخيت وتقع في شرق الرقيات، وتمثل مستنقعات قذرة كان مدخل الحويش من السوق، ثم تمر على ساباط كان يسمى (ساباط الخرس)، تحول فيما بعد إلى ساباط الهاجري، بعد الساباط تأتي إلى ساحة كبيرة ومنخفض يسمونها الجفرة، والجفرة كانت مستنقعاً يحيط بها البيوت ستة أو سبعة بيوت، حيث تتحرك فضلاته إلى ذلك المنخفض، في سنة ١٢٥٠هـ كان عمدة الفريق

(١) آخر سوق الحدايد باتجاه الشرق قبل سور الهفوف وقبل القصير تأتي لك الحويطة.

(الفريج) موسى بن مبارك بن عبد اللَّه الأمير، فلاحظ أن هذا المنخفض تتجمع فيه فضلات قذرة مع مياه الأمطار، مما يسبب إزعاج على أهل تلك البيوت من تلك الروائح، نظراً إلى أن مناخ الأحساء كان جافاً لا يتصاعد منها أبخرة ضارة، كما هي الناتجة من فضلات الناس، فاقترح الأمير على أصحاب تلك المنازل القيام بحفر حفرة تتجمع فيها الفضلات، بدلاً من أن تتجمع في جفرة الحويش، واشترط على نفسه بهذا القرار ولمن يتولى العمودية بعده على أن يسمحوا له بأخذ نصف مساحة الجفرة لبناء بيت لسكناه، وتمت الموافقة على ذلك، وتم حفر الحفرة ووضع لكل بيت مجرى إلى هذه الحفرة وسكن العمدة في ذلك البيت ثم باعه على شخص آخر، في الأخير صار لشخص من أسرة البوعلي اسمه إبراهيم بن علي بن حسين البوعلي، والد الشيخ أحمد البوعلي، فاستراح الناس من تلك القذارة، بعد ذلك دفنت الجفرة وأصبحت موقعاً لتجمع النفايات.

وجهة نظركم:

كانت شريحة من الناس تعتقد في مستنقع الجفرة، فإذا أصيب طفل بمرض يتم تلويث أطرافه من الماء الآسن ليدفع عنه البلاء الذي نزل عليه، وقد لاحظتُ كذلك في جفرة البخيت، إذا تمرض طفل قد يكون أحد الحلول لديهم أن يأتي به أهله إلى جفرة البخيت ويلوثوا جسمه بماء ذلك المستنقع، وكان في اعتقادهم أن ذلك الماء الملوث يقي من بعض الأمراض.

بين الموضوعية والأعراف:

إن منبع هذا هو اعتقادات الناس في بعض الأشياء والأحداث، وأعتقد أن تلك المسميات والتعليقات كانت ضمن أعراف ذلك المجتمع، وهي تزول مع الزمن ولا تترك حساسية لأحد، بل تصبح في خبر كان، وقد تختفي بموت

أصحابها، مما تخف معها الحساسية أيضاً لطرحها، لكن رصد المعلومة وتوثيقها لابد منه، فمثلاً: في القرن الماضي كان يوجد أشخاص ضرب بهم المثل في بعض الأمور، مثل بوجيبل، بو رويس، وكانا من المعتوهين، بحيث إذا قيل: قروص، خلع ذلك الرجل ملابسه وبقي عارياً!، وكان ذلك الرجل يشكو من مرض الفتاق، وهناك امرأة تسمى (عفرة) إذا قيل لها بعض الكلمات: تهتز كأنها جان!،وهناك امرأة تسمى (عديمة) وهي بدوية من فريق الرقيقة إذا قيل لها بعض الكلمات: تثور، وتوجد امرأة يضربون بها المثل في سعة المنخرين واسمها (عيدة) يقولون: مناخر عيدة، ويوجد شخص يقال له: شافي، إذا قيل له: لا إله إلا اللَّه فإنه يرمي من حوله بالحصى،... والكثير الكثير، والحمد اللَّه على نعمة العقل.

براحة:

يقصد بالبراحة: الأرض الفضاء بين البيوت، وتسمى البراحة بأشهر معلم، أو أشهر بيت، كبراحة السدرة أو براحة الحويش، أو براحة زكي، وهكذا، أما الفضاء داخل البيت فيسمى (حوي) وفي اللغة العربية يسمى الفناء.

براحة زكي:

في فرع وزارة المالية الذي بالأحساء يوجد محمد أفندي، وهو أول من تولى إدارة وزارة المالية في الأحساء في عهد الملك عبد العزيز، وكان من موظفي تلك الإدارة الحكومية أيضاً محمد الطويل، وهناك موظف في فرع المالية بالأحساء واسمه: أحمد زكي واشتهر (بزكي) وعمل حتى كاتب عدل، وله بيت عند وزارة المالية يسكن في مدخل مخبز أم رشيد في تلك البراحة ونسبت البراحة له فيما بعد.

أما صالح إسلام الذي أعرف عنه بأنه: أول من رأس شركة للنقل بين

المنطقة الشرقية والأماكن المقدسة.

السكة:

السكة وهي: عادة ما تكون مساحتها طويلة وقد يكون طولها وعرضها واحد، وقد لا يكون وأهل الأحساء يبدلون السين بالصاء ويسمون السكة بالصكة وحتى السكة تنسب لرمز سكن بها.

لويلوة الشوفعي:

كانت خبازة، وتسكن بفريق الرفعة الشمالية، وكان خبزها مشهوراً لأنها تختار نوعين من الحنطة يسمى (الصمة أو النرمة) وهما يزرعان في الأحساء. وتميز خبزها برائحته التي تشم من بعيد، أما غيرها من الخبازين فإنهم يأتون بطحين (كرخانة) وهو مطحون جاهز، وهو اقتصادي، وكان عندها مدار (عبارة عن مطحنة كبيرة تديرها بقرة) وقد لاحظتُ أحياناً أن ولدها يعد الخبز، وكان اسمه سعود، أو أبو سعود وشخص آخر يسمى الملا علي، كان أنيقاً ومتفهماً وعرف عنه أنه يهتم بلبسه وعطره.

دروازة الخميس:

في السابق، كان هناك بر يسمى بر الخميس، وهناك سوق يسمى سوق الخميس لمدن الأحساء وقراها، وهو سوق لجميع الحاجيات، حتى الحيوانات، وأتذكر في الخمسينات من القرن الماضي، حينما نتوجه إلى ذلك الموقع، نرى مكان سوق بيع البقر والجمال والحمير، وكانت الحمير في آخر النهار يدللون عليها في شارع السوق، حيث يركب عليها المحرج ويقول: حراج للبيع.

ودروازة أم خريسان تسمى دروازة الخميس.

دروازة الخباز:

موقع هذه الدروازة شرق الهفوف ومنها يذهب الناس الى عين الحقل وعين الخدود وكذلك مقبرة السديرة مقابل هذه الدروازة خباز، وسميت بهذا الاسم.

دروازة الكوت:

وتنقسم إلى قسمين يسمى الأول: الدروازة الشمالية، تطل على بر الخميس وهناك القسم الآخر الدروازة الداخلية من الكوت، حينما تخرج متجهاً إلى الشرق، مقابل الطريق الذي يتجه بشكل مستقيم، إلى أن يصل لدروازة الخباز، وهذا الشارع كان يسمى شارع (العيش) أو سوق العيش (اي الرز) لأن فيه دكاكين بيع العيش، وفيهم من يسميه شارع (المدير) لأن مدير الشرطة سالم شوقي سكن في تلك المنطقة، وفيه من يسميه شارع (الطويل) لأن محمد الطويل الذي تولى الإدارة المالية في الأحساء بعد محمد أفندي الذي سكن في ذلك الشارع، كان الطويل موظفاً في فرع وزارة المالية وكان مساعداً لمحمد أفندي أيام الأتراك، وحكم الملك عبد العزيز جعل الطويل في مرتبته، وحتى محمد أفندي بقي في موقعه (مسؤول الشؤون المالية) بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام من سيطرة الملك عبد العزيز في الأحساء تقدم محمد أفندي وسلم على الملك وهنأه وقال له: أنا المدير المالي، وعندي كذا ألف في صندوق الدولة. ثم سلمها ووثق فيه الملك عبد العزيز بعدها وأبقاه على المالية، والتي كان موقعها في فريق الشمالي، وفيهم من يسميه فريق آل أبو سعد، لأنهم ساكنين بالقرب منه، وفيهم من يسمي هذا الموقع: فريق الأوسط، لأنه يتوسط بين فريق الرفعة الشمالية والرفعة الوسطى، وفيه من يسميه فريق المحارف، لأنه توجد أسرة تسمى آل محارف سكنت هناك، علماً بأن هناك في فريق الرفعة الشمالية من سكن في موقع المحارف، وسمّي

فريق المحارف، لكن المحارف الصحيح هو فريق الأوسط،و كلمة المحارف تعني: الإنسان الذي حظه سيئ.

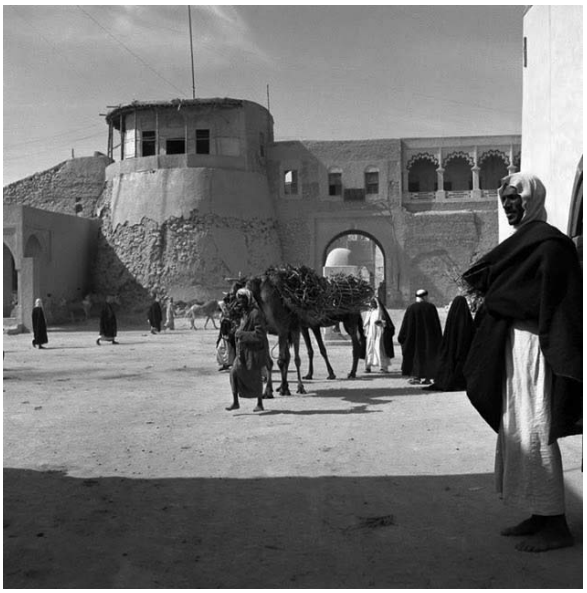

■ درواز الكوت / الهفوف

دروازة الشمالية:

التي تطل على براحة الخيل، وهي تتوسط بين قصر العبيد، فيها مكان للخيل وأنت قادم إلى الشمال.

دروازة الهدام:

بعد نهاية الكوت تصل إلى برج الربعة، بعده تقابل بستاناً، وبعده طريق يتجه إلى الغرب يوصلنا إلى دروازة تسمى (دروازة الهدام) بين النعاثل والكوت، وسميت دروازة الهدام، لأنه عند هذه الدروازة بيوت آل حميد بني خالد، والذي هدمها سعود بن عبد العزيز، وبعد هدم تلك البيوت أمر أن يُبنى كوتاً وهي تعني

الحصن، والذي أشرف على بناء القصر شخص اسمه (خزام) وسمي قصر خزام.

دروازة الصالحية:

كان البعض يسميها دروازة (البدع)، هي مبتدعة بعد ما صار فريق شرق الهفوف، والذي سمي الصالحية صار له دروازة سميت دروازة الصالحية، وقد استحدثت تلك الدروازة في زمن الأتراك. وكانت الهفوف يحيط بها سور تقفل الدراويز على حسب الأمن في تلك الفترة، ولربما تقفل الساعة الثالثة بعد المغرب بحسب التوقيت الغروبي، والتفتيش الصحيح عند دروازة الخميس، حيث البوابة الرئيسية لدخول الهفوف، ويوجد مكتب للجمرك هناك.

عام ١٣٦٠هـ:

من سكة الحداديد إذا اتجهت إلى الشرق، ستصل إلى عين المالحة ثم إلى مسجد صغير، وإذا واصلت مسيرك، تصل إلى الحويطة وهي منطقة منخفضة تحيطها من ثلاث جهات بيوت وفضلات المياه تنتقل إلى جفرة الحويط، والتي تمتلئ بالأمطار مما يحتاج سكان تلك المنطقة – أحياناً إلى نزح المياه، ويعمل (زرانيج صدر) والحمير تضخ.

أتذكر عام ١٣٦٠هـ أن مدير البلدية وكان اسمه (عمر خميس) وهو من أهل الحجاز، قرر أن ينقل موقع سوق التمر، حيث كان موقعه في السابق جنوب القيصرية وخلفه سوق الشجاجير، والذي سبب اختناقاً لمرور الإبل والحمير، وكثرة البائعين والمشترين، ونقله إلى موقع يسمى (الخر) الخر.

الخر:

ورد في المعاجم أن كلمة (الخر) تعني أرضاً منخفضة بين مرتفعات.

وهناك عبارة عند الأحسائيين، إذا كانوا يتحدثون عن شخص مستقل برأيه فإنهم يقولون: (كل يمشي على خر أذنه)[1]. وفي الأحساء جنوب فريق الرفعة الشمالية وشمال محلة تسمى فريق البوسعد أو فريق القصاصيب أو فريق الأوسط (موقع الخر) حيث الساحة الكبيرة، وقد كانت منخفضة، وعندما أقف عند دروازة الخباز وأنظر إلى الخر، أراه منخفضاً (يمكن أن يكون الانخفاض مترين أو أكثر)، وهناك في جهة الشرق (قبل بناء سوق التمر) بستان يسمى: (بستان العريفي) في موقع مرتفع، وفي الجهة الشرقية يوجد مكان يخصص لبيع الجص، ومن وجهة نظري: أن تفكير رئيس البلدية غير صائب في نقله لسوق التمر إلى موقع الخر، فالخر مثل الحويطة، لكنه يختلف عنه أنه أكبر في المساحة، حيث مساحة الخر أكبر من الحويطة بعشر مرات وتم بناء دكاكين التمر، وأصبح من يريد سوق التمر، ينزل نزولاً للدكاكين، وفي سنة ١٣٦٠ نزل يوماً مطر كثير من العصر إلى طلوع الشمس، وانهدمت بيوت كثيرة في الهفوف، وبالأخص في فريق الرقيات وسكة الحداديد، كان ذلك بعد صرام التمر بشهر، والمياه الكثيرة أغرقت الدكاكين فانهدمت وتلف التمر. وكان من عادات الناس في أغلب البيوت أنهم يضعون مخزناً (يسمى جصة) للتمر، حيث يوضع فيها ثلاثة أصناف في أسفل الجصة: (تمر خلاص ثم - فوقه - تمر الشيشي وفي الأعلى يوضع تمر الرزيز)، والحكمة في وضع تمر الرزيز في الأعلى لدبسه الكثير (وحلاوته تكون في بدايته)، ومع مرور الوقت عليه لا ترغب الناس فيه، كما يستفاد من تمر الرزيز دبسه الذي يسيل على تمر الشيشي، والذي يعرف بأنه جاف، فتستفيد التمرة من ذلك الدبس، وتتحسن حالة تمر الخلاص، والذي يؤكل آخر شيء لجودته، حتى لو مضى عليه الحول.

---

(١) ويوجد ببغداد مكان يسمى خر رشيد.

وكان سعر المن من تمر الخلاص بستة ريالات، وكان والدي يشتري تمر الخلاص من المزارع (إبراهيم الخطام) فطلب الوالد من الخطام أن يأتي له بالتمر وكان عنده (غرافة دفن) في الحقل والدفن عبارة عن ضاحية أرز، وصاحبها لا يرغب في زراعتها أرزاً، فكان يدفنها ويسقيها ماء، والغرافة عند المزارعين إذا كانت دفناً تكون أفضل من غيرها، حيث تكون التربة جديدة، ولما وصل لنا التمر، أعطى الوالد الخطام حسابه عندما أخبره أن سعر المنين بستة ريالات، ولما وقعت حادثة الخر ارتفع سعر التمر ووصل سعره إلى ٢٢ ريالاً، فأصدر الأمير سعود بن عبد اللّه آل جلوي قراراً، أن يبقى سعر التمر عند ٢٢ ريالاً خوفاً من التلاعب في الأسعار واستغلال بعض التجار، ثم علق الأمير في خطابه بأن:أي تاجر أو مزارع يحتكر التمر فسوف يصادر، واستقرت الأمور فيما بعد، والملا موسى بن علي الرمضان، قد أنشأ قصيدة في ذلك منها:

والله لولا سيف ولد بن جلوي ما أكل تمره حساوي ولا بدوي
كـان ما ياكل بهجر إلا القوي والـفـقـراء مـا ينحصي قبّارها

والقصيدة طويلة.....

مدينة العمران:

تقع مدينة العمران شرق مدينة الهفوف، كانت مدينة العمران متميزة بمواقعها الزراعية، وكانت أرضها عقلة للمياه، فكل المياه تتوجه إليها، إلا أن المشكلة التي واجهتها هي نقص المياه وزحف الرمال.

سنة ١٢١٠هـ:

في عام ١٢١٠هـ ابتلي الناس بمرض (الكوليرا) وقضى على الكثير في البصرة والزبير والخليج، وأثر ذلك على الأحساء ولكن بنسب أقل.

عيون المياه:

عيون المياه تنقسم إلى قسمين: النوع الأول: العيون التي يجرها الانسان بالعدة فيمسك الدلو ويسحب الماء[١]. وعند أهل الأحساء (يسمى العدة ويسمى في مصر شادوف) وتكون سعة العين مترين او اكثر. والنوع الثاني: يسمى الصدر وتسمى (عين صدر) طولها ثلاثة أمتار تقريباً، والعرض مترين وأكثر، وهي ما تعتمد على حيوانات، وتسمى صدراً، لأنه يسحب الماء من العين بواسطة حمار أو ثلاث أو أربع، وعادة مثل تلك العين تستخدم للزراعة، مثل: عين تسمى (ركية)، وقد شاهدتُ في الحويش عند الجفرة بيتاً يسمى آل محمد صائغ، فيه عين صدر تستخدم للزراعة، ولكن الأهالي فيما بعد استخدموها لتوفير مياه لحاجاتهم المنزلية، بسبب بناء المنازل، وكانوا يسحبون المياه بواسطة الدلو، وآخر عين بقيت للصدر هي عين (الحبيشية) وهي عين واسعة، ومن المؤشرات التي تدل على أنها عين صدر البناء الذي عليها، وكذا يوجد في فريق الرقيات عين (المنحاش) وهي عين صدر، وسميت عين المنحاش لأن بجوار العين بيتاً لحجي (المنحاش)، ويقال إنه من أسرة (العيثان) من بلدة القارة، وأنه لسبب ما هاجر من بلدة القارة، لقب بالمنحاش.

وهناك بعض البساتين التي بالأفرقة (الفرقان) تحولت ما حولها إلى بيوت وهي معروفة، كبستان الحجي بفريق الرفعة الشمالية، ويوجد في آخر القيصرية من الجنوب عين تسمى عين (السعدي) عليها زارنيج، هذه كانت على بستان، والبستان تحول إلى سكن وبقيت العين إلى عهد قريب يسقون منها. ويوجد بيت للحاج أحمد بن عبد اللَّه آل أبي خمسين توفي في الكاظمية سنة ١٣٦٤هـ بوسط البيت (حوي) متسع وفيه عين صدر، وبيت الصائغ كذلك حينما تدخل من الباب قبل صالة البيت (الحوي) تواجهك العين، التي كانت تغذي بساتين في السابق.

---

(١) ييسمى عند المصريين شادوف.

سنة ١٣٧٠هـ:

في عام ١٣٧٠ هـ رزقتُ بولدي الوحيد (سمير) وتعرض لمرض في الصيف، وقد مات الكثير من الأطفال من أمراض القرحة وإسهال الحصبة وغيرهما في تلك السنة، ولبدائية الطب كان يعتمد كثيراً على العلاج الشعبي وعمل الحجب.

سنة الطبعة:

كان يوجد وقت معين للغوص، وإذا انتهى هذا الوقت وعاد الغواصون يسمى (الردة)، وفي عام ١٣٤٤هـ هبت عاصفة وقلبت السفن التي ببحر العقير، ومات فيها الكثير، ويقصد بسنة الطبعة غرق المراكب في البحر، ومات الكثير ممن يعمل في مهنة الغوص بسبب عواصف وأمواج عاتية، مسجلة خسارة فادحة في الأرواح والممتلكات. وممن مات: الحاج أحمد بن عبد اللَّه بن حسن الأمير، فقد كان مسافراً من البحرين يريد العقير، وانقلبت السفينة وغرق في البحر ومات، ومعه أخوه محسن، لكنه لم يمت فقد نجاه اللَّه، وقيل: إنه عاش بعد سنة الطبعة (٣٥) سنة، وكانت لهما قرابة مع أسرة الحمراني حيث يوجد شخص اسمه موسى الموسى الحمراني وهم من الصاغة، وأكبر فرع في آل الحمراني يسمى آل موسى، فهو موسى آل موسى الحمراني، وأخته تزوجها مختار المحلة الحاج حسن بن عبد اللَّه الأمير، وله منها ولدان: ياسين ومحسن، ويوجد شخص من آل حداد، قال لي: إنه كان مع أخيه في تلك السفينة، وقد مات أخوه، أما هو فنجّاه اللَّه.

يوم القرش:

يحتفل النساء بآخر يوم من شعبان (مع قرب إطلالة شهر رمضان) ويسمى (نافلة) ويسمى (يوم القرش) حيث تتوجه النساء فيه إلى العيون الجارية، ويأخذن معهن الغداء، ويستحممن ثم يرجعن أول ليلة من شهر رمضان ويعتبرنه مباركاً.

أسرة القطان:

أقدم بعض أفراد أسرة القطان على استئجار سيارة من نوع (ونيت) كي توصلهم إلى العتبات المقدسة في العراق عن طريق الكويت برا، وذلك عام ١٣٧٢ه ـ، وانطلقوا من الهفوف قاصدين طريق الكويت، ولكن السائق ضل الطريق وتاه في الصحراء، وعجزوا أن يهتدوا إلى الطريق السالك، فبقوا في محلهم وأهلكهم العطش وماتوا. وبعد البحث والتحقيق من أجهزة الدولة، لم يكتشفهم إلا قائد طائرةً كانت تنقل موظفي شركة أرامكو من رأس تنورة إلى الظهران، فأخبر عنهم الحكومة، والتي أبلغت أهاليهم بذلك الخبر، ثم سافر رجال قبيلة القطان ومعهم من الأصحاب والأصدقاء ومعهم مغسلون منهم من فريق الرقيات، وأتذكر منهم: سلمان العبيد، ومحمد الخطام، ويقال: إنهم استعانوا بخليل بن إبراهيم المسلم مغسل الموتى من فريق الرفعة الشمالية، ودفنوهم في الموقع الذي ماتوا فيه.

الأطباء:

كان بعض علماء الدين الأحسائيين يرى أن عليه مسؤولية الاهتمام بالجانب الصحي للناس، وكان بعضهم يتخصص بقراءة الكتب الطبية المتداولة ليقوم بنفسه بالرعاية، فكان يقرأ كتب الطب المتعارف الشعبي، إضافة لطب أهل البيت عليهم السلام، وإذا تمرض أحدهم، يأتي للشيخ الذي يصلي خلفه مأموماً بالمسجد، ويسأله عن علته، وكان الشيخ يجيبه بما يملك من معرفة، وقد لاحظتُ بعض العلماء يأتي إليهم المؤمنون بعد صلاة الظهر أو بعد صلاة العشائين، ويسألونهم عن أمراضهم الصحية، ويجيب عليهم العالم. وتوجد عشيرة تسمى آل بن سليمان، وهي من العشائر العريقة ويدل على رسوخ العلماء في رجالهم، أن منهم الشيخ: إبراهيم بن يحيى بن سليمان، والذي كان يعيش في بلاد فارس وتوفي عام ٩٩٩هـ، ومنهم في

القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، كالشيخ محمد بن حسن بن سليمان، وقد درس على يد عالم من القطيف من (أبو السعود)، وهذه الأسرة فيهم من العلماء والأطباء، والذي منهم: مهنا أبو السعود، وهو موصوف بعلم الطب وتعمقه، وتوفي في القرن الثالث عشر، وقد طلب من الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد زين الدين أن يرثيه بقصيدة وقد رثاه، وقد اطلعتُ عليها، وآل بني سليمان بقوا إلى عهد قريب يرجع الناس لهم ويسألونهم عن علاج بعض الأمراض، ولربما حضّروا بعض الأدوية، وممن يرجع له المرضى من تلك الأسرة: علي وأحمد أبنا حسن بن سليمان، فقد كانا يحضران بعض الأدوية لبعض المرضى من الأطفال مثل الحصبة، والسعال الديكي، والجدري. أما في أواخر القرن الثالث عشر في الأحساء، ممن كان متمرساً في الطب: الشيخ محمد بن علي البغلي، التقى به السيد عبد الجليل الطباطبائي أثناء زيارته الأحساء، وقد وثق زيارته وذكر فيها الشيخ محمد بن علي البغلي، ووصفه بمهارته في الطب، ومن جملة ما قال: إن الشيخ محمداً البغلي كان أشهر من علماء اليونان، ومن (جالينيوس)، وهو يعتبر (أي جالينيوس) غبياً إذا ما قارنا (البغلي) قباله.

وأول ما سمعتُ عنه في الطب الحديث كان في أيام الأتراك، حيث يوجد طبيب قرب البلدية، لكني لا أعلم هل هو من أصل تركي؟ أو مصري؟ وقد لوحظ على هذا الطبيب أن عنده سلوكيات طائفية فهو يسعى إلى أن يفرق بين الشيعة والسنة في الأحساء، مما جعل الشخصيات المؤثرة في الشيعة بالأحساء عام ١٣١٢هـ أن يكتبوا عريضة بلغ عدد من وقع فيها مئة شخصية، ووجهت العريضة إلى السلطان بتركيا[1].

(١) وقد قدمت صورة لي من ابن أخي الأستاذ حسين بن جواد الرمضان عام ١٤١٢هـ، ويقال: إن أصل الوثيقة متوفرة عند: الشيخ موسى بن عبد الهادي آل أبي خمسين، وهذا أقدم ذكر للطب الشعبي.

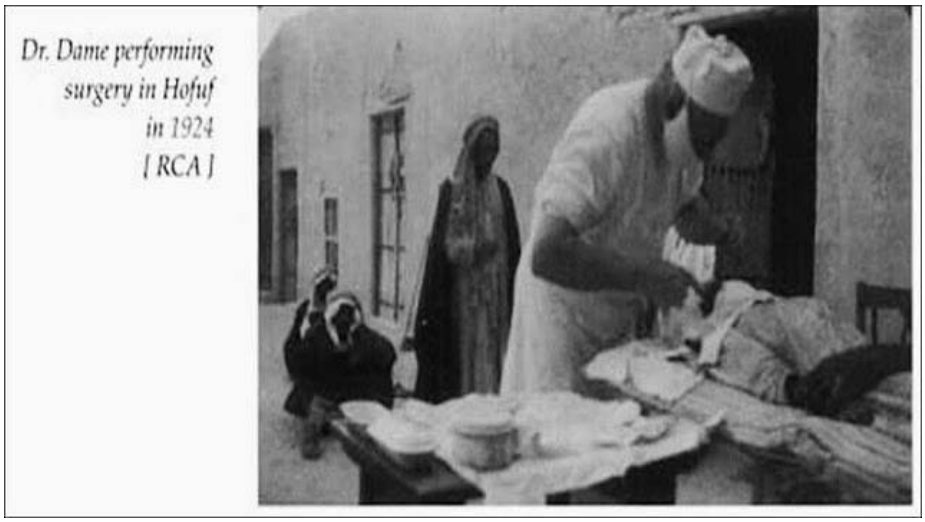

■ دكتر لويس دوم ١٩٢٤

وأذكر في دروازة الخميس، أن فيها طبيباً هندياً، ولما مرضتُ في طفولتي، أخذني والدي إليه، وكان يتواجد في دائرة الجمرك، وأعطاني العلاج.

بعد ذلك توسع دور الأطباء، وكان أكبر توسع في الجانب الصحي الحكومي عدة تخصصات، بمقابل دروازة الكوت في عمارة القصيبي في زمن حكومة الملك عبد العزيز بعدها سافرت إلى خارج أرض الوطن، ولم يكن لدي علم بما توسع بعد ذلك في مجال الطب.

كتاب أمالي الرمضان بقلم سلمان:

كتاب (أمالي الرمضان بقلم سلمان) وهو كتاب تاريخي متميز، أما عن الأخ جواد، ففي صغره عندما سافر الأهل، بقي عندي في الأحساء، وكان يصاحبني ويجالسني كثيراً، ويكون معي للكتابة في الليل، وعندما سافرتُ إلى البحرين واشتريتُ بعض الكتب، كان يأخذها ليستفيد منها، وقد تابعني وتأثر بي، وسبب

ذلك توجهه للقراءة المكثفة، حتى أن أحد إخوتي كان متعجباً من تطور شخصية أخي فكان يقول: هذا جواد أخذ بالعناية بالقراءة أكثر والاحتفاظ بأي ورقة حتى لو كانت ملقاة، كان يأخذها ويقرأها ثم يحتفظ بها إذا كان فيها فائدة.

الفرق بين الأديب والمثقف:

كلمة مثقف تنطبق على الكاتب وتنطبق على غيره، والأديب لا يستغني عن الثقافة فلا يحصل الأدب إلا عن طريق الثقافة، إلا أنه يتم التفريق بين ثقافة التدوين وثقافة المعاشرة يقولون: فلان محجواني أي (حكواتي)، فلولا ثقافته لم يتمكن من الجلوس والحديث مع الآخرين، سواء كان ذلك الزاد المقدم مكتوباً أو غير مكتوب، والأديب لا يكون كذلك من دون ثقافة فلابد للأديب من ثقافة.

وبعض المثقفين على مستوى عال من الثقافة، لكن لا توجد لديهم ميول للكتابة، أو لربما لا توجد مساحة من الحرية تستوعب تلك الكتابات، وعلى سبيل المثال: في المجتمع الذي عاصرته، جلستُ مع أشخاص، وحضرتُ لقاءات معهم وبعضهم كان أمياً، ولكنه إذا جلس مع الناس حدثهم وأعجبهم حديثه.

الحاج محمد بن عبد الله الخرس:

هو محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد المحسن الخرس، وكان من جلساء الوالد، وقد أعجب الناس به من حديثه الشيق، بالرغم أنه أمي (لا يقرأ ولا يكتب)، ولكنه يحب التحدث كثيراً، وعنده معرفة عجيبة، حتى أننا كنا نتعجب مما يتحدث عنه! وكأن ألسنة حال من يستمع له: كيف عرف هذه الأشياء كلها؟ وحتى أنه ذات مرة ذكر لنا موضوعاً من كتاب بحار الأنوار، فقال: هذا موجود في بحار الأنوار في الجزء كذا، واستغرب الحضور، فقالوا له: علّمنا كيف علمت بذلك؟

حيث إن أكثرنا لا يعرف عن كتاب بحار الأنوار، أو ما مر على ذهنه، أو سمع به، ولا حصلنا عليه، ولكن أنت الآن، لا تقرأ ولا تكتب (أمي) كيف عرفت؟ وقبل أن يجيب، دخل شخص علينا يقال له علي بن حسن المحمد صالح، وكان قد سمع السؤال واستوعبه، فقال: يقال: (كن عالماً أو متعلماً أو مجالساً) فهذا من جلساء عمه الشيخ إبراهيم الخرس، والذي بدوره استفاد من دروس أستاذه: الشيخ موسى آل أبي خمسين بالحوزة العلمية، علماً بأن آخر عمر الشيخ موسى آل أبي خمسين اشغلته زعامته الاجتماعية عن الحوزة العلمية، فطلب من الشيخ أحمد بن علي الرمضان الذي توفي بعد الشيخ موسى بسنتين ١٣٥٥هـ تدريس الطلبة المتقدمين في الدروس العليا، التي يدرسها الطالب الحوزوي في مرحلة السطوح وما بعد، وأوكل إلى الشيخ إبراهيم الخرس تدريس المبتدئين من الطلبة، وسمح الشيخ إبراهيم الخرس من يحضر دروسه من غير طلبة العلوم الدينية، فكان يحضر بعض المخايطة درسه للاستفادة، مما يدلي به لطلبته من زاد علمي، فصاحبنا الخياط (محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد المحسن الخرس) يأخذ ما يحتاج له من أدوات العمل في الخياطة من بشت وزري وخيوط و... وغيره، ويتجه لمجلس الشيخ إبراهيم الخرس يخيط من جهة، ويسمع ما يطرح في تلك الحلقة العلمية، علماً بأنه في فصل الصيف كان يشتغل بالغوص لمدة ثلاثة شهور، وإذا رجع الأحساء واظب على حضور دروس الشيخ إبراهيم الخرس مستمعاً، وأصبح ذلك الرجل أعجوبة لدى مجتمعه، حيث إنه لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه رجل مثقف.

الملا محمد بن الملا علي الرمضان:

إن ما أعجبني في شخصية الملا محمد بن الملا علي بن محمد بن أحمد بن عبد علي بن محمد صالح بن حسن الرمضان كان خياطاً ويأتي

■ ملا محمد بن ملا علي الرمضان

للمجلس بعباءته ويخيط، وأنه يحب الحديث من بداية مجيئه للمجلس لحين وقت الصلاة، ويلاحظ أن من حوله يستمع له ويأنس بحديثه المنوع في القصص والنوادر والأمثال، وإذا نطق بكلمة لا يجعلها تفوت حتى يرجع لتقريبها إلى ذهن السامع، مع أن تعليمه كان بسيطاً، حيث لم يدرس غير القرآن الكريم فقط، وكان يقرأ حسينياً، ولكنه لا يعد من الخطباء المشهورين، واشتهر بملا محمد، ولكنه كان مُقِلاً في القراءة والمطالعة، ومع ذلك تتعجب من نوادره المفيدة أو المضحكة!.

الحاج علي بن عبد الله آل أبي خمسين:

ومن الأشخاص الذين تميزوا بالطرائف: علي بن عبد اللَّه بن أحمد آل أبي خمسين، وهو لم يخلف إلا ولداً واحداً، كان قد غرق في نهر الحسينية بكربلاء المقدسة، وهذا الرجل عنده معلومات مهمة، ولكن يطغى في أحاديثه الجانب الفكاهي مما يلفت نظرك، وربما أضحكك وباستمرار، وهو من النوادر.

الحاج عبد المحسن بن محمد الغلام:

ويوجد كذلك عبد المحسن بن محمد بن حسين بن علي الغلام، وكان له أخ اسمه (علي) يأتي لنا مجلس الخياطة لبيع الكتب، وكان يأتي بها في (قفة)، وإن كان علي يتميز بكثرة الحديث، أو كما يقال (محكواني)، ولكن عبد المحسن أكثر فهماً منه، أو أكثر رواية للشعر، فقد كان عبد المحسن راوية أشعار، فديوان

أمير المؤمنين عليه السلام يحفظه بالكامل. وأتذكر وأنا عمري ستة عشرة سنة أو سبعة عشرة سنة كان يأتي لنا علي بن محمد الغلام، وهو من أسرة البن السلمان، وأمه من أسرة الرمضان في الأسبوع مرة واحدة لبيع الكتب علينا، وفي أحد المرات عرض علينا شرح نهج البلاغة لأول مرة أطلع عليه فسهرتُ عليه ليلة من العشاء إلى الصباح ثم أرجعته له في الصباح، وأنا ما زلتُ متعلقاً بذلك الكتاب،فقلتُ في ذلك أبياتاً.

تيمني واحزنا سفر لقلبي فتنا
جاوزني عن خلة والعين تحكي المزنا
فقلتُ للعين التي صارت عليه أعينا
بالله يا عين دعي لومي عدمتي الوسنا
بذلتُ روحي ثمناً لو قبلوها ثمنا

ولكني اشتريتُ نهج البلاغة لما كنت بالشام.

وأتذكر أن عرضت مكتبة الشيخ أحمد الرمضان للبيع، فبيع منها الجزء اليسير، بسبب قلة الطلب على شراء الكتب وتدني الوضع الاقتصادي، وينطبق عليها المثل: (يا عشاءنا يا غداءنا ما لنا هماً سواك)، ففكروا في طريقة لبيع ما تبقى من تلك الكتب بهدف سداد ما عليه من ديون، فطلبوا من الحاج علي بن محمد بن علي بن حسين آل غلام، أن يتجول بالكتب للبيع (وكان خطيباً حسينياً)، فلم يبع شيئاً، فأخذ الكتب ووضعها على رأسه وأصبح يسوقها بالمجالس، وكان كذلك يتوجه إلى المجالس المفتوحة التي بالقرى. والحاج علي بن محمد آل غلام هو أول شخص شاهدتُه يبيع الكتب وبتلك الطريقة التي يحصل من يتفاعل معه بالشراء، ولما انشهر فيما بعد ببيع الكتب، صار الذي يرغب في كتاب يسأله عنه، بالمقابل من يريد يبيع كتاباً يعطيه إياه ليبيعه، وتوفرت في بيته كتب كثيرة،

وأغلب تلك الكتب المتاحة لديه طبعت في العراق، كما أن أغلب زبائنه من العلماء والخطباء الحسينيين بسبب قلة المتعلمين آنذاك.

الحاج موسى القضيب:

في فريق (الرقيات) هناك شخص يدعى موسى القضيب (أبو حبيب)، كان يعمل في مهنة العطارة (حواج) فيه من الذكاء والفهم، يتميز بالانبساط والانشراح والفهم وسرعة البديهة، جلستُ معه وأنا طفل، وكانت أول معرفتي به بالكاظمية عام ١٣٥٣هـ، في حوش (فرمان) في جنب (جون فرمان)، وكان معه ولده حبيب. وعمره اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة سنة، وعمري كان اربع سنوات، وبالنسبة لتتبعي لعلم الأنساب، فقد كونتُ عندي معلومة، أن آل الغدير وآل القضيب وآل العامر يرجعون إلى آل مقلد من زعماء القطيف منهم: شخص له ذكر في ديوان أبي البحر الشيخ جعفر بن محمد الخطي، سمي شيخ القطيف الأكبر، حيث أورد قصيدة في ديوانه يرثي الشيخ بن مقلد وسماه (شيخ القطيف الأكبر آل مقلد)، وقد وقعت حوادث في القطيف وهاجرت تلك الأسرة منها إلى البحرين ثم الأحساء، وهنا في فريق الجبلة شرق الرقيات، توجد ثلاث عشائر، وهم متداخلون مع تلك العوائل، وآل بن مقلد يرجعون إلى عقيل بن عامر بن صعصعة، وكانت لهم إمارة بالموصل، ولكن الأكراد تغلبوا عليهم فرجعوا إلى الأحساء.

مسألة الأنساب:

لقد ضاعت الأنساب بسبب عدم التدوين، فأهل الأحساء نسبهم راق، وأغلبهم يرجعون لأصول عربية، كما أنهم يترفعون عن التداخل مع العوائل المنحطة أخلاقياً، وكما ورد (قل لي من تماشي: أقل لك: من أنت)، (وقل لي

من تداخل: أقل لك: من أنت)، (وصنعة في اليد ولا حاجة للأخو)، و (تعلم صنعة وضعها في الروزنة ولو كنت غنياً).

وأستشهد هنا ما قاله جدنا الشيخ محمد في خطابه للأغنياء، حين يطلب منهم تعليم أولادهم على الحرف:

عـلـى الأب لـلابـن تعليمه إذا الـمـال يشكو أن يذهبا

والناس يعرفون بمداخيلهم، والبعض ينظر لهم إضافة للإسلام والمسكن والصناعة إلى معيار الخلق والتدين وهو الأهم. وهناك نظرة ضيقة يحملها أهل البادية عن الأحسائيين، وغيرهم من يمتهن الحرف، حيث يرون أن كل صاحب حرفة ليس بعربي، وليس لهم نسب معروف وهو ما يرجع لبساطة التفكير لديهم، فهم ينظرون لأهل الأحساء بنظرة دونية هذا حايك وذاك حداد وآخر نجار و....، وربما ساعدهم على تلك النظرة الضيقة من بعض الأحسائيين. فهم يرون الصانع يعمل كعبد عندهم لذا قال أحد الشعراء:

أضحى حنيفة أخـلاقـاً أثلاثاً فثلثهم مـن الـعـبـيـد و....

ومن الطرائف يقال: إنه قيل لشخص من بني حنيفة: أنت من أي صنف؟ قال: أنا من الصنف الذي لا يذكر (يعني لا قيمة له).

ويضيف حمد الجاسر أن بني حنيفة، اكتشفوا في جبالهم معادن الفضة، واستوردوا لهم عمالة من البلاد المجاورة، منهم أهل الأحساء والعراق.

ويقول أحد الشعراء (وهو الأخطل):

خلوا المكارم لستم من أهلها وخـذوا مساحيكم بني النجار

فقد أصبح من يمسك المسحاة للعمل أمراً معيباً عند أهل نجد، كما أن أهل المدينة يسمونهم (النخاولة) وأصلهم من الأنصار، والآن يسمونهم عبيداً،

ويغلب على العرب هذه النظرة، يقول الشاعر الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب الملقب بـ (الأخضر اللهبي):

وأنـــا الأخـــضـــر مـــن يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الـدلـو إلـى عقد الكرب

وقال مسكين الدارمي:

أنـــا مسكين لـــمـــن يعرفني لـوانـي السمرة ألـــوان العرب

ونحن إلى الآن نسمي صاحب الجلد الأخضر بالسواد، ولا نعتبر بيضاً، ويقول النسابة عن البياض عند العرب: إنه مختلط، وأنا أعرف في الفريق شخصاً رزق بولدين، اسم الأول: أحمد وكان شديد البياض، والآخر اسمه: حسن وكان شديد السواد، وملامحهما واحدة، وهما من أب وأم، وعندما كنا بالشام، عندهم صنف من الناس يسمى شكله أبيض وصنف آخر شكله أسمر، والأسمر عند أهل الشام هو مثل الأبيض عندنا.

فأهل نجد كانوا يستوردون العمالة من الأحساء وغيرها، لإنجاز أعمالهم من نجارة، وحدادة، وزراعة، وهم يرون أن العمل فيها معيب.

ولا نغفل ما حدث بعد خلافة رسول اللَّه ﷺ، عندما آلت الأمور للأمويين، حيث شطبوا من الديوان كل شيعي من العطاء المالي الذي يمنحونه غيرهم، لحرمانهم من العطاء الذي يقدم لغيرهم، مما جعلهم يعملون في المهن والحرف التي عمل فيها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من أجل توفير لقمة العيش.

وتاريخنا حافل بالدروس، منها الدرع الذي عند أمير المؤمنين عليه السلام في زواجه، حيث ينسب لفرع من فروع عبد القيس، وهي عشيرة من عبد القيس كانت تصنع هذه الدروع، والحرف كانت موجودة قبل الإسلام، كما هو معروف.

أما بالنسبة لتتبع النسب، فقد كان البدو يهتمون بالنسابة أكثر، بسبب انشغال من يعيش في الحضر بالصنعة والمهنة، ويوجد في المجتمع الأحسائي من هو ينتسب لكن انتسابهم أغلبه غير مدون، فترى عشيرة واحدة أقوالهم مختلفة في النسب بسبب عدم التدوين.

وفي طفولتي وجدتُ من يعتز بنفسه وأسرته ومحلته في الفريق ولكن من غير توثيق، والمعلومة إذا لم تدون على مدار خمسين سنة أو مئة سنة، فستضيع، حيث تفرز عشائر من عشائر.

لفت نظري عند العراقيين: عشائر بني حسن، فمنذ عشرات السنين صار لها فروع، وتوسعت وسميت عشائر بني حسن.

في الأحساء بعض عوائل فريق الفوارس تنتسب إلى آل بني فارس وهم عدة فروع، ويوجد في تلك المنطقة شخص له شهرة في النسب وهو الحاج محمد بن عبد المحسن بن حسن بن عبد المحسن بن الشيخ محمد السليمان، وكان أمياً جلستُ معه وأخذتُ منه معلومات متنوعة عن أنساب أهل الهفوف، إلا أنه ما كان يرتكز على معيار علمي، ولذا لم أدونها فنسيت، وأنا أرى أن الشخص- الذي يحترم نفسه -لا يتكلم عن الأنساب من دون مستند، بل هناك قبائل تعد بعشرات الآلاف ما زال البحث مستمراً عن نسبهم.

وهناك مخرج لمن يكتب عن النسب، بأن يشير في كتاباته، بأنه قيل عن تلك الأسرة بأنها ترجع إلى تلك القبيلة، وهذا يقرب الأشياء ويجعل الباحث التاريخي غير معتمد على قول غير مدعم بمستند، فلا يجزم ولا ينفي.

وفي عصرنا الحالي سهل علينا التدوين، بسبب التقنية والعلوم الحديثة التي تثبت الأنساب، وإلا كان في السابق الوضع صعباً، فعلى سبيل المثال:

حينما نرجع لما دوّن فيذكر عن قبائل بلدة الرميلة، بأنهم من بني محارب بن عبد القيس، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل بقيت بلدة الرميلة على ما عليه سابقاً؟ وهناك بلدة بنى معن مثلاً فهل بقيت التركيبة على ما عليه سابقاً؟.

تجربتي في الأنساب:

لا يوجد كتاب يعتمد عليه في الأنساب، والسبب أنه لم يدون ذلك العلم في وقته، ولا وقع بين يدي كتاب أعتمد عليه، ولا مصادر يعتمد عليها في أنساب الأحسائيين، ولقد تعرفتُ على أنساب بعض الأسر من أفواه الناس، وقد لا يشكل بعضها حقائق، كما أن المعلومة تتعارض من أفراد القبيلة، فقد ترى من يقول عن أصول أسرته إنها ترجع لهذا، ويقابله من الأسرة نفسها من ينفي ذلك.

وموضوع الأنساب قد لا يجدي فيه مؤلف واحد، بل يجب على رأس كل قرن، أن ينهض مؤلف متميز، وإلا فالعشيرة الواحدة تنقسم إلى مجموعات ثم إلى مجموعات، فتضيع روابط النسب الموصلة إلى أصل الأسرة، ومن الكتب التي سمعتُ عنها، كتاب اسمه: (كتاب الشجرة) نقل لي بأنه عند أسرة (آل أبي خميس) ويلقبون (الفدغم) أو تجمع على (فداغم) وكلمة فدغم بقي منها اختصار لها على ألسنة العوام، فإذا وصفوا فتاة جميلة يقولون عنها مفدوغة، بينما هو في القاموس فدغم جميل.

الحمض النووي:

حتى الآن لا أعلم عن نتائجه، ولكني أسمع عن الحمض النووي أو البصمة الوراثية ينقلها إليّ بعض الناس، ولكن غير متأكد من صحتها، وقد سمعتُ أن هناك من يتبنى موضوع البصمة الوراثية، وأنه يتم إرسال عينة إلى الدول الغربية لمعرفة نتائجه، وذلك يتطلب دفع تكلفة البصمة وقدرها ٢٥٠ ريالاً أو أكثر.

كما أنني سمعتُ من شخص ينقل عن المرجع الديني السيد علي السيستاني أنه اعتمد عليها، وبالنسبة لتقليدي، فأنا أقلد السيد السيستاني للبقاء على تقليد السيد محسن الحكيم حيث بقيتُ على تقليده باعتقادي أنه الأعلم.

العادات والتقاليد في الزواج:

الكفاءة في النسب والحسب والسلوك أمر يفرض نفسه، فالأحساء كغيرها، والطبقية لها أثر، وكان الناس في الزواج يرجعون في اختيارهم على حسب ونسب الأسرة، وكما في الاستعمال العامي (هناك أجودي وهناك خضيري وهناك بسري وهناك سواد). الأجودي من جاد فعله، لذا يتعمق في سلوك الإنسان حتى يقال: هذا أجودي أو غير أجودي، وبالمقابل هناك مثل ثانٍ ينقض ذلك، يقول: (أحسب جودي وارثي جدودي أثر جودي من ماوجودي)، فالغنى والفقر له مدخلية في اختيار شريك أو شريكة الحياة، والكلمة التي وردت في هذا المثل لها بيت شعر من عبد القيس الشاعر الصلتان العبدي ربما قبل الإسلام يقول:

إذا قلت يوماً لمن قد ترى أروني السريّ أريك الغنى

فالسري تعني المتميز، ولكن عند شريحة من الناس يبرزون لك الغني والوجيه، والشاعر هو أبو الأسود الدؤلي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والسراة المقصود بهم: القادة والكبار في المجتمع (أصحاب الحل والعقد)، وهذا المعتقد ليس له ضابط شرعي، مما تضيع المعايير عندما تكون الأمور القشرية لها ثقل كبير في موازين الاختيار.

أما سويدي، فأصلها (سوادي) نسبة إلى ريف القرية والمدينة، وأهل الأحساء - بل والعرب كلهم - يرون أن القرية لها ريف، فيطلق على الريف سواد

القرية، لكن فيما بعد أصبح له اسماً ثانياً، وهو (طرف)،كما إذا قيل: طرف بني معن، أو طرف البطالية، كان في السابق يسمى سواد، وإلى الآن العقير كانت في الأول - قبل زحف الرمال- بها زراعة، وكنا عندما نسافر إلى البحرين عن طريق العقير، يقال لنا: هذا سواد العقير، يعني طرف العقير.

لكن من الظلم أن نقول: عن كل واحد (مكري) أنه سويدي لماذا؟ لأن بعض الناس عنده همة، والبعض الآخر ليس عنده ذلك.

أما عن (بيسري)، فأساس استخدامها: إنها انطلقت الجيوش في عهد الخلفاء -الجيوش الإسلامية- إلى بلاد السند تدعو إلى الإسلام، فأسلم من أهل السند جماعة هذا الجيش، ومن بقي في السند تزوجوا وأنجبوا أولاداً، فأصبحوا في غربة، علماً بأن أصولهم من ربيعة وعبد القيس، فأهل السند لقبوا أولادهم بلقب: (باي سر باي) بمعنى: (بلا اصل)، وفي اللغة الإيرانية بمعنى: (رأس)، وعلى سبيل المثال: إن زعيمة باكستان، كان اسمها (بلا نظير بوتو) التي قتلت، (باي) بمعنى (بلا نظير) لا شبيه لها.

وأولاد الجيش أطلق عليهم أهل السند (باي سر)، لما أرجعوا إلى بلاد البحرين، وهم يعرفون بعضهم، وأهل الأحساء إذا أرادوا وصف (أجودي) يقولون: (صوته ما ينسمع)، لكن الهنود والسنود يتكلمون بلغتهم، فسموا كل (بذيء ونذل) (بيسراً) لأنهم شاهدوهم انحرفوا عما كانوا عليه سابقاً.

أما الخضيري: هو الشخص المغمور، وأصله غير معروف.

وإذا عدنا إلى مسألة الزواج في الإسلام، فهو يرى الكفاءة، وأما عند العرب فالنسب والحسب والوزن الاجتماعي.

ولو أردت أن تسأل عن أسرة أي شخص وموقعها الاجتماعي بالقرية، فلا

تسأله: أنتم أجاويد، إنما تسأله أنتم من تداخلون؟ فالناس تعرف بمداخيلهم، وهناك المثل الذي يقول: (قل لي: من تماشي أقل لك من أنت) فهذا في السلوك الشخصي، وقد انتقل هذا الاستخدام أيضاً في الزواج، فأنت توزن الشخص بمن يداخل من الأسر.

إن تسعين في المئة من المجتمع الأحسائي هم عرب أصليون، لكن الغنى يرفع والفقر يضع أحياناً، والمهنة تضع، مثلاً أهل الأحساء عندهم مهنة الزراعة، والمزارعون ينقسمون إلى قسمين: (مكري) يشتغل بالأجرة اليومية، وهناك فلاح يسمى (عراب) هو فلاح، فإما أن يشتغل في ملك له، أو يشتغل في بستان كد، فمثلاً: التاجر الذي يملك بستانين، يأتي بشريك أو كداد ليشرف على النخل ويقوم بشؤونه، فهذا يسمى: (عراباً)، وفي الزواج كان البعض ينظر للأسرة إذا كان المتقدم (مكري) فهم يتكبرون عليه، فلا يعطونه التفاتة، مما يعكس أن المهنة لها أثر، فكان معيب أن يتزوج من أسرة غير معروفة الأصل، وكان الزواج عائلياً على نطاق أوسع حيث للجانب العاطفي مدخل في السابق، والوضع الاقتصادي له أثر كبير. وأنا لي مدة أفكر في الأنساب، فوجدتُ بعض من يعمل (مكيري) يرجعون إلى أصل وأسر عريقة، كربيعة وعبد القيس.

وكان أحد أبناء العمومة عنده غرافة، وموقعها على (أبو الحقل)، وإذا كان موقع الغرافة على نهر وهي تبدأ بنهر واسع ثم تقسم إلى فروع صغيرة، يسميه أهل الأحساء (أبو الحقل)، ومالك الغرافة يعمل معه شخص نسبه يرجع إلى فرع بن عبد القيس، مع أنه كان مغموراً.

الملخص: وربما تجد من الأثرياء الذين يطلق عليهم أصل تجد أصله مغموراً، وقد ترى المغمور هو الذي عنده أصل ولكن ضاع أصله لفقره وضعفه.

وكل هذه الأمور لا يقبلها الإسلام، حيث المعيار قوله تعالى: (إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم) ومعياره نص الحديث الذي ورد عن رسول اللَّه (ص): (كلكم لآدم وآدم من تراب).

الحديث عن الماضي:

يهتم الفرد بقراءة الماضي، عن الشخصيات وبعض الأحداث والتنقلات يقول الشاعر:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى في دهره حتى إذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

فلماذا نهتم بالماضي؟

هناك أكثر من سبب، تجعل الإنسان عندما تمضي الأيام ويتحول من قرن إلى قرن آخر يحن إلى ما مضى، والكلام عن الماضي فيه فوائد كثيرة، حيث إن الحاضر هو نتاج الماضي، والماضي قرون، فلابد أن تتعرف عليه بالقرن الذي قبله. والرجوع إلى الماضي، يمكنني من التعرف على رموز بعض القبائل ونتاجهم، وهذا يعرف عن طريق التدوين أو السؤال، حيث تتعرف على الماضي لتكسب ثمرات كثيرة كما قال الشاعر:

ومن وعى التاريخ في صدره أضاف أعماراً إلى عمره

والباحث يستطع أن يضيف لمجتمعه مدارس ونظريات وتجارب ومهارات وأحداث وشخصيات ومعلومات، فلابد من توثيق أصحاب المواهب من جميع الجهات، على مستوى الفقهاء والشعراء والأدباء والوجهاء والطرائف وأصول الأسر، وأتذكر أنه في أحد المرات كنتُ في دكاني، فمر شخص وسلم عليّ، ورددتُ عليه التحية بأفضل منها مما شجع ذلك الشخص على التوقف، وأصبح

يتحدث بتفاصيل عن مدينة العيون، وعن أسرته وبعض المقاطع التي قرأها لي، مما شجعني على كتابتها بكاملها.

التاريخ الشفهي:

جمع المعلومات الشفهية يعتبر مهماً، بل إن عدم جمعها هو الخطأ، وما يؤكد ذلك في كلمة قرأتُها: (اغتنموا صحبة الشيوخ فما فات لا يعوض)، فمن يوثق التاريخ فهو يتلافى ضياع المعلومة وزوالها، كما أن بداية التحليل تبدأ على معلومة ماضية، ونحن ما لدينا من تراث عن الإسلام، فأصل نقله يعتمد على التاريخ الشفهي. والمعلومة الشفهية التي نحصل عليها تتطلب منا التأكد من دقتها، وقد يتطلب منا (الفلترة) في جوانب معينة، كما علينا مراجعة تلك المعلومات الشفهية حيث إن البعض في حكمه ولأي سبب من الأسباب قد يتهم أو يتجنى على الآخرين ولذا يؤكد ذلك المثل الشعبي الذي يقول: (حب وقل وابغض وقل)، ولذا ترى تنقل الكرامات والاتهامات نظراً إلى أن رأي المحب فيمن يحب ورأي المبغض فيما يبغض، كما أنه من ناحية علينا الحذر من نقل المعلومات التي تجر الفتن، إضافة لما تعرض له بعض المجتمعات من جور من بعض الحكام، فقد تتاح الفرصة لنقل تلك المعاناة في حينها، وهناك من يبيع ويشتري المعلومة بما يحقق مصالحه. وأتذكر أنني كنتُ أستمع لشخص – وعمري عشر سنوات – وهو قد فارق الثمانين من العمر، وصار يتكلم وذكر نفسه أنه من العشيرة الفلانية، وهي عشيرة طيبة، قال: واستثنى جده (الجربي)، وكلمة (جربي) كلمة شائعة عند أهل الأحساء، وقد بحثتُ عنها في القاموس، ورأيتُ أنها تعني الجماعة الغلاظ الشداد، وفي الأحساء الجربي هو الذي يشتغل عند الحاكم ويخدم مصالحه وقد يظلم الناس، وما ذلك إلا أداة تسلط الحكام على الفئة المستضعفة، والعمل على اضطهادهم وقد تهدم منازلهم، وهناك من استغل

هذا الظرف المخيف من الجربيين، وأتذكر أن أحد الجربيين عبر على صاحب الدكان الذي كان مسافراً لزيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام فترة من الزمن، وبما أنها تعتبر من الشركيات لدى البعض، وقد يكون صاحب الدكان مسافراً للتجارة، فيأتي الجربي يطلب من صاحب الدكان مبلغاً من المال، وإذا ما رفض، فإنه يبدأ يستخدم سلطته وأسلوبه الخبيث، فيرفع صوته، ويقول: تقبل اللَّه عملك! مما يخيف صاحب الدكان، (والجربي) قد يؤذي إخوانه أو جماعته، ولا يقدر عليه إلا (العالم المطاع) الذي يحذر الناس منه ومن زيارته، ويمنعهم من السلام عليه، مما يجعل (العالم) هو العدو الحقيقي للجربي.

ومن النصيحة التي أذكرها هنا في النقل الشفهي: أن نتجنب نقل الأشياء المثيرة للحساسية، وقد يتطلب لباقة في النقل لبعض الأحداث، فليس من المناسب في بعض الأحوال ذكر الأسماء لأمور تذكر مساوئ الأموات، وقد يوافق البعض على نقل معلومات موثقة ولكن لا يسمح بنقلها إلا بعد وفاته، كما أن التأكيد على أهمية الموضوعية والأمانة في نقل المعلومات، أمر مهم في هذا الشأن.

نصائح للكتّاب:

الفرد لو قرأ فترة بسيطة، ونمت لديه مهارة الكتابة، يسمى كاتباً. أحد الكتاب قال: قرأتُ كتاب لسان العرب عشرين مرة، فقال له المقدم: ما الفائدة من ذلك؟ أنا استغربتُ من سؤال المقدم ما هي الفائدة؟! بالمقابل هناك أديب قال: أنا عشرون سنة ما فتحت معجماً فسألني أيهما أصوب؟ قلتُ له: الأول. قال: نعم.

ينقل الشيخ علي الطنطاوي عن الملك فيصل بن عبد العزيز أنه إذا شارك في أي حفل مرتجلاً، فإنه يتحدث باللغة العامية، وإذا كتبت كلمته تكتب باللغة

■ الشيخ علي الطنطاوي

العربية الفصحى، وعلينا الحذر حيث إن أغلب الناس ينزلقون في الفتن، من دون أن يشعروا بتلك الأخطاء الفادحة، والمسائل الخلافية لا يفهمها إلا المختصون. ويجب علينا ألاّ نزكي أنفسنا.

ينقل عن الشيخ الدربندي بأنه قال لأحدهم: ماذا تقول لو وصفني أحدهم بالتقوى؟ ثم قال قبل جواب من طلب منه الإجابة: لو شهدت عليّ بالتقوى ضربتُك بالعصا فأنا لست تقياً.

التوجه للكتابة:

للشخصيات الأدبية توجهات مختلفة، فهناك من هو مختص بالكتابة، وهناك من هو مختص بالمجالسة والحديث، فأنا في الحقيقة كنتُ أفكر في بداية حياتي أن تكون لي كتابات كثيرة، لكني أرى أن ما حصلتُ عليه من المعلومات لا يستحق الكتابة. وهناك كلمة (سمعتُها أو قرأتُها) وقد أثرت في نفسي كثيراً، فقد قرأتُ للعقاد كتباً منها: ما كتبه عن رب العالمين وعن نبي اللّه موسى عليه السلام وما أريد أن أعبّر عنه، عبّر عنه العقاد في كتابه عن المسيح، يقول: صارت ضجة قبل سبعين سنة، عن اكتشاف مغارة في فلسطين، وفيها الكثير من المدونات، وفيها آثار عن المسيحية، وعن اللغة العبرية والديانة اليهودية، فكتب عنها في كتاب له عن المسيح، وقال عن تلك الضجة: أنا وجدتُها تحقق لنا الرضا كقارئين ولا ترضينا كمؤلفين، بمعنى أن القراء أعجبتهم تلك المعلومات، لكن أصحاب الفكر والثقافة يحتاجون إلى معلومات أعمق، فهذه الكلمة أرجعتني لنفسي، بحيث جعلت ما وصل إليّ من معلومات، لا يشجعني على التدوين، بل أحتاج

أكثر وأكثر من المعلومات.

كما أنني لا أقارن نفسي بمن لديه شهادات عليا، ولديه باع طويل في الكتابة، وخبرة عميقة في ذلك.

وأرى قراري هذا صحيحاً بالنسبة لقلة كتابتي، ثم يوجد شيء آخر أنني تفرغتُ للكتابة في الشعر، ولم يكن لدي الوقت الكافي للكتابة المتنوعة في التاريخ وغيره، حيث إن الكتابة في حد ذاتها تحتاج للتفرغ، والمثقف يعتبر كغيره هو رب أسرة وشغله الشاغل البحث عن ما يسد احتياجات الأسرة، فأي انشغال بالكتابة الموسعة سيكون على حساب العمل، أو على حساب القراءة المكثفة، أو على حساب نظم الشعر وهكذا.

كما أني لدي ظروف خاصة عبرت عنها بهذه الأبيات:

قناعتي ما جلبت راحة ... هيهات لا راحة في الدنيا
ولا تفرغتُ لنفسي ولا ... أكسبتُها شيئا من الأشيا
ولم أزل في عمل دائباً ... يستنزف الجهد إلى الإعيا
شغلتُ بالقوت وتحصيله ... كأنني من أجله أحيا

والانسان يحيى بالقوت، ولكن لا يحيى من أجل القوت، ولي أبيات أصعب من ذلك، ولكن لا يناسب تدوينها.

أريد أن أعلق على تلك الحقيقة التي وصلتُ لها بعد نقاشك، إن ما وصلتُ إليه قد يقرأ بأنه ليس هو الحل الصحيح، ولكن كما قلتُ: هناك ظروف الحياة وكثرة التحديات مع التبرير والتسويف، مما ساهم ذلك في ضياع الكثير من المعلومات حيث كنتُ سعيداً بتلك المعلومات في حينها، والآن ربما نسيتُها، لذا أنا لم أتوجه إلا لشيء واحد، وأعتقد أنه عند الناس غير مفيد ففي عام ١٣٨٥هـ

شرعتُ في تدوين الأمثال الشعبية وشرحها، وإن كانت تعتبر لا قيمة لها عند شريحة من الناس، ولكنني أعلق بأن كلمة الكمال تتألف من أشياء تافهة، ولكن الكمال ليس بتافه، فقد اجتهدتُ في جمع هذه الأشياء وحفظتُها، ولربما يقال: أن لا عمق فيها، ولكن في النهاية هي تمثل عمقاً لمن يعي كل ما يرتبط بتلك الأمثال، تكشف لك قيم وظروف وواقع مجتمع بكامله.

وكما قلتُ: أنا أميل إلى القراءة أكثر من الكتابة، لأن الكتابة تحتاج لمعرفة تامة، وأما في المطالعة لا يوجد لدي حد، ولا أركز على نوع معين من المطالعة لكي أكون متعمقاً فيه، وأصبح قادراً بمهارة على الكتابة فيه، لأن شوقي للمعرفة حفزني على أن أقرأ كل كتاب يقع بين يدي، وأتذكر عندما كنتُ في الشام حصلتُ على أنواع من الكتب، وكانت رخيصة معظمها في الديانات، منها المسيحية والبوذية والتوراة وغير ذلك، مما جعلني أتبحر فيها، وهذا يعكس ما ذكرته لك سابقاً، بأن مطالعتي ليس لها حد لكنها لم تكن مركزة ومتخصصة في جانب معين، حتى تمكنني من الكتابة في ذلك الفن، وأنا على مدى أكثر من سبعين سنة وأنا أقرأ، فلم تكن قراءتي موضوعية، حيث لم تكن ضمن خطة فلربما يصفها البعض بأنها قراءة تسلية أكثر مما هي موجهة.

كتاب ألف ليلة وليلة:

في الأحساء كان يتواجد من أبناء العمومة اثنان أو ثلاثة يعشقون القراءة، وكنتُ أستعير منهم الكتب ومن تلك الكتب كتاب ألف ليلة وليلة وغيره، وكان عمري آنذاك عشر سنوات.

كتاب هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف:

ولما سافرتُ إلى البحرين ثم العراق وبعدها سوريا،كانت لي محاولات

للتوسع في فهم الأمور الثقافية والفكرية والدينية، وأتذكر كذلك أنني عندما كنتُ بالشام قرأتُ في مجلة عن كتاب (هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف) والكاتب كان فلاحاً، وأصبح يكتب ويستهزئ بالفلاحين، وكلمة (شادوف) كانت تعرف عند الأحسائيين (بالعدة) وهي: عبارة عن دلو يعلق بعود ويربط في جذع، ويصبح في الجذع ثقل ينزله الفلاح ويأخذ الماء ويصبه بهذه الآلة الموجودة، حيث كانت تلك الآلة تستخدم في نقل الماء من النهر.

فذلك الكتاب كان مضحكاً ومسلياً، وقد أفادني من حيث اللغة، ووجدتُ الكثير من الكلمات المستخدمة عند المزارعين أو عامة الناس، كانت موجودة عند المصريين الفلاحين، إلا أن ذلك الكتاب استعاره مني أحد الأشخاص، ولم يرجعه لي.

كتاب رباعيات الخيام:

بعد ذلك حصلتُ على كتاب رباعيات الخيام للسيد طالب الحيدري، وهو ممن ترجم الكتب من اللغة الفارسية ونظمها نظماً، وقد حصل عندي أكثر من خمسة أو ستة شروح ترجمة ونظم، ولكن ما وجدتُ مثل رباعية الخيام ترجمة ونظم طالب الحيدري، حتى إنه مكتوب في مقدمتها: إن مدير كلية الآداب في جامعة طهران، لما اطلع على الترجمة والنظم، قال: هذه عصا موسى تلقف ما يأفكون، مما يعطي المثقف مؤشر تميز لذلك الكتاب وجودة الكاتب، وكنتُ أحفظ الكثير من نكاته، من دون أن يكون لدي توجه في ذلك الوقت، وقد وضعتُه ضمن كتب وحاجيات في بيت أحد أبناء العم في البحرين عام ١٣٧٧هـ واختلفت إليها الأيدي واختفت، وأهم ما فيها: (وشائح السراء في تاريخ سامراء) (وترجمة رباعية الخيام)، ومما ذكر فيه:

كـــلالـــتـــي فـــي نـــــوروز خـــذ فـــي يـــدك الـخـمـرة

ومـــع وجـــه كـــهـــذا الـــزهـــر حـــســـنـــا فـــارتـــشـــف قـــطـــره
بـــنـــفـــس جـــد مـــســـتـــرة وروح طـــلـــقـــت حـــرة
فـــــهـــــذا الـــفـــلـــك يـــــرديـــــك عـــلـــى غـــرة

فرباعيات الخيام هي: تشاؤم مع حث على اغتنام فرص الملذات بالاستمتاع بالحياة، لذا أنا قرأتُ مقالة لأحد المثقفين يتحدث بها عن كتاب رباعيات الخيام يقول عنه: بأنه: رجل متشائم إلى أقصى حد، بالمقابل لديه رغبة شديدة تجاه ملذات الحياة إلى أقصى حد، ثم علق ذلك الكاتب بقوله: بأن ذلك الأسلوب غير موجود عند العرب، بينما اكتشفتُ أنه موجود في العربية، حيثُ وجدتُ بعض الشعراء من جهة متشائم، ومن جهة أخرى يحث على اغتنام الفرص في الملذات، مثل الأبيات التي تنسب ليزيد بن معاوية، ففيها أسلوب التشاؤم واغتنام الفرص في الحصول على ملذات الدينا.

كتاب العائدة:

هو عبارة عن مجموعة من قصائدي الشعرية، وليس كل ما أنشدته من الشعر، حيث بدأتُ أقول الشعر منذ كان عمري ثلاثة عشرة سنة، إلا أن ما قلتُه من عام ١٣٦٤-١٣٦٩هـ ضاع بالكامل، والسبب في ذلك غياب الاهتمام بذلك، وكما قلتُ سابقاً: ما كنتُ في ذلك الوقت أجيد اللغة العربية، وأتذكر أنه في سنة ١٣٦٦هـ زار الأحساء الملك عبد العزيز ونظمت قصيدة في استقباله، الا انها لم تصل للملك ولم تقرأ عليه، ولكن تم تداولها عند بعض الناس، فيما بعد، وقد أخبروني أن القصيدة جيدة، ولكن فيها لحناً، وفي ذلك الوقت لم أكن أعرف شيئاً عن علم العروض، ولهذا أهملتُ الشعر في تلك الفترة، لأنه لم يكن موزوناً وفق المعايير العروضية، وبعد تلك الفترة تعددت سفراتي هنا وهناك، وفيما بعد ١٣٨٥هـ كنتُ حينها في الشام، فجمعتُ ما تبقى من قصائد، وجعلتُ عنوانها:

(مائدة رمضان) والكتاب طبع سنة ١٣٨٤هـ، وما نظمتُه من قصائد فيما بعد، ما زال مخطوطاً وأطلقتُ عليه (مائدة رمضان) الطبعة الثانية.

كتاب أمثال وأقوال:

ولديّ أمثال وأقوال جمعتُها في كتاب وقد أرسل للطبع، حيث يوجد ما يقرب إلى الألف مثل مشروحة، وجمعتُها كجزء ثانٍ وما زالت مخطوطة. كما يوجد لدي تراجم لبعض أعلام عشيرة أسرتي آل رمضان، منها للحاج ياسين الرمضان المتوفى عام ١٣٩٠هـ، وقد شاركتُ بها في حفل بهذا الشأن في حسينية الرمضان، كذلك لدي مقالة على مرور مئة سنة لشاعر الأسرة الملا علي بن محمد بن علي بن موسى الرمضان، وهو جدنا من قبل الأم، ألقيتُها كذلك في ذكرى مرور مئة سنة على وفاته، ويوجد لديّ كذلك قصائد رثاء عن أولاد الملا موسى..... وغيره من العلماء والأدباء.

التأليف:

التأليف يحتاج إلى تفرغ وحضور ذهني. قرأتُ نكتة عن شخص من اليونان من ٢٠٠٠ سنة، وكان مشهوراً بالخطابة، وسأله أحدهم كيف تعلمت الخطابة؟ فقال: من المران، ثم سئل ثانياً وقال: من المران وسئل ثالثاً قال: من المران (يعني التمرن) فالعلم إن لم تعطه كلك لم يعطك بعضه.

أنصح كل مثقف بالتوجه للكتابة لماذا تنصح بأهمية الكتابة وأنت مقل فيها؟

وكما قلتُ لك سابقاً: أتهم نفسي بضحالة معلوماتي، وهو نوع من التعويق، وهو مبرر، وإن كان غير صحيح.

مكتبة التعاون الثقافية:

كان موقع مكتبة عبداللَّه الملا في نافذ من نوافذ القيصرية، بساحة دكاكين القيصرية مقابل سور الكوت، وهي ليست كبيرة، وكانت تعّرف القراء على الإصدارات الجديدة التي يجلبها مالكها من بيروت أو دمشق أو من القاهرة أو من العراق، والتي تعتبر أسهل في إيصال الكتب، فنمت حركة الشراء من المكتبة للكتب، وإن كانت شريحة من الناس آنذاك ترى: أن الإصدارات الحديثة تمثل انحرافاً عن الدين والأخلاق، وأعظم كتاب في الأدب حصلت عليه سنة ١٣٦٧هـ، ولم يكن لدي حينئذ قدرة مالية على شراء الكتب، ولكنني وفقتُ في ابن عم لي يهوى القراءة ويشتري الكتب، وهو الحاج حسين بن حسن الرمضان، وكان من لطفه ومعرفته بعشقي للقراءة إذا قرأ ما يقع تحت يديه من كتب كان يسلمها لي، فأول كتاب شدني واستفدتُ منه في الأدب هو: (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) ومؤلفه: عبد الرحيم العباسي، وهو من الأسرة الحاكمة العباسية، ومن الذين اتجهوا إلى مصر في عصر المماليك، واستقبلهم المجتمع المصري، وجعل الحكم باسمهم فسميت الدولة العباسية الثانية، وكان من الذين حكموا آنذاك، وكان أديباً مثقفاً، حيث تميز في اللغة والأدب والشعر والبلاغة، وتعرف قيمته بقراءة نتاجه الفكري، والكتاب أوجد لي نقلة نوعية، لما يحمله من جودة أدبية، وبقي عندي عدة أيام ثم أرجعته إلى ابن خالي.

وفي ذلك الوقت كانت الحركة الثقافية راكدة، حيث قلة التأليف هي السمة البارزة، وهناك شريحة ممن تنور وغاص في عمق الثقافة، أخذ ذلك من البحرين والتي يسميها البعض ساباط الأحساء، كما أنها بلد عريق في التجارة والاطلاع على الثقافة، ويوجد بها مدرسة الهداية الخليفية، والتي لها ما لا يقل عن ١٢٠ أو ١٣٠ سنة، وغيرها من المدارس العامرة.

أفضل كتاب:

هو القرآن الكريم في الدرجة الأولى، ثم الكتاب الثاني وهو ما يلقبه بعض الناس بأخ القرآن الصغير وهو نهج البلاغة.

طموحات:

لا يوجد في نفسي شيء لم أحصل عليه، سوى عدم التفرغ الجاد للقراءة، فلقد كنتُ أطمح التفرغ أكثر لزيادة المعرفة، فمنذ أن كنتُ طفلاً حتى الآن ما تأسفت على شيء إلا الانشغال عن القراءة.

القدوة:

قرأتُ دواوين، لكن لم يشدني مثلما شدني ديوان الشريف الرضي، وأصبح ذلك الكتاب من أصدقائي الشعراء، ولقد أهدى إليّ ابن العم الحاج ياسين الرمضان كل ما يرتبط بأعمال شوقي الأدبية، وهي محل إعجابي إلا أن فكري ما زال متعلقاً بديوان الشريف الرضي.

الشباب:

نصيحتي للشباب الاهتمام بالمعرفة، وأهم المعرفة معرفة الدين ثم القراءة في الشأن الثقافي، شريطة ألاّ يشغله ذلك عن كسب لقمة عيشه بالحلال، وأن يجتهد في ذلك، ثم يستغل وقته في كل ما يغذي فكره.

الشعراء المحليون:

سمعتُ من أحد الشعراء بأنه يوجد في الأحساء أكثر من مئة شاعر، وأنا لا أثبتُ أو أنفي ذلك، لجهلي بحقيقة ذلك، حيث إنني لم أطلع على شعر مئة

شخصية من شعراء الأحساء، نعم اطلعتُ على نتاج شخصيات أدبية لشعراء بارزين في الأحساء، من أمثال: جاسم الصحيح وناجي الحرز وقد قلتُ أبيات في الأستاذ ناجي بن داود الحرز:

جدد الشعر وتحلى من آل حرز.....

كما أنني قلتُ للأستاذ جاسم الصحيح إنك قلت بيتاً من الشعر، وهذا البيت اعتبره ديواناً، فقال لي جاسم: ما هو ذلك البيت؟ فقلتُ له:قولك:

ما أحوج الانسان حين تضيمه الدنيا لشاعر

فالشاعر له فعالية في التعزية، وهو مبدع في ذلك عندما يبهر الحضور بما لديه من مخزون عميق، فقد أعجبني ذلك وأعتبره ديواناً في تقدير الشاعر والشعراء.

ومن الشعراء الأحسائيين الذين شدني شعرهما الملا جواد بن الشيخ كاظم المطر، والملا صالح بن الشيخ كاظم المطر، وشعرهما راق كشعر أبيهما الشيخ كاظم المطر.

تجربتي الأدبية في البحرين:

في سنة زواجي عام ١٣٦٦هـ كانت لي مساهمات في الشعر، وكان لي ابن عم شاعر، وهو الشاعر والأديب ياسين بن عبد اللَّه الرمضان (أبو منصور) كان يقيم في البحرين، فسمع أني أقول الشعر، فاتصل بأحد أولاد العم، وقال له: سمعتُ أن محمد بن حسين الرمضان يقول الشعر، وأنا أحب أن أطلع على شعره، فجاءني بن العم وقال لي: الحاج ياسين يسلم عليك، ويريد أن يطلع على نتاجك الأدبي، فأنشدتُ قصيدة تاهية، أي ملحقة بالهاء وتتألف من ٣٠ بيتاً، وهي ثناء في شخصية ابن العم ياسين الرمضان، وهي من أوائل شعري، والقصيدة غير موجودة، ولا أحفظ منها شيئاً، إلا أنه لما وصلت له القصيدة، أرسل لي

رسالة يثني على موهبتي الشعرية، ولقبني – من حسن ظن منه – بدعبل الصغير، والشاعر الكبير، وأهدى إليّ ديوان وأعمال أحمد شوقي، حيث توجد له أرجوزة طويلة في تاريخ الإسلام، وله شعر قصصي أسماه أسواق الذهب وهي عبارة عن ستة مجلدات، وهو أول ديوان أحصل عليه، وأنا أعتقد أن الحاج ياسين أهدى إليّ الديوان كي يطلعني على الشعر الحديث، بعد ذلك شكرتُه بقصيدة وضاعت، ولم يبق منها إلا بيت أو بيتان، وفي ذلك الوقت كانت كتاباتي غير واضحة كتبتُ أبياتاً أقول فيها

وذي هديتك العظمى التي شرفت در النظام حوته خير أقراسي
وافت وشكرك معقود بناصيتي حتى الممات وحتى مبعث الناس
أنشدتُ ميميتي إثر الكتاب فهل أجد فتى مثبتاً قولي بقرطاسي
فلا يعد خمولاً بل علي جرى قصر ويعسر علي ما في حوزة الناس

هو لما أهداني تلك المجلدات أنشدتُ له (ميمتي) أشكره على هديته، لكن ما حصلتُ على أحد يكتبها، وخطي ذاك الوقت لم يكن بمستوى لائق، وكنتُ أكتب إلا أن أغلب المحيطين بي قراءتهم غير صحيحة، فإذا اطلع أحدهم على ما أكتبه لم يعرف يقرأه، فأشعروني بأن كتاباتي غير صحيحة.

ثم كتبتُ قصيدة سينية لم أحفظ منها إلا ثلاثة أبيات، أما (الميمية) فاختفت، والتقيتُ بالحاج ياسين فيما بعد، بعدما سافرتُ إلى البحرين وأقمتُ فيها، عقب ذلك التواصل بسنتين، واجتمعتُ معه وصارت بيننا بعض المباحث الأدبية واستفدتُ منه، كما يقول المثل: (أكبر منك بيوم أعرف منك بسنة).

مكتبة التاجر:

يوجد في البحرين مكتبة تدعى مكتبة التاجر، وهي أقدم مكتبة، وموقعها في سوق الطواويش، ومالكها اسمه محمد علي التاجر، وهو أديب وله كتابات،

وقد وفقتُ لزيارته بالمكتبة وتعرفتُ عليه عن قرب، ثم سألتُه عن ثلاثة كتب، وهي كتاب الكشكول للشيخ يوسف البحراني العصفور، وكتاب مروج الذهب، وكتاب في التاريخ لابن الأثير وكان ذلك عام ١٣٦٧هـ، فقد سمعتُ من بعض الأدباء أن تلك الكتب الثلاثة متميزة، فأحببتُ أطلع عليها، فقال لي صاحب المكتبة: تلك الكتب غير متوفرة الآن، إلا أن سؤالك عن تلك الكتب يدل على ولعك بالقراءة، وتلك المكتبة تعتبر من أوائل المكتبات في البحرين، فيما بعد فتحت مكتبات أخرى، كنتُ أشتري الكتب بحسب ما يتوفر لي من قدرة مالية، بالمقابل كنتُ موفقاً في الخياطة من صغري، قبل أن أبلغ ١٥ سنة أستطيع أنافس المتميزين في العمل، وكانت تلك الفترة مرحلة ازدهار الخياطة، فكنا نحصل على دخل جيد بحسب الظروف المعيشية لذلك الزمان ولقد اشتريتُ كتباً أدبية كثيرة، ومعظم كتبي التي بمكتبتي في الأحساء نقلتها إلى البحرين.

وأما عن طبيعة الكتب الأدبية التي أقرأها فكانت معظمها ترتبط بالأدب العام. وأما عن وضع مكتبتي التي بالبحرين، حينما قررتُ السفر إلى سوريا نقلتُ كتبي إلى أحد بيوت أبناء العم في البحرين، فيما بعد تم فقدهم، ومن تلك الكتب القيمة كما ذكرتُ سابقاً كتاب: (وشائح السراء في تاريخ سامراء)، وكتاب آخر لشاعر إيراني الخيام (رباعيات الخيام) ترجمة ونظم: طالب الحيدري ابن عم العلامة السيد كمال الحيدري، وقد تولعتُ به ولعاً شديداً وتأسفتُ أنني لم آخذه معي إلى سوريا.

أبرز الملامح الإيجابية في البحرين:

في بدايتي لم أكن أهتم بالسياسة إطلاقا بل كنتُ أركز على الجوانب الأدبية والثقافية والاجتماعية، وأول ما وصلتُ البحرين عام ١٣٥٧هـ أعجبتُ بما في البحرين من حضارة، فأسواقها تختلف عن أسواق الأحساء، حيث

يميز الأسواق التي بالبحرين آنذاك أن أصناف السلع كانت متوفرة من نوعيات وكميات، بل كان بعضها يصدّر إلى الأحساء، حيث في ذلك الوقت السلع التجارية كانت تصلنا عن طريق البحرين، حيث محطة السفن الضخمة، وكل تاجر في الأحساء، أو أي شخص من أسرته أو من ينوب عنه، يستلم تلك البضاعة من البحرين، ثم تشحن عن طريق البحر، حيث منطقة البحر الذي بين البحرين وبين شاطئ الأحساء يسمى: (خور العقير)، أو تتصل (بأم الصخال) وكان عميقاً، يشعر بها من يسافر متجهاً من العقير إلى البحرين، حيث تواجهه هضبة في البحر حيث تتمكن السفن الصغيرة من عبورها، أما السفن المتوسطة والكبيرة فتنتظر إلى حين مناسبة مرورها، بحسب حركة المد والجزر، حيث كان الموقع عميقاً في البحر، وتوجد هناك هضبة صخرية، إذا سقت الماء تصبح في عمق مترين (المد)، وتسمى في حينها (المفرص) أي تعتبر فرصة لعبور الهضبة، لذا يقولون في الأمثال الشعبية: (الزم المفرص ولا تحرص). وإذا انخفضت المياه (الجزر) تصبح في عمق المتر وعندها يلزم من المسافرين الانتظار. وفي إحدى سفراتنا إلى البحرين كانت السفينة التي تعبر قد توقفت في محطة الانتظار، وبقينا فيها مقدار ساعتين، وفي الوضع الطبيعي يكفيها (عشر دقائق إلى نصف ساعة). وكما قلتُ: إن البحرين سابقاً تميزت بالأسواق الكبيرة جداً كما كانت تمتاز بالحاجيات الخاصة كسوق السمك والخضار. وكانت الأحساء لا توجد فيها إلا قيصرية واحدة، وتقسم إلى القيصرية الطالعية التي احترقت، وهذه بنيت في أول عهد الملك عبد العزيز، وكانت جذوع نخلها في أسقفها مثل بيوت الأحساء مستقيمة، وأما عن القيصرية الداخلية وهي خاصة لبيع (الهدم) والقطاطنة والعطارين، فهذه قديمة وكانت مسقفة بجذوع النخل، ولكنها مسنمة (جذع يقابله جذع ويصبح كالسنام).

أسباب انتعاش الخياطة في البحرين:

إن خياطة البشت والعباءة هي مهنة أحسائية، وقد لاحظتُ في العراق (ومنها البصرة والعمارة وبغداد والكاظمية) وغيرها أن معظم خياطيهم أصولهم أحسائية، وقيل حتى في مسقط، حيث حدثني من سافر إلى مسقط بأنه شاهد هناك خياطين من أصول أحسائية، وبعضهم من أسرة الرمضان.

وكما قلتُ سابقاً عن أسباب الانتعاش في البحرين توفر سوق تجارية حرة دون قيود، وكان ميناء البحرين يستغل لنقل السلع لأهل عمان ومنها: (العبي)، كما كانت البحرين مزدهرة سياحياً أكثر من الأحساء، ولا نغفل العرض والطلب الاقتصادي وتأثيره على حراك سوق البحرين. أما عن الأحساء في الجانب الاقتصادي على مستوى التصدير، فكان ذلك لمنتجات النخلة من التمور فهي في المرتبة الأولى، كما أن أهل الأحساء يصدرون البشوت والعبي إلى أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة في موسم الحج، وكذلك تعرض البشوت (والعبي) الأحسائية في أسواق البحرين في موسم الغوص، فمن يعمل في مهنة الغوص أوجد حركة تجارية مميزة حيث كثرة الأعداد الذين يعملون في الغوص بهدف البحث عن اللؤلؤ في البحار، ويحققون أرباحاً طائلة من ذلك الجهد، وقد تكون الأرباح بعضها خيالية، ومع تحسن من يعمل في الغوص اقتصادياً، يوجّه جزءاً من تلك الدخول المالية لتلبية طلباتهم الأسرية من المأكل والملبس والحاجات الشخصية وغيرها، وهناك مثل أحسائي يقول: (ما دخلنا الغوص لولا حجاويه)، الحجاوي يقصد بها الأرباح النهائية التي تتحقق لمن يعمل في مهنة الغوص. كذلك التأثير الاقتصادي في مواسم الأعياد من شهر شعبان إلى شهر ذي الحجة على كافة المناطق، وقد تتميز البحرين على الأحساء في ذلك أيضاً.

الحراك الثقافي في الأحساء:

ما بين ١٣٥٠- ١٣٦٠هـ لم تكن هناك مكتبات في الأحساء، وفي عام ١٣٥٦هـ تقريباً لما توفي الشيخ أحمد بن علي بن محمد آل موسى الرمضان (وهو خال والدي) وقد خلف ابنتين، فعلم أن وصيه هو الحاج حسن بن علي الرمضان والذي باع تركته بالكامل لسداد ديونه، وقيل إنه باع حتى أواني البيت.

قلة الكتب:

وأما عن سبب قلة الكتب، فهو انتشار الأمية ١٣٦٠ - ١٣٧٠ وما يدل على ذلك أن في (المحلة) لو أرسل المسافر رسالة لأهله (وكان بعضهم يسمي الرسالة الصغيرة (بروة) وبعضهم يسميها (خطاً)، والبعض يسميها (مكتوباً) فلو وصلت الرسالة، يتنقل صاحبها من سكة إلى أخرى ليبحث عمّن يقرأ تلك الرسالة.

الوضع الاقتصادي في العراق:

بما أن العراق بلد كبيرة فهي لا تقارن بالبحرين الصغيرة، ويكفيك أن تتصور أعداد الزائرين للأماكن المقدسة بالعراق، وهناك اعتقاد عند البعض عندما يصل إلى بغداد ويطلّع على ما تتميز به يقول: أنا أول مرة أرى الدنيا! حيث يشاهد الأسواق والشوارع والبنايات العالية والمكتبات أو المغازي (حيث يسمون العراقيين الدكان الكبير مغزى) وغير ذلك، إضافة إلى ما يشاهده من جمال الطبيعة وجمال الإنسان، وأتذكر في زمن الطفولة أن بيتنا بالأحساء لا يوجد بينه وبين السوق إلا مائتي متراً، فكنا نلعب في السوق، وحينما أشاهد ملامح الناس أراها مخيفة من الهزال في أيام الجوع، حيث تشعر أن بعضهم ما يأكل لحماً نهائياً من الفقر، ويبان ذلك في وجوههم، ولكننا لما سافرنا إلى العراق رأينا الوجه الصبيح والمعيشة جيدة ومستوى الانفتاح أكثر من البحرين.

الوضع الاقتصادي في سوريا:

كان مستوى المعيشة في سوريا منخفضاً جداً، حيث رخص المنتجات على مستوى الملابس والعمارات، كما أن المطبخ السوري هو أغنى مطبخ عربي، بنوعية وأصناف أكلاته، حتى إني وجدتُ ذات مرة شخصاً في شارع الأمين عند عمارة تسمى (الينس)، فقالوا لي: هذا ملجأ للأطفال. كما أنه في ذلك الموقع يوجد سوق موسمي ليوم الجمعة يتميز عن غيره من الأيام، ويباع في ذلك السوق مختلف الأنواع والأصناف.

ملجأ الأطفال:

سمي ذلك الشخص ملجأ الأطفال، لأنه إذا توفي أحد الأشخاص وعنده حاجات خصوصية (أولاده لا يحتاجونها، يقومون ببيعها على ذلك الشخص، أو أنهم يتفقون مع ذلك الشخص على بيع تلك الحاجات مقابل مبلغ من المال)، فعلى سبيل المثال: قد يكون الأب مثقفاً وأولاده غير مثقفين ولا يعطون قيمة لتلك الكتب، فيطلبون من ذلك الشخص بيع مكتبة أبيهم، وقد كنتُ من عملائه أشتري منه كتباً، وفي إحدى المرات اشتريتُ منه كتاباً متخصصاً في الطبخ السوري حيث وجدتُ ما لا يقل عن ٦٠٠ نوع في الطبخ السوري، وتميز ذلك المطبخ بالتفنن مما يوجد القرب العاطفي في علاقة الأزواج. كما أنني لاحظتُ الهدوء والتفاهم وعدم التسرع عند السوريين، فهم يختلفون عمن تعاملت معهم من العراقيين، حيث توجد فيهم حدة، بينما السوريون الذين تعاملتُ معهم فيظهر منهم الهدوء في الأعم الأغلب.

موقف في سوريا:

وأتذكر أنني ذات مرة خرجتُ مع ابني سمير وعمره كان ثلاث سنوات، لزيارة ابن عم لي في (خان فرمان) وكان مدخله على شارع سوق عامة، وكان

بتلك الدار نوع من النوافذ يسمى (شيالة) كانت تطل على السوق، وكانت تلك الدار مميزة ويكثر الطلب عليها لاستفادتها من ضوء الشمس، فمسك ابني سمير ورقة يلعب فيها وسقطت منه، أو لربما رماها من النافذة، فسمعتُ صوتاً عالياً من أسفل ذلك المبنى فنظرتُ من النافذة لمعرفة مصدر ذلك الصوت، ورأيتُ شخصاً واقفاً، فلما شاهدني قال: يا غريب كن أديباً! بالمقابل كنتُ أذهب لبائع اللحم لأسأله عن محل معين أريد التوجه إليه، فصار يصف لي المحل، فقلتُ له: يا حجي أنت تصف لي المحل وأنا غريب فأنا لا أعرف وصفك هذا. فقال: لا تقل أنا غريب، إنما الغريب هو الشيطان.

تجربتي الأدبية في سوريا:

في سوريا لم يكن لدي اتصال بأي مؤسسة أو منظمة أو مجمع أو ناد أدبي، إلا أنني شاهدتُ كثرة الكتب وتنوعها ورخص قيمتها، وكنا نشتري الكتب من الأرصفة، حيث توجد طاولة وعليها كتب كثيرة وتباع بأقل من نصف أو ربع قيمتها، مع أن قيمتها عندما تباع للمرة الأولى بمكتبات سوريا رخيصة جداً، حيث سعر الكتاب قد تحصل عليه بربع ليرة أو نصف ليرة، وذلك شجعنا على شراء كتب كثيرة في يوم الجمعة من كل أسبوع (يوم العطلة عن العمل)، وأغلب الكتب نحصل عليها في شارع له مسميات كثيرة في أوله، فشارع يسمى: (سعد اللَّه الجابري) يقع بالقرب من بوابة الصالحية، وتباع في هذا الشارع الكتب المقروءة، حيث تتراكم عند القارئ الكتب، ثم يقرر بعضهم التخلص منها، أو لربما الخدم الذين يعملون في بيته يلاحظون أن صاحب البيت أكمل قراءة الكتاب فيعرضونها للبيع بثمن رمزي، إضافة إلى أن هناك أفراداً إذا ماتوا تباع مقتنياتهم والذي يشتريها في الغالب شخص يحب القراءة وقد يكون هو بالمقابل بائع محتويات منزله من أثاث وأدوات مكتبية وكتب. ومما لفت نظري أن الكتب

المعروضة في سوريا شاهدتها أكثر من العراق[١].

ولقد لاحظتُ أن العراقيين عندهم إقبال على القراءة، ولكن كثرة الكتب المعروضة المقروءة في سوريا أكثر من الكتب المقروءة المعروضة في الكاظمية، فأنا هنا لا أتحدث عن تقييم الفرد السوري في القراءة، أو أن أحكم عليه بعمق ثقافته على الفرد العراقي، ولكنني أصف أن الكتب المعروضة للبيع متواجدة بصورة أكثر في سوريا، حيث تجد في بوابة الصالحية عربات كثيرة تبيع الكتب المقروءة، فلا يمكن اعتباره إلا دليلاً على أن الشعب السوري يحفزه السعر المتدني للكتاب على اقتنائه.

أثناء إقامتي في سوريا، نظمتُ قصيدة فيها حنين للوطن قلتُ فيها:

ما حنيني إلى ربوع بلادي ... يا ابنة الشام بدعة للعباد
أنا ممن في كل واد يهيمون ... وخير الهيام في خير وادي
أتغارين من حنيني لأرض ... ولدتني فأحسنت ميلادي
هي أمي وفي الحنين إلى الأم ... دليل الوفاء في الأولاد
بردى ساغ لي ولم ينسني الحقل ... وهيهات رغم أنف البعاد
لك مني هوى العشيقة دوماً ... ووداد كحبها في ازدياد
ولها يا دمشق مني مكان ... هو فوق الهوى وفوق الوداد
ما ثراها ومنه كونت إلا ... من رفات الآباء والأجداد
قال لي صاحبي: تماديت حباً ... قلت في الحب: لا يعاب التمادي
وطني زائد الجمال لهذا ... حاز حبين من دمي وفؤادي
ذكره في فمي ألذ وأشهى ... من زلال أصاب غلة صادي
هو أنشودتي وكم رقص القلب ... على لحن ذلك الإنشاد

(١) طبعاً بالنسبة للكتب المقروءة التي يطلق عليها البعض الكتب القديمة، وإن كان يتردد على ألسنة الأدباء بأن مصر تكتب وبيروت تطبع والعراق تقرأ.

وإذا شـأت أن تكون عذيري وتـرانـي على هـدى ورشـاد
زر بلاد الأحساء تجد في حماها خير شعب خصوا بخير بلاد
وتوجه إلى الشمال أو الشرق ففي الكل رونـق لحسن باد
سترى جنة على وجنة الصحراء كـالـخـال فـوق خـد سـعـاد
سـتـرى جـنـة وتـسـمـع صـوتـاً مـن مناد هنا الجمال ينادي
سترى مـن مروجها كـل مرج كـبـسـاط مـن رائـع السجاد

... إلى آخر القصيدة.

وكم آلمني عندما عدتُ إلى الوطن، فوجدتُ عين الحقل الواقعة شرقي مدينة الهفوف، وقد أصبحت - ويا للأسف واللوعة - أثراً بعد عين، وسبحان مبدل الأحوال، ولقد وقفتُ عليها وهي حفرة وكأنها عبارة فرغت من محتواها حتى أصبح لا معنى للمقابلة بين بردى وبينها حيث لا وجود للحقل بتاتاً على أرض الواقع.

غير أن العمل من أجل الكسب على العيال فرض نفسه وشغلني عن هوايتي، حتى قلت شاكياً: وإنها لنفثه مصدور وأنّه موجوع:

أنـا فـي هـذه الـحـيـاة كأني غبت عنها فلي إليها اشتياق
شغلتني عـن الـتـأمـل فيها بتكاليفها الـتـي لا تطاق
ما نصيبي وكـل وقتي لرزقي مـن حـيـاة لا كـانـت الأرزاق
وهموم الحياة ضرب من السجن وفـي السجن للوجود فـراق

المذاهب الإسلامية:

دين رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ومقالاتهم دين، لأن المذهب جاء عن اجتهاد، والأئمة عليهم السلام غير مجتهدين، فحينما تسأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام يجيبك مباشرة وليس عن اجتهاد واستنتاج، فلو أن أحداً سألك عن مذهبك وقلت له:

مرجع التقليد هو مذهبي، فهذا صحيح، لأنه هو الذي استنتج، فالعالم يفسر ما قاله الإمام جعفر الصادق عليه السلام أو عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بحسب فهمه للدليل، أو لربما دخلت في حكمه الأهواء والمصالح، ولا نغفل الأفق الضيق في وقوع الصراع من هنا وهناك، وأتذكر أن شخصا تحدث عن الأئمة عليهم السلام وقال: إنهم مجتهدون وفسر قوله تعالى ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ فرُد عليه لأن الآية الكريمة تقول ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ فالأئمة عليهم السلام لا يستنبطون والاستنباط هو الاجتهاد فالإمام المعصوم عليه السلام يأخذ رأساً عن اللَّه والواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أن الاختلاف في الدين كتمذهب، جاء نتيجة الصراعات، فإن اللَّه سبحانه لم ينزل إلا ديناً واحداً، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾، وأيضاً ما عندنا هو فهم للدين وتفسير لكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى أنه اجتهاد والنبي وأهل بيته المعصومون عليهم السلام ليسوا مجتهدين، ثم التقليد يرتبط بفروع الدين وبخصوص أحكامها غير الضرورية والقطعية، بينما التمذهب يرتبط بالعقيدة.

أثر المعيشة على الثقافة:

إن قراءة الكتب لم تكن تؤثر على عملي، لأن الأهم البحث عن لقمة العيش وهو ضروري، ولابد أن يحافظ الإنسان على عمله وبذلك يصون ماء وجهه عن حاجة الناس، فكنا نخصص وقتاً للقراءة، مثلاً: بعد الغداء كما هو وقت شرب الشاي، بما لا يعيق وقت العمل.

مجلس الخياطة:

كذلك من يعمل معنا في مجلس الخياطة، قد يتأثر ببرنامجنا الثقافي ويتفاعل معنا في الخط الذي نسير فيه، مثل الأخ: جواد الرمضان (أبي حسن)،

وهناك آخرون يستفيدون من الحراك الذي يتم في مجلس الخياطة، حيث إننا في غربة وحاجة اللقاء الجماعي جعلنا نستأجر مكاناً (مشغلاً) يجتمع فيه مايقرب من عشرين شخصاً، وكل منا يمارس عمله في خياطة البشوت، وما يميز المخايطة أنهم إذا اجتمعوا وقت العمل، اشتغلوا في الكلام ولماذا هذا؟ لأن عمله لا يستغرق تشغيلاً ذهنياً واسعاً كمهنة الصياغة، فالصايغ يعتمد على مطرقة وسندان ونار، وفكره كله مركز على إنجاز ما في يديه، لذا يقولون: (طقة وتبريزه) فهو يضرب (بالطقة) وبعده يطالع أثر (الطقة) ويرجعها (ويطق) مرة ثانية، وهذا عمله، حيث يستغرق ذهنه في شغله، ولو كانوا اثنين أو ثلاثة يشتغلون في الصياغة فحديثهم في أشياء بسيطة جزئية، وهذا كذلك حتى مع النجار والحايك، أما المخايطة ويأتي بعدهم البناؤون بالخصوص، فعندهم دائماً يكثر الهرج والتعليقات، لأن الخياط عمله ما يستغرق كل فكره، إضافة إلى أن لديه مساحة في الكلام والحركة بحسب مهارة العامل، ويستطيع أن يعمل بجودة ويتكلم بطلاقة وتوسع.

ففي مجلس المخايطة لابد من حوار واستطرادات ويسألون ويتساءلون، فالخياط وفراغه الذهني يجعله يسأل إذا سمع خبراً لم يستوعبه، ويتحدث عن هذا الخبر ويترك الفرصة للمعلقين، وهم بدورهم يفسرون له الحدث عن أسبابه وإلى ماذا يؤول.

ومن تجربتي الوظيفية بمجلس الخياطة، كنا ندير النقاش في المستجدات السياسية، وفي الأحداث الاجتماعية، وكذلك إذا اشتريتُ كتاباً أتحدث عنه أمام المخايطة، بهدف نشر ثقافة للذين يعملون معي في المجلس. وأما عن علاقاتي في سوريا فكانت معظمها في شؤون العمل وما يرتبط بالكتاب، وقد زرتُ مكتبة الأسد ومكتبة دار الكتب وغيرها من المكتبات.

السفر إلى مصر:

رشحت إدارة شركة أرامكو ولدي سميراً لبرنامج تدريبي في مصر عام ١٩٧٤م، وتشجعتُ للسفر لما قرأته عن (كتاب تحفة المستفيد) والذي يتحدث فيه عن أسرة العيونيين، فقد قيل لي: بأنه لا يعرف عدد ولا أسماء أمراء العيونيين، ولكن هناك كتاب يوضح ذلك (حتى اسم الكتاب غير معروف لأنه مقدمة الكتاب وبما فيها الغلاف كانا مفقودين ولا يوجد ما يشير إلى اسم الكاتب أو الكتاب) وقيل لي: إن هذا الكتاب متوفر بمكتبة التيمورية في مصر، ولما وصلتُ مصر سألتُ عن موقع المكتبة التيمورية فقيل لي: بأنها في منطقة العجوزة ثم توجهتُ لتلك المنطقة، فقيل لي: بأن المكتبة نقلت إلى دار الكتب المصرية في شارع على ضفاف نهر النيل، وكان موقعها يطل على النيل مباشرة.

كتاب تحفة المستفيد:

ولما وصلتُ إلى المكتبة، سألتُ المسؤول عن الكتاب: فأخبرني أن المخطوطات لا يطلّع عليها إلا المنتسب للجامعة، وغيرهم ممنوع عنهم ذلك، فقلتُ له: بأنني غير منتسب للجامعة ولكنني أحتاج لذلك الكتاب ضمن مشاريع بحثي، فأدخلني على المدير، فوافق لي على الاطلاع على تلك المخطوطة لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات، وتبين لي من تلك المخطوطة، أنها كانت متوفرة عند الشيخ حسن آل ياسين وهو من أقارب الشيخ محمد رضا آل ياسين (من رجع له بعض الإحسائيين في التقليد بعد المرجع الديني السيد ناصر بن السيد هاشم السلمان) واسم الكتاب هو: (زلال الحياض وأزهار الرياض) لابن شدقم وهو من أشراف الحجاز، وكان يهتم بالتاريخ والتدوينات وكان قد زار الأحساء في بدايات القرن العاشر، فتحدث فيه عن الأحساء، وقد أثار حفيظة بعض الأحسائيين عندما قال: (....إن علماء الأحساء وأدباءها يقيمون في محلة

يقال عنها الغار أو في محلة تسمى غار الشيوخ....)، وبعض الناس كان يعتقد أنه يعني القارة، ويتبين في القرن العاشر وما بعده بالأخص لسكان الرفعة أنهم كانوا يسكنون في منطقة الرقيقة في منطقة تسمى فيما بعد (أم النمل) فيها مكان يسمى غار الشيوخ جنوب الأحساء، وفي القرن العاشر لما توسعت الهفوف بعدما كانت منحصرة في الكوت كان بجوارها سوق الخميس، لكن الأتراك لما احتلوا المنطقة عام ٩٥٠ م أقاموا في بادئ الأمر في القطيف، لكن فيما بعد صارت فتنة بينهم وبين أهل القطيف وقتل فيها مقتلة عظيمة، مما جعلهم ينقلون عاصمتهم أو مقر حكمهم من القطيف إلى الهفوف في منطقة تسمى الكوت، فسوق الخميس العام كان على مشارف فريق الكوت وهناك منطقة يطلق عليها سوق الخميس للأحسائيين، وهذا السوق يحتاج لحراسة، فبني فيه قصر، وأهل الأحساء يسمون القصر (الحصن) ويسمون كل حصن أو كل قلعة تسمى قصراً، كما هو قصر صاهود وهو قلعة فهذا المكان سمي بقصر الكوت، وكان في السابق إذا تحدثوا عن قصر إبراهيم الذي بنا فيه مسجد وأسسه إبراهيم باشا المعروف، وله منارة عرف أنه يوجد أماكن في القصر تسمى مخازن، وهي مخصصة لتخزين الأقوات، فمثلاً الشخص الذي يبيع ويشتري يوم الخميس كان يخزن بضاعته في نفس السوق، ويوم الخميس يبدأ يعرض بضاعته، فما يباع كان به، وما لا يباع يرجعه في المخازن. ولقد أخذتُ هذه المعلومة من: تحفة المستفيد في آخره، من القرن السادس موجودة لفظة الكوت ليست أعجمية مع أن كثيراً قال: إنها لفظة أعجمية حيث يقول عن حالة الأحساء في عهد ماجد بن محمد بن علي:

كـم للعشيرة مـذ تولى ماجد مـن سابق بيعت ومـن بستان

منذ تولي ملك وماجد هو ابن محمد بن علي، وذلك أنه حين ملك استخف بأهل الأحساء استخفافاً عظيماً، وأخذ في سفك دمائهم واستباحة أموالهم، حتى

تعدى حد الجور ومال إلى البدو ميلاً عظيماً، حتى بلغ من ميله إليهم ومحبته لهم أن أعطاهم جميع مال السلطنة من مال وعقار وكراع ولامة حرب، وأكثر أملاك أهل البلد وجميع خيولهم والمشهور من سلاحهم، حتى بلغ من ميله إلى البدو ومحبته لهم فيما حكي عنه أنه سمع في ذات يوم رغاء بعير فقال: اللهم وحي حراكنه، فقال له بعض من بحضرته: أتعرف راكبه؟ فقال: أعرف أنه بدوي، وكان قد قرب عدة رجال من أوباش أهل الأحساء وآخرين منهم، يعرفون بقلة النخوة والحمية وعظم الحمق، فصار الرجل منهم يبيع البستان من بساتين أهل الأحساء، الذي يساوي مئتي دينار أو أقل أو أكثر على البدوي بدينار وبدينارين وبثوب وبجزور وما أشبه ذلك، فلا يعترض عليه ولا يسأل عما فعل ويمضي البيع، وربما استغاث الرجل حين يباع بستانه، فيستخف به وبناله من الهوان أعظم من قيمة البستان، وربما صار أهل البلد يشترون ثلاث مئة فرس وأربع مئة فرس وأقل وأكثر على أنهم يركبونها وتقوى بها البلد، فإذا أكمل شراؤهم لها وثب عليهم، فما يحول الحول إلا وقد أعطاها البدو، وفعل ذلك مراراً عدة، فلم يزل ذلك دأبه ودأب أصحابه في أهل البلد مدة عشر سنين، حتى بعث أهل الأحساء إلى الأمير علي بن الحسين بن عبد اللَّه بن علي، فسار إليهم فأدخلوه البلد وحاصروا ماجد بن محمد في الكوت، حتى أخرجوه منها وملكها علي بن علي، وكان سبباً لاستخفافه بالرعية وإعطاء البلد البدو وأملاكهم وخيلهم وسلاحهم مع ميل الأمير إلى هؤلاء الرجال.

والله ما نحس البلاد سواكم لا بالعدى انتحست ولا السلطان

من كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد تأليف محمد بن عبد اللَّه بن عبد المحسن آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي – القسم الأول، ص ٢٧١، ط٢، ١٤٠٢هـ.

موقف:

نقل أهل الأحساء عن ابن المقرب قصة طويلة في سفره إلى مصر، أوردتهُا في كتاب أقوال وأمثال من عامية الأحساء، وتمت الإشارة إلى مصر ولم يكن المقصود بها مصر، ولكن كلمة مصر أقرب إلى أذهان أهالي الأحساء، وإلا هي كلمة موصل وكلتا مصر وموصل قريبتان من بعض.

هناك شخص اسمه ابن الخشاب التقى بابن المقرب في الموصل، وقال: سمعتُ عنه كثيراً من الأشعار، ثم علق عليه في الأخير (وهو يقلب القاف كاف)، والحقيقة القلب موجود من ذلك الوقت حيث يقلبون القاف كافاً، فأهل الأحساء لاحظتُ في لهجتهم حتى الآن. أو يقول: كلمة (وقح) وعندما نطلقها على شخص، نقول عنه: وكيح، وهناك كلمة (قد) وهي تأتي للتحقيق وتأتي للترجي، هي قاف لا شدة فيها قد تأتي للترجي أو تقريب الشيء. نقول: أكود يجي فلان، القاف تكون مفتوحة، ولكن أكود مضمومة، واليمنيون عندهم كلمة كود، مثلاً لمّا يقولون: اجلس كود يجي، فيحولون قد إلى مضمومة كود يجي، نحن أخذناها منهم وأضفنا لها (ألفاً) أكود يجي وهي نفس المعنى، وربما كلمة (أكود) أصلها (أكيد).

نرجع لكتابنا (زلل الحياض وأزهار الرياض) الذي علم عنه أنه ضمن مكتبة الشيخ حسن آل ياسين، فيما بعد قالوا: إن المؤلف اسمه (خامن بن شدقم) حتى أن الكاتب حمد الجاسر رفض أن يكون اسمه خامن ورجح أن اسمه ضامن كما هو عند الشيعة يطلقون على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بأنه ضامن الجنة.

شراء الكتب بمصر:

بالنسبة لشراء الكتب في مصر، فقد اشتريتُ كتباً من منطقة الأُبْرة المصرية في القاهرة التي يقابلها حديقة يحيط بها من كل الاتجاهات، وأتذكر تواجد بائع

الكتب في مظلة يبيع الكتب المقروءة، وقد اشتريتُ كتاباً غير مجلد في تصوف الأديان وغير ذلك، كما حاز على رضاي الكثير من الكتب، وبمعرفة مسبقة أنها ما تدخل أرض وطننا الغالي، فتوقفتُ عن شرائها.

المسألة في الشراء والقراءة هي هواية ورغبة، وهذه الرغبة كانت غير مرشدة، فالقراءة في كل شيء غير صحيح، والطريقة الصحيحة في القراءة أن تكون مركزة، بمعنى أن يتبع طريقة يتخصص فيها في القراءة، يقول الشيخ البهائي: صاحب كتاب الكشكول والمخلاة، وكان ممن يعشق الاطلاع: ما ناظرني عالم إلا وغلبتُه وما ناظرني ذو علم إلا غلبني! حيث صاحب العلم الغزير في مجال ما هو متخصص فيه فهذا يتخصص في النحو وثانٍ في الفقه أو باب من أبواب الفقه، وآخر في علم الاجتماع بحيث كل متعمق في تخصص ما يستطع أن يجيب بثقة عن الفكرة، أما إذا جاءك شخص مثلي يقرأ تناتيف، ويأخذ من كل علم قليلاً منه متنوع القراءة، مشتت الفكر لا تكون وجهة نظره مثل المتخصص، وإن قرب من الحقيقة.

الوضع السياسي في الدول:

مرت علينا أحداث سياسية كثيرة، لكنها لم تؤثر فيني، كما أنني لا علاقة لي بالسياسة، لأنني أحب الأدب والمعرفة والتاريخ، وعلى سبيل المثال: كنتُ بعيداً عن الأحداث السياسية التي وقعت بالعراق لقلة إقامتي فيها، وأما عن سوريا من ١٩٥٦- ١٩٧٢ م فوقعت فيها حوادث كثيرة منها: بأول سنة كنتُ بسوريا وقع العدوان الثلاثي على مصر، ولكن سوريا لم يصبها من العدوان شيء، إنما سمعنا صافرات الإنذار والتخويف من الجهات الأمنية وخرجتُ من سوريا في اليوم الثالث من تلك الأحداث ثم رجعتُ إليها في نفس السنة بعدما هدأت الأوضاع السياسية فصارت حوادث بعدها ولكني ما تأثرتُ بها لأنني لاحظتُ

أن الحوادث التي تكون في سوريا على مدى ١٦ أو ١٧ سنة. لا توجد فوضى بالمجتمع السوري، وإنما لاحظتُ الهدوء وهي الحالة السائدة، فكل في حال سبيله، بل تلاحظ قلة الكلام فيما بينهم عن الحدث، ولقد أعجبني ذلك الهدوء في ذلك المجتمع بالمقارنة مع مجتمعات أخرى، ربما لم يصبها ما أصاب المجتمع السوري وتراها هي في أشد مراحل التشنج.

تأثري بالشعر النجفي:

في أثناء ترددي على العراق قرأتُ عدة كتب لشعراء من العراق، فقد قرأتُ كتاباً عن الأدب العصري لمؤلف مسيحي اسمه ميخائيل، وكان يضم مختارات شعرية عدة، وأحياناً أركز على الذوق الشعري، فيشدني ذلك النتاج، وقد قرأتُ كثيراً في الأدب النجفي، وقرأتُ دواوين من شعراء النجف، ولكن نسيتُ كثيراً من المؤلفين وكانت العراق في تلك الفترة أميز من غيرها في الجانب الأدبي، فكان قمة توجه العراقيين نحو الأدب والثقافة والمعرفة.

الخياطة في الأحساء:

مهنة الخياطة قديمة، وقد كانت الأحساء مركزاً لمهنة الحياكة من عهد الجاهلية وأهلها ينسجون العبي وكانت للعباءة عدة أسماء كردء ومطرف، كما أن الخياطة في الأحساء كانت موسمية في الأعياد، تسمى عند أهل المخايطة (دفعة) مثلاً كان الملك عبد العزيز آل سعود في الأعياد يطلب آلاف العباءات من المخايطة لتقدم هدايا لضيوفه في عيد شهر رمضان، وفي عيد الحج تنتعش الخياطة في ذلك الزمان مع زيادة الطلب من ملك الدولة، لتوزيعها على الوجهاء والعشائر، لأنه أول ما حكم الملك عبد العزيز، لم يكن هناك جيش رسمي كجيش اليوم، إنما العشائر ترتبط بالملك ومتى ما طلبهم فهم جنود مجندة،

والملك يكرمهم لأنهم جند الدولة في أي وقت.

كلمة العباءات والبشوت شيء واحد، وأصل كلمة البشت فارسية، وهو ما يلبسه الرجل أو تلبسه المرأة فهو عباءة لكن حدث فيما بعد تسمية العباءات الرجالية (بالبشوت)، وكلمة بش وردت في بيت شعر عندهم (وبشتي خميدة) يعني ظهراً منحنياً لأن الرجل عندما يلبس العباءة على أكتافه يبقى مقدمة بدنه مكشوف، فالعباءة لتغطية الظهر فقط، لكن هناك تسمية لها وهي (الدفة)، فالدفة جاءت من تسمية الحايك في نسج العباءة، فالعباءة عندما يمد الحائك (السدوة) يشتغل ويطوي على (الدفة) قطعة من الخشب كلما حاك بقدر نصف متر مثلاً طواها. وكلمة دفة خاصة بالنساء وهي كلمة عربية لها اشتقاقاتها والنساج يسمي العباءة التي ينسجها دفة، لأن العارضة التي تتعلق بأول العباءة حيث يطويها، وكلما اشتغل طوى، والطي هنا مرتدة إلى صدر الحايك فتسمى دفة، كما أنه عندنا (الحصير) الذي ينسج من الخوص، بينما (المدة) تنسج من الأسل والأسل يمد له أولاً سدوة، ثم ينسج بأعواد الأسل.

العلاقة بين الخياطين والصاغة:

هناك علاقة بين الخياطين والصاغة، ولها أسبابها، منها: (خيوط الزري) مثل ما يسمى عندنا في الأحساء، (والكلبدون) مثل ما يسمى في العراق، (والقصب) مثل ما يسمى في الشام، فقد كان ذلك غير مستخدم بتوسع في الأحساء، وكان يوجد فقط للحكام والأثرياء أنواع من التعاليق الفضية والذهبية في العباءة، لكن فيما بعد انتشر استخدام خيوط الحرير المطلية بالفضة، وكان يضاف لها الذهب حتى تأخذ اللون الأصفر، وهذا الذي قوى علاقة الخياطين بالصاغة، بسبب التعاليق الذهبية التي كانت تعلق على عباءات ومطارف وأردية الحكام والأمراء وأهل الثروة، ومما جعل العلاقة قوية بين الصاغة والمخايطة،

أنه لا يوجد صايغ في الزمن القديم إلا واشتغل في الخياطة، حيث إن الصياغة دقيقة، وتحتاج إلى السندان والمطرقة، وأهل الأحساء يسمون السندان (سندالة) حيث يقلبون النون إلى لام وكما نعلم هناك خطورة في عمل الصائغ، حيث يحتاج (دوة) التي تشتغل على النار ويحتاج في عمله إلى الماء الحار، أو مثل ما يسمونه أهل الأحساء: (تيزاب) وهذا جاء من الفارسية أتش وهو النار وأب وهو الماء عندنا الماء الحار يسمى: (تيزاب) وعندنا المطرقة والسندان (والدوة) التي فيها النار، فالولد الذي عمره ست أو سبع وثمان أو عشر سنوات خطر عليه العمل في الصياغة، بالرغم أن أهل الصنائع يدرجون أولادهم في صنائعهم كالحداد والصفار والنجار والمزارع، من السنة الخامسة فما فوق إلى السنة الثانية عشرة، لكن الصائغ لا يستطيع تدريب ابنه في الصغر على الصياغة لخطورتها عليه، إضافة إلى أنها تحتاج لدقة في الإنجاز، وكان الصائغ يضع ابنه يتدرب على مهنة الخياطة عند الخياطين فيبقى في الخياطة إلى السنة الخامسة عشر، وربما إلى الثامنة عشرة، ثم ينتقل لممارسة مهنة والده في الصياغة. ولذا من يعمل في الصياغة يتطلب عمله جودة نتاجه، ويحقق طموح المستفيد من خدمته.

هناك أمر آخر، فإذا كان الحال الاقتصادي راكداً يتضرر الصائغ، لأن نتاجه من الكماليات والزينة وليس من الضروريات التي لا يستغنى عنها، أما إذا كانت الحالة الاقتصادية مزدهرة فالصائغ أول من يستفيد من ذلك الوضع.

لبس البشت:

لبس البشت كان من أعراف الناس في المجتمع السابق، لا فرق في ذلك بين الفقراء أو الأغنياء، وكنتُ في عام ١٣٥٥هـ أنظر لمن حولي من الناس في السوق أو في تنقلاتهم من مكان إلى مكان آخر بالعباءة، وكان الشخص منهم إذا كانت عباءته مستهلكة، يجعلها في أبطه حتى يحقق ما يتناسب مع أعراف الناس

في ذلك الوقت، بل أذكر أن حماميل السوق الذين يحملون في سوق الجت يضع كل واحد عباءته في إبطه، وإن كانت متآكلة، بل يعتبر تجاهل لبس العباءة معيباً في ذلك الزمان، وكان الولد إذا بلغ عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة يلبس بشتاً، وأتذكر أنني لبستُ البشت وعمري عشر سنوات، وأصبحتُ لا أخرج إلا به سواء كان خروجي إلى المسجد أو إلى السوق، وإذا كان المكان الذي سوف أتوجه إليه قريباً أضع البشت في إبطي.

أسماء أدوات الخياطة:

هناك أسماء لأدوات الغزل المتوفرة في الأحساء، وجدتُها عند أهل الشام عند (الدروز) بالأخص. والدروز هم من أتباع الفاطميين، وقد قرأتُ في كتب التاريخ أن قرامطة الأحساء منها: (الشاباشية) والذين انتقلوا بعد ما زالت دولة آل الجنابي إلى البصرة، وهناك من القرامطة ما يسمون:(بآل معروف) وكانوا يعيشون في البصرة، وصار بين آل معروف والحكام العباسيين فتنة، ويذكر ابن الأثير أن آل معروف لما وقعت الفتنة بينهم وبين الحكومة العباسية فروا إلى ناحية الأحساء والقطيف، ولكن ما لبثوا أن عادوا إلى البصرة لكثرة من يعاديهم في الأحساء والقطيف بحسب ما ذكره ابن كثير، ويذكر سبب الانقلاب عليهم أنهم اتهموا بأنهم ضد الحكومة المحلية، فرجعوا إلى البصرة، ثم التقوا بأمير البصرة وطلبوا منه أن يتوسط بينهم وبين الخليفة العباسي في بغداد، ولكن الخليفة العباسي في الوقت نفسه أرسل من يقتل رموزهم، فقتل زعماءهم، وأما البقية ففروا إلى بلاد الشام واجتمعوا بالدروز في سنة ٤٠٠هـ وما بعدها ـ كان زعيم الدروز في جبل الدروز الشيخ أحمد الهجري، ويمكن القول إن شريحة من الدروز ليست بالقليلة يرجعون لقرامطة الأحساء، وقرامطة الأحساء كانوا إسماعيليين، والإسماعيليون كانت لهم حركة سرية قريب ظهور حكومتهم في

تونس، وأوكلوا إلى قرامطة الأحساء والبحرين والقطيف القيام بحركة تشغل الحكومة العباسية بالفتن والنهب والسلب، مما يعيقهم عن مقاومة ظهور الحكومة الإسماعلية في المغرب.

أما اعتقاد الدروز أن الإمام غائب، والإمام هو العقل، حيث يرون أن الحاكم قتل من ذرية الفاطميين في المقطم، وقيل: إن أبا العلاء المعري كان درزياً على رأيهم

يقول:

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

ويقول:

أيها الغر إن خصصت بعقل فاتبعه فكل عقل نبي

ويسمي الدروز الآن مشايخهم: شيوخ العقل، لأن الإمام غائب بحسب عقائدهم.

وإلى الآن الدروز يحترمون العقل، ولا زالت تلك المسميات التي عند الأحسائيين في نسيج العباءة تستخدم في لهجة الدروز، مثل (مزوية).

الاسماعيلية:

والإسماعيلية يرجعون إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ويرون أنه هو خليفة الإمام الصادق عليه السلام، وهناك رأي يرى أن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق هو الإمام، وحصل له ذلك بمساعدة أبي الخطاب في الكوفة، حيث شكلوا جمعية سرية لقلب نظام حكم الدولة العباسية، لأن هناك

جمعية تأسست من بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام والذي ترأسها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية لقلب نظام حكم الأمويين، ولكن هذا يدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، ولكن نتائجها أصبحت منافع للعباسيين. إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام مات في حياة أبيه، وهو المشهور لدى علمائنا وهناك من يدعي أن إسماعيل عاش إلى بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام لكن هذا يخفى على الإثنا عشريين، ومن يرى ذلك يعتقد بأن إسماعيل لقب نفسه بميمون القداح، وصار يتنقل بين العراق والروم وإيران كطبيب للعيون باسم ميمون القداح، وله ولد يسمى محمد المكتوم، أصبح هو الخليفة بعد أبيه، وبقي ذلك الاتجاه إلى القرن الثالث الهجري بأسماء آل القداح، فلما أعلنت إمامة الإسماعلية في بلاد المغرب، أعلنها أبو عبد اللَّه الصدعاني أو يسمونه أبو عبد اللَّه الشيعي أرسل إلى السلمية أن الإمام سيأتي لهم ووصل لهم أبو عبد اللَّه المهدي فقال الصنعاني: أين الإمام؟ فقال المهدي: أنا الإمام حيث إن الصنعاني ما كان يعرف آل قداح، إلا أنهم دعاة الإمام المهدي، فكيف يصبحون أئمة، فأنكر عليه ذلك، ثم قتل أبو عبد اللَّه المهدي أبا عبد اللَّه الصنعاني.

فقرامطة الأحساء يرون هذا الرأي، حيث يرون أنفسهم أنهم دعاة للأئمة، فكانوا ينادون بأن لا أهمية في اللقاء بالإمام، بل الأهم إقامة العدل بما يرضي الإمام، فصار القرامطة في الأحساء باسم الإسماعيليين، ولكنهم لا يرون إمامة الفاطميين في مصر.

الخياطة:

الخياط يعيش على نتاج الحايك، أتذكر أن في عين أم خريسان بإحدى الجهات تسمى أم المشادخ فيها صخرة وهي خاصة بالحياك، إذا صبغوا الغزل يأتون به لغسله. وأتذكر سعر بيع البشوت، حيث تدخل فيها أمور، منها عرض

وطلب وشح النقد والجودة، فربما العباءة قبل خياطتها تباع ب ٤ ريالات (وكان الريال عزيزاً).

وكان تنقلنا من الأحساء إلى البحرين إلى الكاظمية ثم إلى سوريا بهدف اقتصادي، مع أن مركز الخياطة هي الأحساء، وقد انتقل بعضهم إلى تلك المناطق وكانت أصولهم أحسائية، ولاحظتُ أن أدنى قيمة أجرة للخياطة كانت بالأحساء، فعلى سبيل المثال: في الأحساء خياطة العباءة بريال ونصف، وفي البحرين تحصلها بثلاثة ريالات، وفي الكويت تكون أفضل من ذلك، وكانت خياطة الكرمك في سنة ١٣٦٠هـ بريالين في الأحساء، وفي العراق خياطة الكرمك بدينار وربع، والذي يساوي ثلاثة عشر ريالاً وثلثاً، في سنة ١٣٥٦ – ١٣٥٨ هناك نوعية من خياطة البشوت تسمى (بتيّة) وكانت ليست ذات جودة عالية، فكانت خياطة أربعة بشوت من نوعية الكرمك بريال واحد، وفي الأحساء لما سافرنا إلى البحرين رأينا خياطة الكرمك بريال واحد، والريال الواحد يساوي ربية ونصف الربية ريال، ولما سافرنا إلى العراق خياطة الكرمك الذي في الأحساء بريال ونصف هناك بستمائة فلس التي تعادل خمسة أو ستة ريالات، وفي عام ١٣٧٣هـ خياطة الكرمك بعشر ربيات ولكن في الشام وجدناها بتسعين ليرة، وفي الوقت نفسه الأشياء تكون أرخص في العراق وفي سوريا من حاجيات معيشية، وهي أفضل حتى من البحرين، والربية والريال والليرة على حد سواء في قيمها المالية، علماً بأن خدمات البيت والكهرباء والماء على حساب (المعزب) في سوريا من باب التحفيز على العمل.

لهجات مختلفة:

تختلف اللهجة من قرية إلى قرية أخرى، وحتى في المدينة تجد كل فريق له لهجة خاصة به، مثلاً: قبل سبعين سنة أو أكثر، إذا تحدث شخص يعرفونه من

لهجته من أي محل في الهفوف، والغريب في الأمر أن هناك أفراداً إذا سمعوا المتكلم، قالوا: هذا من فريق الكوت، وذاك من فريق الرقيات وآخر من فريق الرفعة الشمالية، ليس هذا فقط بل الغريب في الأمر وأنا طفل إلى أن بلغت خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة إذا تكلم الرجل أو المرأة أعرف من أي أسرة ينتسب إليها، فيوجد ما يميزه إن كان من هذه الأسرة أو من تلك، مما يشير إلى اختلاف في اللهجة، فمثلاً عندنا في فريق آل بو حليقة لهجة، وآل أمير عندهم لهجة، والشواف عندهم لهجة، وآل بحراني عندهم لهجة، فكل أسرة لها نبرة خاصة، وهذه اللهجة إما تختص بألفاظ معينة أو لكنة في اللسان، فإذا تكلم الشخص سنعرف من أي أسرة، فقد يسرع في نطق بعض الكلمات، أو يمد في بعض الكلمات. وأما في زماننا فاختلف الوضع، والسبب أن الطفل اليوم يلتحق بالمدارس، فيعاشر بيئة متنوعة وموسعة، أما في السابق فإنه يعيش منعزلاً في أسرته.

تجربتي المهنية:

أسرة الرمضان كانت تسكن في فريق الكوت، وكان جدنا الشيخ علي قد باع بيته الذي بفريق الكوت، وانتقل إلى فريق الفوارس، وكان موقع ذلك البيت لما تدخل فريق الكوت عن طريق الدروازة (تمشي بشكل طولي تصل إلى موقع المسجد وبعده بيت الشيخ علي الرمضان يقابله براحة الرمضان)، والذي دعاه على بيعه بسبب أن الحكام في ذلك العهد، لم يكن عندهم محل لضيافة الوفود التي تأتي من هنا وهناك، فقرر المسؤولون توفير مكان مناسب للضيافة، وتم اختيار الموقع القريب من بيت الشيخ علي (في موقع سراي الحكومة) وأهل الأحساء يقولون: سراج الحكومة، وكلمة سراي بمعنى بيت ويختص البيت بالحاكم أو الأمير، وإذا جاءت الضيوف للحاكم فإن أقرب بيت لذلك (السريا)،

وهم يطلبون من صاحب الدار أن يترك منزله لراحة ضيوف الأمير فصار حرج على الشيخ علي في ذلك، مما اضطره لبيعه وانتقل إلى سكة الحويش بالفوارس حي الرفعة سنة ١٢٦٤هـ تلك البراحة كانت تسمى فيما بعد (براحة الغريب)، بسبب أن أسرة الرمضان انتقلوا من فريق الكوت إلى فريق الفوارس[1].

وأما عن أسرة الرمضان فقد انتقلوا إلى فريق الفوارس قبل الشيخ علي، بسبب مهنتهم الخياطة وازدهار تلك المهنة في فريق الفوارس بعدما تركوا مهنة الحواجة والعطارة. وجدي الثالث وهو الشيخ علي انتقل إلى فريق الفوارس،

وكان ساباط بيوت الشيخ علي الرمضان متواجداً قبل أكثر من ٤٣ سنة، وساباط بيوت آل شيخ علي الرمضان الآن يشغلها الشارع المقابل للبوابة الغربية للفوارس مول.

حتى أن الجد الشيخ علي قال:

ومهما جلا الهفوف من ربعه لكم ... من الكون أبراجاً لأنجمه الزهر
فحنوا ابتهاجاً واستهيموا بمرة ... فليس لكم في دون ذلك من عذر
وسيروا على اسم اللَّه حتى يحوطكم ... من الكوت سور شامخ العز والنصر
وميلوا إذاً نحو الجنوب لتبلغوا ... عراصاً تراها منبت المجد والفخر

(١) وفي ذلك توجد وثيقتان لدى الأستاذ حسين بن جواد الرمضان، الأولى متوجة بختم القاضي الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ مبارك، وفحواها أنه قد باع أحمد بن حسن العلوان جناب الشيخ علي بن محمد الرمضان، تمام وكمال البيت الكائن بفريق الصاغة، وهي مؤرخة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من عام ١٢٦٤هـ، والوثيقة الأخرى بختم القاضي صفي الدين بن سليمان وفحواها أنه قد اشترى عبد اللَّه بن ناصر بن فارس الصائغ عن موكله محمد ابن مهني بن شكر شيخ الرفعة من راشد بن ناجم بن ضاوي البائع أصالة من مجموع السدس التام وسهمين من أصل أحد عشر سهما من ربع السدس مشاعا ذلك كله من عامة العقارين الرملة والجفر وموقعهما بطرف مغيصيب تابع الخدود من الأحساء المحروسة، مؤرخة في منتصف شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين بعد الألف.

فشموه عني والثموا وتنعشوا لها تربة أذكى لعمري من العطر
مرابع أحبابي وموطن معشري بني رمضان صالحي السر والجهر

وأصبح آبائي يمارسون الخياطة التي لها خصوصية، حسب ما توصف بأنها عمل الأبرار[1]، والخياطة ممكن أن يشتغلها الشخص دون علم الآخرين، فليس فيها لفت نظر مثل البناء والنجارة والحياكة، فهناك أعمدة في الأسرة كانوا من طلبة العلوم الدينية مع ذلك يشتري الواحد منهم العباءة، ويخيطها في البيت من غير علم أحد، وإذا أكملها أعطاها من يبيعها من معارفه القريبين له.

وقد سمعتُ مقولة لأحد العلماء يقول: أي صنعة قد يخشى من صاحبها الغش وعدم الإجادة، إلا الخياطة حيث يعتقد أن مهنة الخياطة ليس فيها غش ولا تجاوزات، حتى الزري لا يستطيع الغش منه وتغليف الخيط الحرير سواء كان من النحاس أو من الفضة، مما يسهل على الخياط أن يكون عمله مبروراً خالياً من الغش. وممن عمل في الخياطة من أسرتي والدي، وجدي الأول، وجدي الثاني، ولقد تعلمتُ الخياطة عند والدي علماً بأنه لم يكن من أصحاب المهارة في مهنة الخياطة، وأتذكر أنه في عام ١٣٥٣هـ بعدما بقي الوالد في العراق من يوم عرفة إلى ما بعد الأربعين، وعادة الزوار بعد زيارة الأربعين في ذلك الزمان يتجهون إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام، ولأنه لا توجد عنده أموال تكفي لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، اقترح عليه أحدهم أن يعمل فترة من الزمن في مهنة الخياطة حتى تجميع مبلغ كافٍ لزيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، فتوجه إلى شخص اسمه صادق الخياط، وأخذ منه العباءة وبعد إكمال خياطتها لم تصلح لذلك (المعزب) خياطة والدي، فرجع الوالد إلى الأحساء وكان عمري اثنتي عشرة سنة، فطلبت الوالدة من الوالد أن يبحث لي عن مخيط ماهر أتعلم على

(١) ويقال إن أول من خاط هو النبي إدريس عليه السلام.

يده فنون الخياطة، وبعد إلحاح منها عليه، قال لها الوالد: سوف أعلمه الخياطة، وإجادة الخياطة ليس لها علاقة بالمعلم فقط، وإنما بمهارة الشخص الذي يتعلم وهو الأهم، وقال: إن موهبته سوف تكسبه التميز، ثم أصر والدي أن يعلمني مهنة الخياطة وكان كلام الوالد صحيحاً هو علّم العشرات ولكنهم يتفاوتون من ناحية التميز، هذا متميز، وذاك أداؤه متوسط، وآخر شغله ليس جيداً. سألني أحدهم – وهو أكبر مني ونحن نخيط في سوريا – لماذا المخايطة يتفاوتون في العمل؟ علماً بأنهم تعلموا على يد شخص واحد؟ هذا يكون متميزاً والآخر شغله غير جيد، هذا إنتاجه كثير وذاك إنتاجه قليل؟ فقلتُ له: الخياطة عمل من الأعمال الدقيقة، أو الأعمال التي تستطيع أن تقيمها فهناك أعمال دقيقة، والمهارة فيها موهبة وليس اجتهاداً من نوع زخرفة وغيره، فيرجع للمهارة أكثر ما يرجع للاجتهاد، ترى عنده مهارة في حسن الصنعة من جهة، ومن جهة ثانية كثرة الإنتاج، وما قاله الوالد تحقق، فأصبحتُ أمارس الخياطة، وصار شغلي مقبولاً نوعاً وكماً، ولكني لم أفتح مجلساً لأعلّم فيه الخياطة.

أسر المخايطة في الغوارس:

إن فتح مجلس الخياطة يعلّم من جهة، ويأتي من يشتغل له ويشتري العباءات ويخيطها ويبيعها في السوق، فهناك معزب وهناك مخيط، ومن الأسر البارزة في مهنة الخياطة: آل الشواف، وآل أمير، وآل الخرس وهي أشهرهم في عمل الخياطة كتجار ومعازيب، وأعرف ستة مجالس للخياطة من أسرة الخرس، منهم: محمد بن حسين بن عبد المحسن الخرس، ومحسن بن أحمد بن حسين الخرس، وعلي بن محمد بن عبد اللَّه الخرس، وحسين بن حسن بن عبد اللَّه الخرس. وآل عبد النبي كانوا من البحرين ومهنتهم الزراعة، ولهم أقارب هناك لما سكنوا سكة العجم، فيها من يمارس العمل في مهنة الخياطة فاكتسبوا ذلك منهم.

مهنة الصاغة:

كان يوجد في الأحساء بعض العوائل من يعمل في مهنة الصياغة فمهروا فيها واشتهروا في هذه المهنة على مستوى الخليج وخاصة في الرياض ونجد وكما ذكرت ان مهنة الصياغه تعتز عندما يتحسن الاقتصاد في البلد وتتحسن القوة الشرائية أما عدا ذلك فان كثير من الصاغة يتحولون الى مهنة الخياطة ويتركون مهنة الصياغه ربما مؤقتا،

الإقامة في الدمام:

في عام ١٣٧٣هـ وجدتُ الحياة في الكاظمية مستقرة، وعملي مقبولاً والمعيشة مناسبة والدخل كان جيداً، ورخص الأسعار، علاوة على ذلك مجاورة أهل البيت عليهم السلام فكان في نظري أن أبني بيتاً في الكاظمية، ولكن أوضاع العراق تبدلت فغيرتُ وجهتي إلى الشام، فوقع الانقلاب وبدأت الفتن، وفكري تحول إلى الرجوع لأرض الوطن، حيث تغيرت الخارطة في أرض الوطن، وذلك يرجع إلى أن الأوضاع في السعودية بدأت تتحسن على مستوى الاقتصاد، وسمعنا عن تغير تدريجي إيجابي بالبلاد بعد اكتشاف النفط ولكنه بطيء حيث إن النفط اكتشف في عام ١٣٥٠هـ وهي نفس السنة التي ولدتُ فيها لكن أثر الطفرة على أرض الوطن بدأ قبل ١٣٧٠هـ عبر خطط الدولة وفق مفهوم التدرج، ونحن في الشام عام ١٣٧٠هـ كانت تصلنا أخبار عن تحسن الأوضاع المعيشية بأرض الوطن.

اختيار الدمام:

كنا في البحرين قبل انتقالنا إلى العراق ثم إلى الشام، وكان لي ابن خال اسمه الحاج حسين بن حسن الرمضان، قد فتح محلاً للعبي في البحرين، ثم تركها

واشتغل في الكماليات ونجح في تجارته، وأول ما سافرنا إلى الشام، وصلنا العلم أن مالك الدكان الذي استأجره ابن العم الحاج حسين بن حسن الرمضان (وكان موقعه في شارع الشيخ عبد اللَّه في البحرين) أنذره أن يسلم الدكان، بسبب رغبته في تجديد بناء البيت، فلم يجد ابن العم مكاناً مناسباً لتجارته، فقرر أن ينتقل إلى الدمام، وفتح محلاً تجارياً واستقر هناك وهو من شجعنا على ذلك.

أما عن السبب الرئيس لمغادرتنا سوريا (مع العلم أن الأوضاع مستقرة والعمل جيد) تخرج الابن سمير من الثانوية العامة، وهناك ظروف أخرى خاصة ساهمت في رجوعي إلى أرض الوطن، وإلا كنتُ أرغب أن ألحق ابني بالدراسة في الجامعات السورية.

قبل عام ١٣٩٠هـ اشتريتُ بيتاً بالدمام في محل الدواسر قبل رجوعي لأرض الوطن بخمس سنوات، لم أفكر في الوظيفة الحكومية أو العمل في القطاع الخاص، خصوصاً أنني لم أحصل على شهادة في حياتي، ولكنني كنتُ ملماً بالقراءة والكتابة، ثم فتحتُ دكاناً للعبي في محل الدواسر بمنطقة سوق البحرين شارع الملك سعود في شماله، حيث هناك سوق خاص للبحرانيين، ثم غيرتُ فيما بعد نشاط تجارتي إلى بيع لوازم الخياطة حتى عام ١٤٢٧هـ حيث توقف نشاطي لأن سوق البحرين كان السوق الرئيسي بالدمام لبيع الكماليات، ولكن مع التطور العمراني فتحت المجمعات الكثيرة وفي مخططات عدة، مما سحبت معها الكثير من عملاء السوق، وأثر على نشاطي التجاري حيث ضعفت الأرباح، وقل معها المستوى الصحي، فتوقفتُ عن العمل نهائياً.

تجربة العمل التجاري بالدمام:

حينما فتحتُ المحل التجاري كانت تجارتي محصورة في العباءات النسائية، ولكني أحببتُ تغيير نشاط تجارتي من العباءات النسائية إلى التجارة

في لوازم الخياطة.

والتجارة من أفضل الأرزاق للإنسان، إذا توفر لدى التاجر الإرادة والمخافة من اللَّه سبحانه، وحسن التعامل مع الزبائن، وتوجد حكمة تقول: (من لم يستطع التبسم فلا يفتح محلاً للتجارة) وأنصح كل تاجر أن يكسب رضا عملائه بأقصى ما يتمكن، وأما عن أسباب اختيار نشاط تجارتي في لوازم الخياطة، لعلمي بنجاح نشاط ابن الخال الحاج حسين بن حسن الرمضان في لوازم الخياطة، بالإضافة إلى ذلك فإن عدد محلات لوازم الخياطة في الدمام لا يتعدى أصابع اليد الواحدة لذا استأجرتُ دكاناً لذلك النشاط بـــ ٢٠٠ ريال في الشهر، وبعد مضي ثلاث سنوات قرر المالك تجديد البناء، فانتقلتُ إلى دكان بالدور الثاني بمقابل ذلك المحل التجاري، وكان موقعه في شمال محلاتنا التجارية، وبقيمة الإيجار السابق، ولكن مساحته أصغر، إلا أن العملاء استمروا في الشراء مني بالمحل الجديد، وبقيتُ في ذلك الدكان لمدة سنة، وبعد إكمال المبنى أبلغتُ المالك بأنني سوف أرجع إلى دكاني السابق وأعطيته ١٠٠٠٠ ريال مقدماً حتى أضمن الرجوع إلى الدكان.

كان المحل في السابق قبل تطوير البناء دكانين، وبعد التطوير صغّر المالك مساحة الدكاكين وعمل أربعة دكاكين، حيث قسم كل دكان إلى قسمين، وكان جاري المستأجر اسمه السيد طاهر (وهو من أقاربنا بسبب المصاهرة) حيث بيننا وبينهم في الجد الخامس مصاهرة ويلقبون بأكثر من لقب، وهم من السادة الأعرجيين، ويرجع نسبهم إلى السيد عبد اللَّه الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين عليه السلام، وكانت لهم شهرة فجدهم كان وزيراً للخوالد (آل عريعر) وكانوا يبيعون ويشترون في القهوة، فحصل من لقبهم بسادة القهوة بعد فترة جدهم الوزير السيد حسن بن السيد حسين بن سالم، كان ثرياً فاشترى نخلاً

يسمى البخينج (في الهفوف قريب من عين باهلة ومقابل بيت حسين العلي) فسماهم الناس بحسب شهرة نخل البخينج بسادة البخينج، فلما تكامل البناء توجهتُ مع مستأجر الدكان الآخر السيد طاهر إلى مالك العقار بمكتب عبد الواحد بحسب ما طلب منا مكان اللقاء به، وصاحب المكتب من الدواسر الذين انتقلوا إلى الدمام من البديع، وقد ملك بعضهم محلات تجارية وأعمالاً، وكان يشغلها جماعة من عجم البحرين، يسمون الهولة وكلمة الهولة أغلبهم كانوا يشتغلون في البحر، ويقولون عن أنفسهم إن أصولهم من جزيرة العرب، وتحولوا إلى بلاد فارس على شاطئ الخليج، لكن الصحيح أن هؤلاء كانوا يعملون في نقل بضائع خفر السواحل عبر السفن الشراعية، فكانوا إذا أرادوا ينصبون أو يبرخون، يقولون: برخ على الشراع، ويرددون عبارة هالي مالي، فأطلق عليهم أهل الخليج هولة، ولكني لا أعرف ماذا يقصد بهالي مالي إلا أن أهل البحر ما زالوا يستخدمونها، ولكن في هذه الأيام السفن تحولت عن استخدام الأشرعة، وحل بديلها المكائن. فلما وصلنا المكتب وطلبنا منه تحديد الإيجار الجديد، قال المالك: أريد عشرة آلاف في السنة على الدكان الواحد، فاعترض السيد طاهر على رفع سعر الإيجار، حيث طلب منه أن يدفع عشرين ألف إذا أراد استئجار دكانين، ولم يعقب المالك على ذلك إلا أن المسؤول عن المكتب طلب تأجيل الاتفاق لحين اكتمال المبنى، فطالبتُه أن يقبل بالسعر الجديد لكن لم يقبل بذلك فتفرقنا، وبعد أسبوع جاء لنا المالك وقال: إيجار الدكان بـ ٤٠٠٠٠ ريال في السنة، وهذا بسبب ما قام به صاحب المكتب من دور في ذلك، فحاولنا أن نخفض الإيجار بقدر ما نتمكن، ثم وافقنا على مضض، وقبل الانتقال إلى الدكان جاءني شخص من أهل الجنوب، وقال لي: فرض عليك المالك ب ٤٠٠٠٠ ريال، وأنت تبيع خيطاً ومقصاً وإبرة، ما رأيك أعطيك ١٢٠٠٠٠ ريال وتترك الدكان لي؟ فنصحني المجاورون أن أرفض ذلك العرض، فقررتُ أن أبقى في الدكان

واستمر ذلك لمدة سنة ونصف، وبعدها صدر قرار يمنع زيادة الإيجارات، ثم صدر قرار يسمح بزيادة الإيجارات، فجاءني المالك قال لي: الإيجار بـ ٥٠٠٠٠ ريال في السنة، ودفعتُ ٥٠٠٠٠ ريال، فأصبحتُ كما قال لي من يعمل معي في السوق: أنت أجير تشتغل وتوفر ٥٠٠٠٠ ريال للإيجار، وكانت الأسواق في ذاك الوقت قوية، حيث كان سوق البحرين التقليدي بالدمام أهم سوق في الدمام، ولكن كما قلنا سابقاً: صار كساد في السوق، بسبب فتح المجمعات التجارية الكبيرة، إلا أنني لم أفكر في تغيير نشاطي التجاري.

محل السكن بالدمام:

لما قررتُ السكنى بالدمام، طلبتُ من المستأجر في محل الدواسر أن يبحث عن مكان آخر للإيجار، لرغبتي في السكن، وحينما سكنتُ فيه وجدتُه لم يناسب للأسرة من عدة جهات بسبب طريقة البناء كما في بيوت البحرين في السابق، وبعده عن أبناء عمومتي، إضافة إلى وحشة زوجتي منه حيث لا تعرف جيرانها، وبقاؤها لوحدها عندما نخرج عنها أنا وابني سمير، حيث يذهب لموقع عمله بشركة أرامكو، وأنا إلى موقع تجارتي، فقررتُ تأجير بيت، واستأجر لي بيتاً قريباً من أولاد العم في حي السيهاتي، وكان ذلك الحي قريباً من منطقتنا. وفي ذاك الوقت لم يبن في هذه المنطقة إلا القليل، وكان الإيجار في الشهر بـ ٢٠٠ ريال، وقد أخبرني صاحب البيت أن بيته معروض للبيع، وطلب مني السماح لمن يرغب في شرائه أن يطّلع عليه، فحصل من اقترح عليّ أن أبيع ذلك البيت الذي في سوق الدواسر واشتري بقيمته هذا البيت، وهذا ما رجحتُه لقربه من أولاد العم، ومن ناحية بنائه الجديد العربي، فطاب البيت للأهل، فطلب عليّ المالك (٣٢٠٠٠) ريال، ثم عرضتُ بيتي الذي في محل الدواسر، فوصل سعر البيع (٣٠٠٠٠) ريال وقد اشتريتُه بـ(١٧٠٠٠) ريال فبعتُه، وأخذتُ ضماناً

على (٢٠٠٠) ريال، وكان بيتي الذي اشتريتُه فيه غرفة وسطح ومنافع وإيجاره بـ(٢٠٠) ريال، بعد مضي سنة كاملة أعلنت الحكومة أنها ستوسع الشارع الذي فيه الإمارة، حيث كان موقع الإمارة قريب من إدارة الشرطة، فقرر المسؤولون بناء مبنى جديد للإمارة، فوسعوا الشارع، وثمنوا البيت الذي بعتُه في محل الدواسر (٣٥٠٠٠٠) ريال فكان ذلك من نصيب المشتري، وبقيتُ في المنزل الذي اشتريتُه، وكان عندنا أرض اشتريتُها عندما كنتُ في الشام مناصفة مع أخي الحاج موسى. وبعد ثلاث سنوات صار بيتي لا يصلح للسكن، فبعنا الأرض التي اشتريناها بـ(٩٠٠٠) ريال بـ(٢٠٠٠٠٠) ريال، واشترينا أرضاً بمنطقة صالح سلام، وصالح سلام هو من أهالي المدينة، وقبل ستين سنة أو أكثر كان وكيل سيارات باصات تنقل الحجاج عام ١٣٥٦هـ ويدير شركة الباصات (قبل ذلك كان الحجاج يحجون على الجمال)، وكان الشراء مناصفة مع أخي الحاج موسى، وأخذنا عليها سلفة، وتم البناء، والسكن فيما بعد.

سنة الحج:

توجهتُ لأداء فريضة الحج عام ١٣٩٣هـ مع الحملدار الحاج حسين بن الشيخ إبراهيم الخرس، وكان المرشد الديني الشيخ محمد بن سلمان الهاجري. وأما عن ذكرياتُنا مع الحجاج فأتذكر في عام ١٣٥٥هـ ذهبنا نساير حجاج أقارب لنا إلى منطقة قريبة من مدينة المبرز تسمى مبرز الحاج، وتلك المنطقة عادة ما يخيم فيها البدو، وكانت أداة النقل في ذلك الزمان عن طريق الجمال، وكانت قافلة الحج تنطلق بعد عيد الفطر إلى بيت اللَّه الحرام لأداء فريضة الحج ومنها زيارة لرسول اللَّه وأهل بيته عليهم السلام في المدينة المنورة ثم يرجع الحجاج إلى أوطانهم، حيث يصل الحجاج إلى أرض الأحساء في ربيع أول، وكان الأهالي والأصحاب يخرجون يستقبلون الحجاج عند عين النجم، أو أبعد منها.

تعاقب الحكم في المنطقة:

كان القرامطة يعتمدون في إدارتهم للدولة واستقرار الأمن على بني ثعلب، الذين أوجدوا في أنفسهم القوة وقضوا على آل الجنابي، فجعلوا الأمن في يد العيونيين، ولكن العيونيين طمعوا في الحكم فقضوا عليهم، فأوكل العيونيون الأمن لبني عقيل بن عامر بن صعصعة، ولما سيطروا قضوا على العيونيين، فجعل بنو عقيل الأمن عند بنو جروان فقضوا على العقيليين، فتعاقد بنو جروان مع قبيلة آل الجبر وجعلوا الأمن في أيديهم، وكان رئيس الجبريين سيف الزامل واختلف مع إبراهيم بن ناصر الجرواني، فاختلفوا معه، فطلب الحاكم الجرواني من جماعته أن يأتوا له برأس سيف بن زامل، فوصل له أنه مطلوب رأسه، وطلب من جماعته أن يأتوا له برأس إبراهيم بن ناصر فتحقق لهم ذلك، فلما أتى البرتغاليون بالاشتراك مع الفرس، قضوا على الجبريين، أما أهل القطيف فإنهم ذهبوا إلى تركيا يطلبون المساعدة من المسؤولين لطرد البرتغاليين، فتمت الاستجابة لطلبهم وزودوا بالأسلحة والجنود، واستطاعوا طرد البرتغاليين واستقر الأتراك في القطيف إلا أنهم كانت لديهم جذور حرب بينهم وبين أهل القطيف والصفويين، فوقعت بينهم فتنة، وتبعها حرب بين القطيفيين والأتراك، وانتقل الأتراك إثرها من القطيف بعد الفتنة واستقروا في الأحساء في منطقة الكوت.

وفي بداية القرن الحادي عشر، انشغلت الحكومة التركية بحرب مع اليونانيين والفرنسيين وغيرهم، لأن الأتراك احتلوا مساحات كثيرة من أوروبا، وأدى الاشتغال في الحرب ومقاومة الحكومة للمتمردين إلى ضعف نفوذ الأتراك في المنطقة العربية، والذي حصل أن الجبريين حكموا بعد الجروانيين، والذي كان من أتباعهم آل حميد الذين سموا فيما بعد بني خالد.

لما جاء الأتراك وقضوا على الجبريين والبرتغاليين واحتاجوا لشغل منصب وهو لواء البادية على من لديهم خبرة آل حُميد، فقد كانوا خبراء في عهد الجبريين، وهذا ساعد آل حميد في التحرك نحو كرسي الحكم، وتمردوا على الأتراك واضطهدوا أهل القطيف.

أسرة البوحليقة:

أسرة الرمضان أصهار أسرة البوحليقة وقد كانوا قبل القرن الحادي عشر في البحرين، وأما سبب لقب أبو حليقة، فيقال: يوجد منطقة بين قطر والعقير تسمى بوحليج، فالشخص اكتسب لقب بو حليقة من بوحليج، وهناك رأي آخر يقول: إن أصابعه تقطعت ووضع له حلقة يرفع بها الشيء وسمي بو حليقة.

وتعتبر هذه الأسرة الكريمة من الأسر العلمية فقد برز منهم الشيخ أحمد بن عبد اللَّه بوحليقة، وابنه الشيخ جواد، و د.إحسان بن علي بوحليقة، وأخوه المرحوم المهندس غسان، و د.الاستشاري في أمراض المخ والأعصاب سعيد بن عبد اللَّه بوحليقة وغيرهم.

كتاب جليس السمراء وسمير الجلساء:

كتب أحدهم من أهل المغرب واسمه داود والذي يقول: إن الإسماعيليين نجحوا سياسياً في المغرب وأسسوا حكومة وانتقلت تلك الحكومة إلى مصر، ولكنهم فشلوا في المشرق سياسياً ولكنهم نجحوا عقدياً، كما أشار الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتابه الذي تناول فيه سيرة والده في مجلة الموسم حيث ذكر: كتاباً للإسماعيلية اسمه جليس السمراء وسمير الجلساء وقد ذكر أن مؤلفه إسماعيلي أيضاً وقد أشار في كتاب بحار الأنوار إلى حديث يطلقون عليه حديث معرفة الإمام بالنورانية، فيذكر صاحب كتاب بحار الأنوار أنه رأى ذلك عن والده،

ولم يذكر اسمه، لكن الشيخ أحمد في شرح الزيارة أشار في حديثه عن معرفة الإمام بالنوراية إلى كتاب جليس السمراء وسمير الجلساء

دور العمد:

في العصور القديمة كان يطلق على من يشرف ويتابع قضايا الفريق ويتواصل مع المسؤول ويبلغ تعليماته بالمختار، وكان دور المختار مكملاً لدور العلماء، بل هم من يزكون الوجهاء، ويتميز من يتولى ذلك المنصب في ذلك الزمان بوضع اقتصادي مميز وقوة شخصية وحسن رأي وعشيرة، وكان من تتوفر فيه تلك المواصفات يفرض نفسه، ويضاف لذلك تأييد الدولة له حيث تعطيه الدولة ثقلاً ووزناً، وقد يكون في الحارة أو في الفريق أكثر من مختار.

وممن تولى ذلك المنصب في العهد التركي: الحاج عيسى بن حسن بن الشيخ حسين بن حسن بن حمد البن فارس الملقب بالشواف، كان له صيت وثقل في دوره، وكذلك الحاج حسن بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد اللَّه الأمير أيام الحكومة التركية وكان له دور كبير في الرفعة كلها، وكان رجلاً كريماً وغيوراً، يدافع عن الفقراء ومشهوراً في وقته بالثراء والوقفة، ومرضي عند الدولة، ومنهم أيضاً الحاج حسن آل محمد علي أبو حليقة.

وفي الكوت كان المختار حسن الحرز كان ثرياً ووجيهاً وكريماً، ويتمتع بشعبية عند الجمهور ومرضي عند الدولة، والمختار صالح العمران وهو حفيد صالح النجار المذكور في حوادث سنة ١٢٠٧هـ وأسرة العمران مهنتهم النجارة وأصولهم من المدينة المنورة، وأخبرني الشيخ فرج العمران أن آل عمران النجاجير في الكوت هم أولاد عمنا، وأصولنا جميعاً من المدينة المنورة.

كما لا توجد حارة في ذلك الزمان إلا ولها زعيم من الوجهاء، وأحياناً

تجتمع لعالم الدين المرجعية الدينية والزعامة الاجتماعية كالشيخ موسى آل أبي خمسين، وكان يرجع له الأهالي ويستشار ويعمل برأيه، وفي كل فريق مختار وكلهم كانوا يرجعون إلى الشيخ موسى آل أبي خمسين.

اسمه ونسبه:

هو الشيخ موسى بن الحاج عبد اللَّه بن الشيخ حسين بن الشيخ علي آل أبي خمسين الهجري الأحسائي.

ولادته:

وُلِد الشيخ قدس سره بمدينة الهفوف في عام ١٢٩٦هـ.

في عام ١٣٧٠هـ أصبحت الدولة توظف من يريد تولي مسؤولية العمودية في الفريق، ومسمى الوظيفة عمدة، ويتم اختياره كما هو اختيار المختار لشهرته، إلا أن الاختلاف بين العمدة والمختار أن العمدة هو موظف عند الدولة، والمختار يتمتع باستقلالية أكثر، حيث كان العمدة متصلاً باستمرار مع الدولة، ولو كانت مشكلة في الفريق يحلها العمدة قبل أن تصل للدولة، فإذا وصلت لأروقة الدولة قد يتدخل العمدة ويطلب من الحكومة أن يتولى علاج الوضع والصلح بين المتخاصمين بتأييد من الدولة، إذا كان تدخله يأتي بنتائج تخدم مصالحها، أما عن قراءة المجتمع للعمدة فبعضهم يشيد بدوره ويرى أن له إنجازات وطنية واجتماعية واضحة، وبعضهم يتهمه بأنه عميل للدولة، وللإنصاف لا يمكن الحكم العام على العمد، وإنما تدرس كل شخصية بشكل مستقل بحيث توضع في ميزان الحكم، وهناك من العمد من بيّض الوجه وخدم وطنه ومجتمعه، وهناك من لم يكن يهتم إلا بخدمة مصالحه.

العلاقة بين الشيعة والسنة:

كانت علاقة الشيعة بالسنة ممتازة، ويوجد بينهم تواصل وتعاون وتكاتف كأنهم من عشيرة واحدة، ولم يكن هناك صراع بين قبائل الشيعة والسنة في الجملة بحسب ما سمعتُه وبحسب ما رأيتُه، بل كان يوجد في بعض الأسر الشيعية والسنية التداخل والتزاوج بينهم مما يوجد صلة النسب، وكانت الألفة سائدة بين الشيعة والسنة لمعرفة كل منهم بمذهب الآخر، ولا شك أن هناك اتهامات في المجتمع للشيعة والسنة فلم يكن ذلك في الأحساء مقبولاً، فهناك مفتريات على هذا وذاك، وما أعرفه أن السنة يعرفون حقيقة الشيعة وحقيقة مذهبهم، والشيعة يعرفون حقيقة السنة وحقيقة مذهبهم، ولا يقيمون وزناً للاتهامات التي تأتي من هنا وهناك، بل سمعتُ من بعض الشيعة، إذا سمع بعض الاتهامات على السنة ينكرها ويدافع عن مذهبهم ويوضح حقيقة اعتقادهم.

العقال:

في طفولتي رأيتُ الناس يلبسون عقالاً، تسمى عقال شطفة، وهو من الصوف مفرض ومطرز بحرير، ومستطيل الشكل، ويتم لفه أثناء وضعه على الرأس ولونه قريب إلى البني يسمى: (غدقاً)، ويوجد عقال يسمى: (عقال طي) كان مختوماً وتقلبه على دائرتين، فقد كان في الجيل السابق يلبس عقال الشطفة كبار السن والوجهاء، كما يلبسه العراقيون، فقد كانت تلك النوعية متداولة بكثرة، ولكن العقال الأسود غير متداول، وأذكر في طفولتي وعمري خمس سنوات بأنني توجهتُ يوم الجمعة إلى المسجد، ودخل المسجد ثلاثة من المصلين يضعون على رؤوسهم العقال الأسود، فصار عند البعض غمز ولمز، استنكاراً، مما يدل أنه ما كان في أعراف الناس استخدام العقال الأسود في تلك الفترة.

الحياكة:

في السابق هناك نهاية السوق من جهة الجنوب سكة تسمى سكة الرفاعة بعدها تقع سكة تسمى المجيلس، وهي أوسع من الرفاعة يباع فيها الصوف المغزول وغير المغزول، ويوجد من يشتري جزة الخروف ويغزلها ويبيعها يوم الخميس، ولون جزة الخروف قد تكون لوناً واحداً وأحياناً تتألف من لونين أو ثلاثة فيتم صبغه حسب نوع البشت، ويمكن أن يبقى الصبغ في البشت يومين وأكثر، وإذا صبغ يغسل في شمال عين أم خريسان في منطقة تسمى أم المشادخ، فهناك صخور خمس أو ست، يغسلون عليها الصوف، ويضرب بها ويسمى طوف الغزل، إلى أن ينظف مما يزيل آثار الصبغ. وفيما بعد عند الحايك قطعة خشبة يمكن تصل إلى مترين أو أطول، يأخذ طوف الغزل ويعلقه على طرف، والطرف الثاني يضعه على كتفه ويمشي به، والحايك يحيك هذه العباءة، وطولها اثنا عشر ذراعاً فوقية وتحتية، تقسم تلك القطعة إلى قطعتين، أحدهما تسمى (فوقية) تعني الجزء الفوقي من العباءة، يمكن يكون طولها ستة أذرع ونصف، والأخرى: (تحتية) تعني الجزء الأسفل من العباءة وهي أقل، ويمكن يكون طولها خمسة أذرع ونصف، لكن في عهد الملك عبد العزيز وبما أنه طويل هو وأولاده فصاروا يوصون على طول ١٤ ذراعاً، فتقص تحتية بطول ستة ونصف، وفوقية بطول سبعة ونصف.

وكانوا يسمون كل وصلة من الصوف (طوفاً معيناً) كما يسمون بعض البشوت: لونين والذي يقصد به لون الصوف بني فاتح أو غامق، فهناك ألوان تقتضي السواد ويسمى (مدخل)، فالمدخل هو الأسود، واللويان على لون الخرفان أو الغنم، وهو يصبغ ليكون لوناً واحداً، ويسمى المكان الذي يشتغلون فيه الحياك بارقة، والأصل فيها أن موقع السمادة أي (تواجد الحيوانات) في البيت إذا كانت كبيرة قد يتم استثمارها لموقع الحياكة، حيث يتم تجهيزها

ويجعل نصفها مكشوفاً، ونصفها الآخر مسقفاً، وبالأخص الجزء الشمالي وهو الذي فيه دكاكين الحياك، قد يوضع في تلك البارقة عشرة دكاكين محفورة في الأرض على كبر الساحة المتاحة للحياكة، وتسمى حينئذ بارقة كبيرة، ويوجد بالبارقة مجيلس صغير للقهوة، وقت الراحة يجلسون فيه، ويتناولون القهوة والتمر، ويقصد بالدكان: المكان الذي ينزل فيه الحايك، وللبارقة مالك، والذين يعملون معه صبيان، وليس شرطاً أن تكون تلك البارقة في بيت المالك، فمعزب الحياك يملك البارقة التي فيها الدكاكين، وصبيان يشتغلون معه بأجرة يومية، مثل هذا لابد أن يكون عنده دكان في السوق لبيع البشوت بعد حياكتها، ومتى ما تم الانتهاء من حياكة العبي يعرضها في دكانه لبيعها، وإذا لم يكن عنده دكان كان ينسق مع صاحب دكان آخر، أو لربما يسلمها دلاّلاً ويدور به في السوق ويبيعها، وهناك من يعمل لوحده في بيته، يشتري الصوف ويعطيه من يغزله فيما بعد يتصرف فيه، إما أن يصبغه إذا كان في حاجة لذلك، أو يشخّص أنه لا يحتاج لصبغ، ثم يحيكه ويتجه به بعد ذلك إلى السوق، إما أن يبيعه بنفسه، فيجعله على ذراعه ويمشي به، وإذا وصل سعره إلى السعر الذي يعجبه باعه.

والمخايطة فيهم شخص يشتري العباءة من السوق، ويأتي للبيت ويخيطها، وإذا انتهى من خياطتها باعها في السوق، وأقدم على شراء عباءة أخرى، وهذا عمل مفرد، كذلك يوجد صاحب مجلس خياطة يتكون من ثلاثة أو أربعة من المخايطة يشتغلون معه في ذلك المجلس، وقد وصل عدد من يعمل في تلك المجالس إلى عشرين عاملاً وأكثر.

هناك كثير من البدو يملكون أغناماً، وقد تقدم بناتهم أو نسائهم على جز الصوف من الخروف بعد ذبحه أو قبل ذبحه، ثم يغزل فيباع في السوق، أو يكون البائع أبعد في المصلحة حيث يكون له عميل من الحياك يعطيه الغزل حتى

ينسجه، وإذا نسجه يطلب منه خياطاً يخيطه، وبعدها إما يلبسه هو، أو يهده، أو يبيعه في المواسم، وكنتُ في طفولتي عندما أذهب إلى السوق مع والدي، أرى الكثير من الحياك يقولون لوالدي: عندنا هدم متاحة للبيع، حيث عمل الحايك يشد ويطوي البشت على قطعة خشب، ارتفاعها وعرضها شبر يلف عليها قماش العباءة، بعض الناس يدبس العباءة أي يضع عليها دبساً ويطليه حتى تبدو ثابتة، ثم يلفها على النال، في الشتاء تحتاج أربعة أيام، وفي الصيف يكفيها يومان، ثم يطلب ذلك المعزب من الوالد أن يرسل له من يستلم البشت منه، فيطلب مني والدي أن أذهب إلى فريق النعاثل القبلي أو الشرقي لأخذ العباءة، ولما بلغت من العمر عشر سنوات عام ١٣٦٠هـ كان الوالد يتعامل مع حياك فريق الرفعة الشمالية وبالأخص مع نوع من البشوت يسمى قيلان، وهو عبارة عن عباءة وسداها قطن يرسلني إلى ديوانية آل الحمضة وديوانية القرين وغيرهما.

الشاوي:

كلمة الشاوي موجودة عند أهل الأحساء، وهو الذي يسرح الغنم، ويوجد في العراق أسرة كبيرة تحمل لقب الشاوي، وفي الكوت في عائلة من النجاجير تسمى الشاوي، والنجاجير الذين يسكنون في فريق الكوت بعضهم من أسرة آل عمران وآل حرز وآل الشاوي وغيرهم.

قدسية المشائخ:

ينظر الناس من جهة إيمانهم وثقتهم في عالم الدين أو طالب العلم الديني، إلى أنه كبير في نظرهم، ولذا يسألونه عن كل شيء عن الدين، وعن أمراضهم، وعن أسرارهم، بمبرر أنه ثقتهم وطالب العلم يجسد تلك الثقة، بحيث يجيب على ما يسأل عنه من أمراض، ولاحظت بعض المشائخ بعد الصلاة والتعقيب

يأتي له المؤمنون، ويشتكون له من بعض العلل، فكان يجيبهم ويشخص لهم العلة ويقدم لهم بعض التوصيات العلاجية، وأعتقد أن تجاوب العلماء مع ذلك كان يسبقه اطلاع على ما يرتبط بالأمراض وعلاجها، بحسب ما يقرأون عن طب الأئمة عليهم السلام وكتب الطب العشبي، بل كان بعض العلماء يقرأ فيما يرتبط بعلوم الطب، ليكون متأهباً لأي سؤال في هذا.

الزراعة:

سمعتُ عن أشخاص كانوا متميزين في الفلاحة، ففي فريق الرقيات ٧٠٪ منهم من المزارعين، وكذلك في فريق الرفعة الشمالية، وفريق الكوت، وفريق النعاثل وخاصة جهة الهدام، وغالبية سكان الهفوف لهم صلة بالفلاحة سواء مكري (الذي يكري نفسه في عمل الزراعة) أو عراب (وهو الذي يشتغل في ملكه أو يضمن بعض المزروعات بيده أو عماله)، فالفلاحة هي أهم حرفة في الأحساء، لكن تراجعت فيما بعد ولذلك أسباب كثيرة.

المقايضة:

في مسألة التمر والفلاحة يوجد نوعان في بيع التمر: فنوع يباع بعد صرامه، ونوع يباع وهو معلق على النخلة، وتوجد نكتة تصف هذين النوعين من البيع، أن شخصاً مشى مع آخر فرأى جنازة محمولة، قال: هذا ميت أو حي؟ ثم مر على نخيل (والنخيل متمرة) فسأل: هذا مأكول أو لم يؤكل؟ والمأكول يعني مباع وهو معلق، فقد يضطر المزارع ليبيع التمر وهو معلق.

الجهاد:

يحتاج الناس إلى الحاكم لأمنهم ومنع التجاوزات فيما بينهم، ويحمي أموالهم وأعراضهم ودماءهم، لذا يقال عبارة أو مثل: «من أخذ أمنا صار عمنا»

والأم يقصد بها البلد، ويكنى بها الحاكم، ولكن أهل الأحساء يشترطون على الحاكم ألاّ يطالبهم بالمشاركة في حروبه، مقابل أن يدفعوا له شيئاً يسمونه: (نوباً) فكأنما ينوب عنه، أو ينوب من يدافع عنه بالمال ويحميه.

النوب يعبر عنه بـ(ضريبة جهاد)، وورد في الحديث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «من جهز غازياً في سبيل اللَّه فقد غزا» ولكن رجال الدولة سموها: (ضريبة جهاد) كأنما الدولة تجاهد في سبيل اللَّه وتحتاج إلى معونة من شعبها وبما أن أهل الأحساء لا يرغبون بخوض الحروب، فإنهم يوافقون على تسليم ضريبة الجهاد، وهذه استمرت حتى عام ١٣٥٦هـ، ثم اختفت، لتحسن الوضع الاقتصادي بعد اكتشاف النفط.

أسباب الهجرة:

تراجع الاقتصاد في الأحساء، وكانت ضريبة الجهاد لا تتجاوز خمسة ريالات، ولكن الكثير لا يتمكن من دفعها، بسبب سوء وضعهم الاقتصادي، فترك البلد الكثير من الفلاحين بسبب تلك الضريبة، والواقع الذي عرفتُه في العهود المتأخرة من سنة ١٣٤٠ إلى ١٣٥٥هـ أن هناك تراجعاً في اقتصاد الأحساء، خاصة الصنائع مثلاً الحدادة – الصفارة –الحياكة و.... الأحساء سابقاً كانت محركة للاقتصاد بتلك المهن، وكانت متوارثة قبل الإسلام من مئات السنوات، ولقد وجدتُ في السيرة النبوية أنه عندما زار وفد من أهل الأحساء المدينة المنورة، ومقابلة رسول اللَّه ﷺ يقال: إن النبي ﷺ سأل أحد أفراد الوفد، ما هي المروءة عندكم؟ فأجاب الحرفة والعفة، فالحرفة هي المهنة ينفق منها على نفسه وعائلته، ويكف نفسه عن السؤال، فكان الأحسائيون لا يرون العمل المهني معيباً، بل يرونه مقدساً، والمثل العامي يقول: «شيل الثرى على الرأس ولا العوزات للناس» فأهل الأحساء كانوا يعتمدون على الحرف.

وفي أوائل القرن الرابع عشر غزت البلاد المصنوعات الأجنبية، فقضت على كثير من الحرف، كما أنني رأيتُ بعض أصحاب الحرف من الأحساء والبحرين كالصفارين يصنعون الملاعق والصواني والجدور (القدور) ولكن بعد سنة ١٣٥٥ -١٣٥٦ أصبح من يعمل في الصفارة - وهم ليس بالقليل - يصلحون ما يحتاج للصيانة من تلك المواد، ولا يصنعون جديداً، بسبب عدم القدرة على منافسة الصناعات المستوردة، كذلك الأنسجة من الملابس النسائية، وأردية الزفاف التي تلبس في الزواج، فقد كانوا يصنعونها، ولكن فيما بعد كانت تستورد، وكان آخر من صنعها شخص من فريق النعاثل الجبلي من سادة السويج، ولم يصنع أحد من بعده.

أما في البحرين فلقد استمرت الصناعة لأن النساء يلبسن الأردية ويسمونها (برد) وهو ما يصفه الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني:

تلوث بعد افتضال البرد مئزرها لوثاً على مثل دعص الرملة الهاري

وكلمة (تلوث) تحولت في اللهجة العامية إلى (تلوت) أي تدير الثوب وتلفه.

كذلك مهنة الخزف، فبعد ما كانوا يبردون الماء في الجرار، تم الاستغناء عنه، وحل بديلاً لها البرادات، فماتت مهنة الفخار، كذلك مهنة الحدادة حيث كانت مصنوعات الحديد تصنع في البلد، والآن المسامير وغيرها، كلها مستوردة، كذلك كانت الأخشاب في السابق تؤخذ من أشجار البلد، حيث تستعمل للأبواب، يقصها النجار ويأخذها لعمل منتجاته، ولم أشاهد سابقاً في الأحساء استيراد الخشب، لكن في البحرين شاهدتُ ذلك من أجل استخدام الخشب لصناعة السفن.

النواطير:

سنة ١٣٥٥هـ انتشرت إشاعة أن هناك من يتعدى على البيوت ويطلق عليه حرامي، قد يهم بسرقة المال والممتلكات، وقد يهدف إلى الاعتداء على الأعراض، فكثر ذلك الحديث إلى أن وصل ذلك لأمير الأحساء، فسمح لهم أن يكون في كل محلة (نواطير) فاتفق أهل الفريق على تحديد (منطر أو ناطور) يقف في موقع معين، وبالتناوب بينهم لمنع السرقة، إلا أن كثيراً من الأغنياء كان يدفع مبلغاً من المال لبعض الفقراء، وينيب عنه في النطارة، وأتذكر أنه في سنة ١٣٥٦هـ عثروا على لص في فريق الرقيات، ويقال عنه: ابن العليمي واعتقل وتعرض للضرب، وسلموه فيما بعد للإمارة، وسموها تلك السنة بسنة العليمي وتسمى آخر نطارة.

أما دور الإمارة فكانت تعين دوريات في سنة ١٣٥٠هـ من خدام الأمير يتجولون في الأفرقة (الفرجان) بعدما منعت الدولة الخروج من البيوت عند الساعة (الرابعة غروبي أي بعد غروب الشمس بأربع ساعات)، ومن يتجاوز ذلك من المواطنين يتعرض للمساءلة، ولربما يوقف إلى الصباح ثم يتم استجوابه، ويؤخذ عليه تعهد قبل إطلاق سراحه. وكان المؤمنون يأخذون أذناً من الأمير في عشرة محرم حتى يسمح لهم بالتجول بعد (الرابعة غروبي).

جلسة المزارعين:

كانت جلسة المزارعين في الرقيات قريبة من مسجد الرقيات، وكذلك في فريق الرفعة الشمالية يوجد موقع للتنسيق مع المزارعين عند ساباط الحايك، ويوجد كذلك في فريق النعاثل عند موقع الهدام، وفي الكوت عند دروازة البدع، حيث يجلس المزارعون بعد صلاة الفجر، ويأتي المزارع أو مالك المزرعة ينسق

مع مجموعة من العاملين، ويتفق معهم على الأجرة وطبيعة العمل، ويبقى من يرغب في العمل في تلك المواقع إلى طلوع الشمس، وإذا ما حصل أحدهم على من يطلبه للعمل في الزراعة يخرج يبحث له عن شغل آخر.

أساتذة البناء:

لا يوجد مكان مخصص للتنسيق مع عمالة البناء، فلو صار عندك شغل في بيتك لابد أن تذهب من الليل لتتعاقد مع الأستاذ، وهو بدوره يرتب أو يبلغ من يسترضيه للعمل معه، وهناك أستاذ وهناك جلاف (اصلها الكلاف من يتكلف العمل هو مساعد الأستاذ يناوله الطين والحصى).

صيد الجراد:

أهل الأحساء إذا أرادوا وصف سنة بالخير، قالوا: (سنة الجراد والفقاعة) بسبب أنها أكلة حلوة ولذيذة، وهناك مثل شعبي يقول: (الجراد أكله ما يشبع، وطلابه ما يستحي) إذا حل وقته فرح الأهالي به كدواء، وإن كان يفسد على البعض زرعهم ولكنهم يفرحون به، ويصطادونه ويهدونه لبعضهم البعض، حيث يعتبر ذلك من مظاهر السعادة عندهم، وهناك مثل شعبي يقول: (إذا جاء موسم الجراد وهو في موسم الشتاء كب الدواء) ومعناه أن الجراد يأكل من كل شجرة، ويصبح أكله دواء، بعكس الفقاعة إذا حل موسمها (صر الداء)، لأن الفقاعة تسبب عسر الهضم، ولربما تسبب أمراضاً. وللجراد مواقع، ويوجد مختصون لصيده، ويأتي من يبلغ عنه، ويتتبعونه إلى أين يصل، وإذا شاهدوا أرجل الجراد يعني جماعة الجراد، يتحرك معه مئات من الناس يطلعون ويصدون الجراد. وفي عام ١٣٦٥هـ وعمري خمس عشرة سنة كان أول مرة أخرج لصيد الجراد، وكان لي خال اسمه محمد بن حسين بو خلف المهنا، وقد كان مولعاً بصيد الجراد،

وخرجتُ أكثر من ٢٥ مرة لجهات مختلفة، فاصطدنا من محل يسمى: سليل في الشمال، وكذلك في محاسن، ومن الجنوب عند جبل يسمى: دخنة على خط قطر، وفي جبل يقال له: مطيوي ورويضة ولحمة الجراد، وكان يتفنن الأهالي في طبخه، كما كان البدو يطبخونه حيث يشعلون النار على الرمل وإذا حمى الرمل، يتم إزاحة الجمر، ثم يبحثون في الرمل الحار ويعملون فجوة كبيرة، ويضعون الجراد فيه، ثم يغطى بالجمر الحار والرمل ويسمى (حنيذ).

الشخصيات النسائية البارزة في المجتمع الأحسائي:

كان المجتمع الأحسائي محافظاً، وبلغ في محافظته على النساء أن المرأة لا تذكر باسمها، إنما بنت فلان، أو أم فلان، فذكر اسمها معيب، بل يوجد فئة من الناس إذا ذكرت كلمة (المرأة) كأنه يذكر شيئاً معيباً يقول: يكرم السامع، ولقد وجدتُ الكثير من العلماء من يرفض ذلك، ويعترض عليه ويبلغهم بأن ذلك سلوك يرفضه اللَّه سبحانه وتعالى، وقد ذكر اللَّه مريم بنت عمران بالقرآن الكريم، ولم يقل يكرم السامع، بل أشاد بها وبتقواها لذا المرأة ليس لها شهرة في زمانها، لكن هناك من النساء وهن الفتاشات والقابلات (في كل فريق فيه قابلة).

المطوعات:

هناك بفريق الفوارس أكثر من سبع مطوعات يعلمن القرآن الكريم، وأي كتب أخرى غير القرآن الكريم، وكانت تسمى كتب السواد من مواليد الأئمة عليهم السلام وكتب المقاتل والسفن النسائية، هناك من يعلم القرآن الكريم، ومنهن من تعلم القرآن الكريم وكتب السواد، ومعلمات البنات أكثر من معلمي الأولاد، والولد الذي دون سن العاشرة يتعلم عند المطوعة، بينما المطوع لا يدرس إلا البنين.

شراء احتياجات البيت:

الناس في الأحساء يتفاوتون في الانفتاح والانغلاق، وفي تشخيص ذلك بما يناسب المرأة أو يعارضه، حيث توجد حمائل (عائلات) تمنع دخول المرأة في السوق، يقابله في بعض الأسر تسمح لنسائها بالذهاب إلى سوق يوم الخميس، حيث يوجد سوق خاص للنساء، لكن المرأة تمنع من البيع والشراء، تجد من النساء من تمر جهة السوق من الشمال إلى الجنوب أو العكس، ولا تشتري شيئاً حتى من المرأة التي تبيع في السوق، ويوجد من النساء من يشترين من النساء والرجال، وهن في أتم حشمتهن. كما أنه بالسابق كانت المرأة المتسولة تستعطي، وقد تحصل على من يعطيها تمراً، وإذا تجمع عندها كمية من التمر، تخرج تبيعه في سوق الركون، والسبب في تلك التسمية بحسب كمية التمر، فإذا كانت قليلة يسمى ركناً ولذا سمي سوق الركون، تبيع المرأة هذا أو ذاك لتشتري لنفسها حاجاتها الأساسية.

عيون الساحة:

عين ام خريسان

لكوني من أهل الهفوف، كنتُ قليل التنقل إلى عيون المياه التي بالقرى، ومنها: عين الجوهرية التي ببلدة البطالية، ولكن أذكر وعمري سبع سنوات، كان لنا ابن عم يسمى الحاج أحمد بن الشيخ علي بن محمد صالح الرمضان، كان يسكن بالكويت جاء إلى الأحساء زائراً فكرمته العشيرة بإعداد الولائم، ومنهم شخص من الأسرة يملك مزرعة في بلدة البطالية دعاه ودعا معه شخصيات الأسرة، وتوجهتُ معهم ١٣٥٦هـ بهذه المناسبة، فتوجهنا لمشاهدة عين الجوهرية. أما أهالي الهفوف من الفوارس والكوت وفريق الرفعة الشمالية، فهم يذهبون لنخل

يسمونه (العوينة) قبل أم خريسان في نخل صدر، أو يتجهون إلى أم خريسان، أو عين بن نسيم مقابل دروازة الكوت الشمالية، التي تطلع على براحة الخيل أو عين النجم في الشتاء وعين الخدود للرجال، أما الحقل للرجال والنساء، فهناك موضع يسمى موضع الجمل عند نبع عين الحقل، وهذا للنساء، وسمي موضع الجمل حيث في إحدى المناسبات بشهر ربيع كان الأهالي يخرجون إلى عين الحقل، يعدون أدوات الطبخ والثياب ويأخذونها معهم، وفي العهد التركي كانت توجد امرأة تستكري جملاً وتأخذ ثياب النسوان وطعامهم وتضعها على الجمل وتنقله لهم إلى عين الحقل بأجرة، وعند عين الحقل يوجد مبرك للجمل وسمي المبرك موقع الجمل، وهناك مجرى الحقل ويسمى (أبا الحقل) فهذا كله مخصص لسباحة النساء، ويوجد قريب من ذلك أيام الحكم التركي مطاحن تحركها المياه الجارية والذي عنده حب يطحنه هناك يسمى الرحيات.

الميت:

إذا توفي الميت العصر يغسل ويصلى عليه ويدفن بالمقبرة، أما إذا توفي في الليل فيبقى إلى الصبح، والغسل كله في البيوت، حيث يتم اختيار موقع بالبيت يسمى المحمى، ثم يطرحون على المحمى باباً من أبواب البيت، وعادة باب السمادة يغسل عليه الميت، وعندهم عادة أن المحمى تبقى مغطاة بالباب ثلاث ليال، في كل ليلة يشعل أو يوقد عند المحمى سراج، وأما عن الصلاة على الميت في الغالب يصلى عليه في المقبرة، ولكن في سنة المرض الذي مات فيه الكثير، كان يصلى على البعض في المسجد الجامع الذي بالفريق، وقد يمكث عالم الدين بالمسجد لعدة ساعات، كلما قدمت بين يديه جنازة صلى عليها، أو قد يوجد في الفريق أو المحل براحة يضعون مظلة (عمارية) ويجلس فيها، وكلما غسل أحد الموتى قدم بين يدي طالب العلم للصلاة عليه. تنصب الفاتحة

ثلاثة أيام صباحاً وعصراً ويجلسون في مجلس الأسرة الكبير أو في الحسينية، والأغلب في بيت من بيوت الأسرة، وإذا كان شخص عنده مجلس يبادر أحد أقاربه بفتح مجلسه، أو يستفيد من مجلس جاره، حيث إن مجتمع ذلك الزمان أعدادهم قليلة، وقد رأيتُ في مناسبات الأعياد والأفراح قلة الحضور لقلة الأولاد، وفي عام ١٣٦٠هـ أو قبلها سمعتُ عن امرأة انجليزية زارت المملكة، وذكرت أن أكثر من ٩٠٪ من المواليد يموتون، وهذا كلام صحيح، وقد رأيتُ بعض الشخصيات في الفوارس - أكثر من شخص - لم يعش له إلا ابن واحد أو بنت واحدة، بسبب الأمراض التي تصيب الأطفال كالقرحة والحصبة والجدري والسعال الديكي والتي تسبب في موت الكثير من الأولاد.

هجرة البصرة:

في أواخر القرن الثاني عشر، صار وباء في البصرة وامتد للكويت والأحساء، لكن أثر في البصرة أكثر، وسمي المرض (بالهيضة)، ويقال: إنه قضى على الناس بالكويت، ولم يبق إلا بيت يسمى بيت سعود، وإلى الآن في محلة تسمى محلة سعود، كان أهلها أثرياء وأخذوا مؤونة تكفيهم وأغلقوا الباب عن العدوى، ويقال: إن واحدة منهم كانت تريد أن تطمئن على أهلها، فقيل لها: لو رجعتي إلى البيت فلن نفتح الباب لك، فوافقت على ذلك، ولما توجهت إلى بيت أهلها: لم تجد أحداً من أهلها، فكلهم ماتوا، وحينما رجعت إلى بيتها لم يفتحوا الباب لها، وماتت عند الباب، فقال شاعر واصفاً هذه الحال:

شفت المنازل مثل دوى الفضا عقب السكن صارت خلايا مخاريب
يـا دهـوتـي مما عـدى مـا بدى دهرني يذكرني بأهلي والأصحايب

بعد ذلك لما رجع التجار الذين يتاجرون في خارج البلاد، وجلبوا معهم السلع، وانصدموا بموت النساء والأطفال، تزوجوا من أهل البصرة، وقد وقعت

حرب بين سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود مع أهالي الأحساء في سنة الجخوة، والذي قاد الجيش الرسمي علي الكخية وسماه أهل الأحساء الجاخوة، كما ذكرنا ذلك سابقاً، واستمرت الحرب أيام الصيف، وصعب على الفلاحين الانتقال لمزارعهم، ومع عدم الاستقرار السياسي، توجهت شريحة منهم إلى البصرة، وقد كانت هناك هجرة من عهد القرامطة، يذكر في التاريخ: أن هناك جماعة في ساحل أفريقيا أحسائيين هاجروا في حركة القرامطة لكن دخول الملك عبد العزيز قلل الهجرة بسبب الهدوء، ولكن هناك ظروف معيشية ساهمت في الهجرة كالضرائب المالية التي يلزم على المواطن سدادها، مع عدم القدرة على ذلك.

دخول الملك عبد العزيز:

للأحسائين الشيعة دور في دخول الملك عبد العزيز إلى الأحساء، فقد كان الملك عبد العزيز يأتي للأحساء في فصل الصيف ويخيم في منطقة زراعية فيها قصر المجصة عند الطرف، وكان الشيخ موسى آل أبي خمسين وأشخاص من أهل الأحساء يلتقون به، ويقدمون له هدايا من الأرز والأقمشة والتمر والقهوة والسكر ترسل باسم جماعة آل أبي خمسين، وكان يتقبل منهم ويستقبلهم باحترام، وتكررت تلك اللقاءات والهدايا.

الشيخ محمد بن أبي جمهور:

الشيخ محمد بن أبي جمهور شخصية علمية من أسرة أحسائية، وأتذكر أنني قرأتُ في مجلة الموسم التي يصدرها الشيخ عبد اللَّه الطريحي، عندما كنتُ أمارس مهنة الخياطة في سوريا، بأن الدولة الفاطمية بمصر كانوا أصحاب عقيدة إسماعيلية (نسبة إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث كان الابن

الأكبر للإمام جعفر عليه السلام، فذكر الكاتب أن بعض الشيعة كانوا يعتقدون بعقائد الإمامية وقد انتقلوا إلى مصر، واعتقدوا بالعقيدة الإسماعيلية، ومنهم: جد الشيخ محمد بن أبي جمهور وجد الشيخ أحمد ابن المتوج، (وأنا أعتقد بذلك أيضاً). فالفاطميون في أول خلافتهم كانت في المغرب، وكان قاضيهم محمد بن محمد بن النعمان، وقد ألف كتاباً فقهياً يتعلق بالفاطميين، شاملاً أبواب الفقه أسماه (دعائم الإسلام)، وأصحاب المذهب الإسماعيلي يعتمدون عليه، وكذلك البهرة والياميون في نجران، فقد اشتريتُ الكتاب بسوريا وقرأتُه من أوله إلى آخره، لم يتعرض إلى عدد الأئمة نهائياً، كما أني اجتمعتُ مع شخصية من علماء البحرين اسمه الشيخ محمد بن الشيخ منصور بن سلمان الستري، يرجع إلى آل رمضان فسألتُه عن كتاب (دعائم الإسلام) فقال لي: بأن الشيخ حسين العصفور الملقب بالعلامة والذي يقلده أهل البحرين إلى الآن يعتمد في الفقه على كتاب (دعائم الإسلام)، ولاحظتُ بعض الأحاديث في بحار الأنوار ينقلها عن كتاب (دعائم الإسلام)، كما أنني قرأتُ في المجلي، وفي كتاب اللآلئ للشيخ ابن أبي جمهور، وكما اطلعتُ على مناظرة الغروي والهروي، وألفتُ قصيدة في علماء الأحساء وهي شاملة عن علماء الأحساء بدايتها في ابن أبي جمهور الأحسائي.

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي:

الشيخ أحمد بن زين الدين (الأوحد) من العلماء البارزين، وأهالي الأحساء يقدسونه ويجلونه ويحترمونه ويرونه من كبار العلماء، ومن أهل العرفان، وهنا أتحدث، وأنا من أسرة شيخية، وأتحدث عن مجمل الخلاف الذي وقع بين أتباع الخطوط العقدية. ففي العقد الثاني قرأتُ في كتب التاريخ وفلسفة التصوف، واستغرقت مني وقتاً طويلاً، وقراءات متعددة، واشتريتُ كتباً متعددة من أجل التعمق في معاني كتاب الإنسان الكامل، ولدي كتاب إحياء علوم الدين للغزالي

وغيرها من كتبه فيما لا يقل عن عشرة، مثل: كتاب المنقذ من الضلال والمضنون على غير أهله.

في عام ١٣٦٩هـ اقتنيت كتاب إحقاق الحق للميرزا موسى الإسكوئي من مرافق الميرزا علي أثناء تواجده في الأحساء، وهو الحاج حسين بن علي بن حجي الغزال حيث يرافقه في دعواته للضيافة من قبل المؤمنين، فاشتريتُ منه الكتاب بريالين، حيث إنه ليس بقارئ، ذكر فيه تاريخ الشيخ الأوحد في كربلاء المقدسة، ثم سفره لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، ولما توجه إلى إيران حصل له هناك استقبال من الشاه فتح علي القاجاري، ومن الشخصيات العلمية ليستفيدوا منه، ولما عاد من رحلته إلى كربلاء المقدسة، وجد هناك من اعترض على مباحثه، ووقعت فتنة، حتى إنه قرر الخروج من كربلاء المقدسة، وتوجه للديار المقدسة لأداء فريضة الحج وتوفي في طريق المدينة المنورة.

نرجع للكتاب الذي قرأتُه وعنوانه إحقاق الحق، حيث بين فيه الميرزا موسى الاعتراضات على عقائد الشيخ الأوحد، ويرد عليها بكلمات الشيخ الأوحد، وقد ركز الميرزا موسى على الفرقة الركنية، وعلى الملا رضا الهمداني الذي ألف كتاباً اسماه: (هدية النملة إلى إسبال الملة) وقدمه إلى السيد محمد بن السيد مهدي الشيرازي نزيل سامراء، وقد أنشأ حوزة علمية بسامراء، بهدف تشجيع المؤمنين على السكنى في سامراء، ولكن لم تنجح محاولته.

وألخص مباحث الشيخ أحمد واعتراضات من اعترض عليه، حيث يحسم الموقف كلمة قالها الشيخ عبد اللَّه بن علي الوايل: وكان شاعراً وشيخياً يخاطب خصوم الشيخ والمعترضين على الشيخ بكلمة: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾، وهي آية ٢٤ من سورة سورة سبأ، ومعنى ذلك أن الشيخ أحمد اعتمد على أحاديث صحيحة عن أهل البيت عليهم السلام وأنتم ترون صحتها،

فاعتراضكم عليه ليس له وجه. فالشيخ الأوحد اعتمد على كتب ترونها كلها صحيحة، أحاديث ترون صحتها فاعتراضكم عليه ليس له وجه، لكن الانسان عندما يقرأ ذلك الكتاب وغيره من الأبحاث العلمية من سنة ١٣٦٩ إلى الآن وحتى تاريخه والنتيجة هي: أنني غير مختص، ولا يحق لي أن أتحدث في مباحث غير متخصص فيها، وأنا لستُ أهلاً للنقاش فيها، ولكن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء له كتاب اسمه: (الآيات البينات في قمع البدع والضلالات)، وقد ناقش عدة عقائد من البهائية والبابية، وذكر أن البابية والبهائية يعتقدون أنهما اعتمدا على بعض مقالات أو آراء الشيخ أحمد بن زين الدين، وأشار في الهامش بأن لا صلة لهم بالشيخ أحمد بن زين الدين، وكل ما في الأمر أنهم يطلقون على الشيخ أحمد بن زين الدين والسيد كاظم الرشتي بذوي النورين، ولكن في الهامش ذكر بأن الشيخ أحمد بن زين الدين عالم جليل القدر وأنه من كبار العلماء وله إجازات من مراجع زمانه، وعد منهم: الشيخ الأنصاري، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ حسين العصفور وغيرهم، وقال تعليقاً على الشيخ أحمد: هو رجل من أهل العرفان جليل القدر، ولكن في كتبه بعض الكلمات المتشابهات، ويجب عدم التهجم عليه لجلالة شأنه.

لأن كلمة المتشابهات (هذا تعليق مني) والقرآن الكريم فيه متشابهات، والحديث فيه متشابهات، وكلمات العلماء فيها متشابهات، لكن الواقع الذي أراه أن المنتمين إلى مدرسة الشيخ أحمد بن زين الدين تتبعوا الكلمات المتشابهات وعلقوا عليها، فصارت الفتنة والقول والقيل، والشيخ رجل عالم، وكما قال بعض العلماء: حول المتشابهات (ذروه في سنبله)، ولكن بعض الناس لم يتركوه في سنبله، بل أخرجوه وعلقوا عليه وبنوا عليه وأعطوه قرارات، ولذا الشيخ حبيب القرين يرى مدرسة الشيخ أحمد بن زين الدين، ويرفض ما قيل حول المتشابهات التي تنسب إليه.

السيد ناصر بن السيد هاشم السلمان:

أتذكر في ذكرى وفاة المرجع الديني السيد ناصر السلمان عام ١٣٥٨هـ، حيث صار له تشييع مهيب وحضور جماهيري من أنحاء المنطقة، وأقيمت على روحه الكثير من مجالس العزاء في المبرز والهفوف والقرى، وألقيت كثير من القصائد في رثائه. وأتذكر أنه في عام ١٣٥٩هـ بعد وفاة السيد ناصر السلمان بسنة صدر كتاب اسمه: (السيد ناصر الأحسائي) كتبه الخطيب السيد محمد حسن بن السيد أحمد الشخص، وكانت تباع النسخة بريال واحد، ولم يكن متوفراً عندي ذلك الحين قيمة ذلك الكتاب بسبب ظروف المعيشة، فربما يحصل الخياط خلال الأسبوع من قيمة شغله على ريال، فكان يقال: (الريال حصان يحتاج حصاناً يطرد خلفه)، وقد تحصلتُ فيما بعد على نسخة من أبناء العم ثم قرأتُها، وقد ساهم فيه شعراء كثيرون، غالبيتهم من النجف الأشرف، وكانت للسيد ناصر شهرة في العراق، وبالأخص في النجف الأشرف، كما قال لي بعض العلماء عن تميز تدريسه في زمانه، وأما عن الشعراء الذين ساهموا في رثاء السيد ناصر من غير النجفيين، فهم ثلاثة: الشيخ محمد علي الحميدان من البحرين، والشيخ كاظم بن محمد صالح المطر من الأحساء، وآخر من العمران وهو الشيخ كاظم بن عمران السليم، وسمعتُ فيما بعد أن بعض الأحسائيين عتب على السيد محمد حسن الشخص رحمه اللَّه، بأنه تجاهل الشعراء الأحسائيين، ولم يضمن كتابه المراثي الكثيرة من الأحسائيين. وأرى أن السيد محمد حسن الشخص كان معذوراً لأن غالبية الشعر الذي قيل في رثاء السيد ناصر السلمان وإن كان كثيراً لا يرتقي لمستوى شعر النجفيين، وأتذكر أن أحد الشعراء الشعبيين شارك في تأبين السيد ناصر بمجلس العزاء وهي قصيدة لوالد الشاعر قيلت في عالم آخر توفي ١٣١٦هـ.

وقد استفدتُ من الكتاب، حتى إنه بعد ذلك بعشر سنين قال لي ابن العم

الحاج ياسين بن عبد اللَّه بن أحمد الرمضان: قصائدك فيها نفس أهل النجف، وما ذلك إلا لأني تأثرت بالشعراء العراقيين.

الشيخ حبيب بن الشيخ صالح القرين:

الشيخ حبيب بن الشيخ صالح القرين تعود أصوله إلى الهفوف وقد أخطأ من أرجع نسبه إلى بلدة القرين، فهذا ليس بصحيح، ولعل البعض ربط بين بن قرين وبلدة القرين فنسب الشيخ لبلدة القرين، فعلينا التدقيق في أنساب أهل الأحساء، حيث إن بعضهم إذا عمل في صنعة ما قد يتبرأ أهله منه، أو حتى إذا سكن في منطقة ما وهو عكس ما هو في وضعنا الحالي.

كما أن الشيخ حبيباً لم يولد في الأحساء، فأبواه من مواليد البصرة، وجده لم يأت الأحساء، وقد سمعتُ أن الشيخ حبيب القرين كان في زمن الشيخ موسى آل أبي خمسين قبل مجيئه إلى الأحساء دخل البحرين، وسأله أحدهم عن تقليد الأموات (وكان السائل إخبارياً) ويريد الاستدلال على ذلك، فقال له الشيخ حبيب: أنا مسافر إلى الأحساء، وحينما أرجع البحرين أزودك بالإجابة بمشيئة اللَّه، فلما وصل الشيخ حبيب الهفوف التقى بالشيخ موسى آل أبي خمسين فقال له: سألني أحدهم بالبحرين مسألة في التقليد، وأريد منك أن ترشح لي شخصاً، وأملي عليه الإجابة، فرشح له الشيخ موسى بن الشيخ أحمد بن علي الرمضان، فكتب رأي الأصوليين منه، بأنه لا يجوز تقليد الأموات ابتداء.

وفي أثناء إقامتنا في البحرين في نهاية عام ١٣٦٠هـ، وصل الشيخ حبيب القرين البحرين، ومعه الشيخ كاظم المطر، وسلمنا عليه وكان أول لقاء به، وطلب من الشيخ كاظم المطر القراءة الحسينية في البحرين بالحسينية الأحسائية، ونزل الشيخ حبيب القرين إلى الأحساء، وفي أول مأتم حسيني للشيخ كاظم المطر

في الحسينية الأحسائية، قال هذه السنة لها خصوصية، حيث إن الإمام الحسين عليه السلام قتل في عام ٦١هـ ونحن الآن في عام ١٣٦١هـ، وكنتُ للمرة الأولى التي أتعرف عليها على التاريخ الهجري.

بعدها التقيتُ بالشيخ حبيب في مناسبات، في الفريق على وجبات طعام في سنة ١٣٦٣هـ، وأتذكر أنني توجهتُ مع والدي إلى زيارته بالحسينية الجعفرية (الكبيرة) التي بفريق الرفعة الشمالية، وجلستُ معه وقد وجدتُه مسناً، يشرب الدخان، كثير السعلة، في جسده التعب، وهو أكبر في السن من الميرزا علي، ربما هو في سن الميرزا موسى، وهو قليل الكلام، وكنتُ أشعر بأنه مشغول بفكره، وكان لي خال يقلده وهو الحاج حسن بن علي بن حسين الرمضان، كذلك خال أبي الملا علي بن عيسى الرمضان، وسمعتُ قصة أنه زار الأحساء تقريباً في سنة ١٣٤٠هـ في طريقه من البحرين إلى الأحساء التقى في البحرين بكثير من العلماء واعتذر الظاهر عن التقليد لما وصل الأحساء طلب من أحدهم يكتب رسالته العملية، وسمعتُ فيما بعد أنها طبعت، وكانت رسالته العملية (زاد المعاد) وقد اطلعتُ عليها فيما بعد.

والشيخ حبيب القرين رثاه الكثير من الأحسائيين منهم: الحاج محمد بن حسين بن محمد آل أبي خمسين ذكرها السيد هاشم بن السيد محمد الشخص في أعلام هجر، وفي سنة وفاة الشيخ حبيب القرين، توفي والدي قبل وفاته بشهرين، وقلتُ أبياتاً على الوالد حزناً على فراقه، وفي وفاة الشيخ حبيب القرين كنتُ في الكاظمية وقد نصب الأحسائيون فاتحة على روحه في خان السريع، وأتذكر ممن تردد على مجلس العزاء السيد باقر الشخص، والشيخ علي الجشي. وبعد وفاة الشيخ حبيب بسنة توفي الميرزا موسى الإسكوئي، ونظمتُ قصيدة في حقه، لا أحفظ منها إلا بيتاً واحداً أقول منها:

أنتم أدلاء الرشاد لأنكم سفراء آل محمد السفراء

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

بعدما قرأتُ كتب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء منها: (منظرة التقارب في تبيان الحقائق) أعجبني حراكه الثقافي، وفي وفاته كنتُ في الكاظمية ونظمتُ قصيدة رثاء في حقه، موثقة في الديوان، والذي كان يحرك قريحتي: التفرغ، والمصادفة، والقراءة والتوجه.

الميرزا علي بن الميرزا موسى الإسكوئي:

في المرة الأولى جاء الميرزا علي الأحساء عام ١٣٣١هـ مع والده الميرزا موسى، وأخيه الميرزا باقر، بهدف جمع المساعدات المالية لتأسيس حسينية في كربلاء المقدسة، وأقاموا مدة من الزمن في الأحساء تهرباً من المضايقات التي تعرض لها الميرزا موسى بكربلاء من الركنية، لأن السيد كاظم الرشتي تلميذ الشيخ الأوحد، له ذرية صارت من الشيخية الركنية، وكانوا أشد على الميارزة من غيرهم، حيث تم منع الميرزا موسى من إقامة صلاة الجماعة في الروضة الحسينية قرب مقام الإمام الحسين عليه السلام، فأصبح يقيم صلاة الجماعة في بيته، ولما التقى بالشيخ موسى آل أبي خمسين عرض عليه مقترحاً بتأسيس حسينية للأحسائيين، ومنها يمكن استثمارها لأداء صلاة الجماعة، وأيد الشيخ موسى ذلك المقترح، وجمعت التبرعات المالية لذلك الشأن، وبنيت فيما بعد، وقد لاحظتُ عام ١٣٥٣هـ مبنى الحسينية القديم، فكان فيها محراب، وكان عمقه نصف متر تقريباً بحيث يستفاد منها في إقامة صلاة الجماعة، وإحياء الشعائر الحسينية، ثم في زيارة أخرى لكربلاء المقدسة عام ١٣٧٣هـ لاحظتُ الحسينية في مبناها الجديد وبقي المحراب بعد تطويره.

رجع الميرزا علي إلى الأحساء، وأصبحت إقامته دائمة، وذلك بعد وفاة السيد ناصر السلمان، بصفته وكيلاً عن أبيه الميرزا موسى في الأحساء، وسمعتُه يأمر المؤمنين بأن يلحقوا أولادهم بالمدارس ومحاربة رفض الكثير منهم قبول التحاق أولادهم بالمدارس، ومما قاله للتشجيع على ذلك: علموا أولادكم وإلا سوف يعملون حماميل في السوق، لأن بعض الأولاد كان يأخذ (قفة) في السوق ويقول: حمال حمال فاشتهروا (حماميل) كما في اللهجة الأحسائية، واستجاب بعض الأهالي لما قاله الميرزا علي.

الميرزا علي أيضاً كان له دور في تحذير المواطنين بالكويت من عدم الالتحاق بالوظائف الحكومية.

وأتذكر أني سمعتُ قصة من ألسنة كبار السن أن أحد المؤمنين لم يكن أكله إلا بالمال الحلال، وعنده ولد رباه على أكل لقمة الحلال، فخرج الأب ذات مرة مع ابنه إلى السوق، فقال الابن لأبيه: أنا خائف فقال له الأب: ممّ أنت خائف؟ قال: هذا كلب! وهذا قرد! وهذا ذئب! وهذا رجل! فقال له أبوه: هؤلاء الذين تتعامل معهم، هم من البشر، فتوجه الأب إلى أحد العلماء وسأله عن حال ابنه، فقال له العالم: هذا ابنك أصبح كشفياً من أكل لقمة الحلال، ينكشف له ما يخفى على الناس، وحصل من اقترح على أبيه أن يتوجه بابنه إلى الجمرك، ويطلب من موظف الجمرك أن يقدم له من التمر أو الرطب أو الحلوى، فلما تحقق له ذلك وأكل من ذلك الطعام، أصبح لا يرى ما كان يراه سابقاً من أمور كشفية، لأن بطنه امتلأ بالشبهات، وقد يكون بالمال الحرام. لذا أثناء تواجد الميرزا علي في الكويت سأله أحدهم ما رأيك في وظائف الحكومة؟ فقال الميرزا علي للسائل: أوضح سؤالك، فقال السائل: عندي أخ يريد أن يتوظف في الجمرك، يستلم البضاعة ويحفظها لحين مجيء صاحبها لاستلامها فقال الميرزا علي: كم

تأخذ الحكومة على صاحب التجارة من ضريبة؟، فأجاب السائل: يؤخذ على البضاعة ٢٪ أو ٣٪ فقال الميرزا علي: فلا يوجد في ذلك ظلم، وإنما تلك النسبة المستقطعة مقابل المحافظة على البضاعة من السرقة أو التلف، فالدولة تحرس البضاعة وتخزنها من التلف، والعمل في تلك الوظائف جائز، ومن ذلك الوقت توسع تسجيل المواطنين للتوظيف بإدارة الجمرك.

في البداية سكن الميرزا علي في الأحساء عند أسرة العامر، ثم سكن في أحد البيوت بفريق الفوارس في سكة العامر، ويقال: إنه بيت يوسف بن موسى البوعلي، وبقي فيه إلى أن خرج خروجه النهائي من الأحساء. وكان يدعى الميرزا علي بقرى الأحساء لإقامة صلاة الجماعة في أيام الجمعة، ولا أتذكر أنه أقام صلاة الجماعة بمدينة المبرز.

وقد التقيتُ بالميرزا علي ذاك الوقت عام ١٣٥٧ هـ، كنت طفلاً كثير الحياء بعدما سمعتُ عن اسمه في البحرين عندما جاء إليها، وسكن هناك عند آل البو علي. كذلك التقيتُ به عندما اصطحبني والدي معه بحسينية العامر وجلسنا مع الميرزا علي، وكان موجوداً عنده ثلاثة أو أربعة من الرجال، فجلسنا تلك الجلسة فجاء إليه شخص (لا نريد ذكر اسمه، وكان مسناً منحي الظهر، يتعكز على عكازة)، لما أقبل الميرزا علي اعتنى به، وقام لأجله، ووضعه في جنبه، ثم التفت عليه الميرزا علي وقال له: من تقلد؟ فقال: أنا مقلدك فقال له الميرزا علي: لو قلت لك لا تصلي فقال: لا أصلي قال له: لماذا؟ إن الصلاة لا تقليد فيها!.

والحقيقة أنا متعجب من كلام ذلك الشخص بهذا المستوى من الجهل، بحيث لا يفهم التقليد، والتقليد يكون في فروع الدين وليس في أصول الدين، لكني إلى الآن أعرف فئة من المؤمنين كانوا يتبعون شخصية من العظام، وبعد وفاته أصروا على عدم تقليد من يتعارض مع طريقته. وسؤالي ما هي طريقته؟

هو لا يختلف عن العلماء في الأمور الفقهية، هو اختلف في الأمور العقدية، والتقليد في الأمور الفقهية، أتذكر أنني كنتُ أقرأ في كتاب المنقذ من الضلال للغزالي، ومرت عليّ كلمة «والمقلد إذا علم أنه مقلد انكسرت زجاجة تقليده»، وهذا كسر لا يجبر، فبقيتُ فيما بعد في التفكير للعقيدة التي تصل للإنسان فهي لا تصل له إلا بفكره هو مقلد فيها لكن لا يعلم أنه مقلد، ولكن إذا علم أنه مقلد لم يقبل منه، وانكسرت زجاجة تقليده، وأكثر الناس يتبع بعض العلماء فيما يعتقد، ولكنه لا يفهم ما يقوله ذلك العالم، مما يوحي رجوعه إليه بمجرد الشهرة فقط، وما يعكس ذلك ضحالة الفكر، لذا ترى من يتعصب لهذا العالم أو لذاك، ولو سألته عن تلك العقائد لا يفهم شيئاً منها، ما يعكس أن هناك جهلاً ومعه تعصب ومكابرة.

وقد صليتُ خلف الميرزا علي وسمعتُ خطبه، لكن عندما كان يخطب في ذلك الوقت: كان عمري فوق العاشرة بقليل، فلم أكن أفهم ما يقوله، وقد كان لدي طموح أن أفهم ذلك، فكنتُ أحتاج إلى لفت نظر أكثر من الخطابة، وأعتقد أن مباحث الميرزا علي أرقى بكثير من مستوى المؤمنين، بحيث لو تسأل أحدهم، فإنه لا يعرف شيئاً مما ذكر أمامه.

السيد محمد علي بن السيد حسين العلي:

سنة ١٣٦٩ توفي السيد حسين العلي (القاضي) وكان هو القاضي للمؤمنين، واستمر في ذلك المنصب فترة طويلة، وبعد وفاته جاء أمير الأحساء معزياً ابنه السيد محمد العلي، ورشحه للقضاء محل أبيه فشاركتُ بقصيدة في رثاء ذلك العالم وكان مقامه رفيعاً عند الأحسائيين، ويقدر ويحترم، وأتذكر في طفولتي وعمري خمس سنوات كان يطلب مني أهلي التوجه للمسجد الجامع عندنا جامع أسرة آل أبي خمسين للتأكد من قدوم الشيخ لأداء صلاة الجماعة

ظهراً، وإذا رأيتُ الشيخ أرجع أخبرهم بذلك، في بعض الأحيان يكون قيم المسجد أو الراوي الذي يسحب الماء من البئر للوضوء يبلغ المؤمنين أن الشيخ يعتذر عن الحضور، حيث يكون مدعواً في القرى، ثم نركض نبلغ أهلنا بعدم وجود صلاة جماعة في هذا اليوم بذلك المسجد. وأتذكر أن في هذا الجامع أقام صلاة الجماعة بعد وفاة الشيخ موسى آل أبي خمسين: الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد البغلي ومات في سنته، ثم أقام صلاة الجماعة: الشيخ أحمد بن علي بن محمد الرمضان بعد موته، ثم أقام صلاة الجماعة طالب علم من آل سلمان العلي من بلدة القارة كان يلبس نظارة سوداء، ثم توفي وبعده أقام صلاة الجماعة: الشيخ محمد بن علي البقشي إلى أن جاء الميرزا علي، فترك الشيخ محمد البقشي الجامع للميرزا علي، وبدأ يقيم صلاة الجماعة بمنزله لعدم توفر مسجد لذلك ولا أعلم عن أسباب ذلك.

وكما قلنا: إذا عرف آباؤنا أن لا صلاة جماعة تقام بالمسجد الجامع، فإنهم يستعدون للتهيؤ للتوجه إلى مدينة المبرز، فيلبسون بشوتهم ثم يتوجهون إلى المبرز، وفي مرورهم على عين الحارة يتم الوضوء هناك، ومنها إلى المسجد الجامع الذي ستقام فيه صلاة الجماعة بإمامة القاضي السيد حسين بن السيد محمد العلي، وكنتُ معهم وكان أهلي يتحدثون عن ورع وتقوى السادة منهم: المرجع الديني السيد هاشم بن السيد أحمد السلمان، وعن المرجع الديني السيد ناصر بن السيد هاشم السلمان، وعن القاضي السيد حسين بن السيد محمد السلمان، فالأسرة معروف عنها التواضع والزهد في الدنيا، ولما توفي القاضي السيد حسين العلي شاركتُ في التشييع وفي يوم آخر نظمتُ قصيدة في تأبين السيد حسين، فأخذها مني الحاج طاهر بن محمد حسن أبو حليقة، حيث لم تكن لدي جرأة في ذلك الوقت للإلقاء، فقد كنتُ أخجل إذا لقيتُ شخصاً أن أبادره السلام، وهو شيء عجيب وغريب في شخصيتي، ثم سلّم الحاج طاهر القصيدة

للجنة المعنية عن مجلس العزاء، ثم رجع وقال لي: لجنة العزاء يطلبونك، وهم معجبون بالقصيدة، فتوجهتُ معه إلى منزل آل بيت النمر، إلا أني لا أعلم هل هو منزل الملا ناصر النمر أو غيره، وكان متواجداً في ذلك المنزل الشيخ باقر آل أبي خمسين وبعض العلماء والأدباء فأثنوا على القصيدة، وبعدما عزيتُ السيد سمعتُ من بعضهم يقول: هذه القصيدة تعاد عدة مرات وهي قصيدة حدث أو شباب كيف تلقى قبلنا، ولم يحصل من يتجاوب معه في اعتراضه، فقالوا لي: هل أنت ستلقيها؟ قلتُ لهم: لا، قالوا: إذن نرشح الملا ناصر النمر، ثم ألقاها الملا ناصر وأعيدت في أول يوم عدة مرات، علماً بأنني لم يتحقق لي الرضا بها، وإلى الآن أنا غير راضٍ بذلك الإنتاج، لذا تعجبتُ لماذا هذا الإقبال عليها لتقرأ عدة مرات في مجلس واحد؟ وصار من يصل إليه صداها يريد أن يسمعها، علماً بأنها ليست قصيدتي الأولى، ولكنها حققت شهرة في ذلك اليوم.

وأريد أن أعترف بأمر مهم أن هذه القصيدة لم تصل لهذا القبول والشهرة لولا تميز ومهارة إلقاء الملا ناصر النمر، فقد كان متفنناً في الإلقاء، وأصورها لك، كما لو دخلت على بائع قماش، وقلت له: أعطني هذه الطاقة من القماش فسوف يناولك إياها بطريقة محترفة (ينشرها) قدر متر أو مترين، ولا يكفيه بل يزيد من ذلك، فالملا ناصر في قراءته للشعر كان مبدعاً في الإلقاء كما ينشر بائع القماش طاقته. بعدها سلمتُ على السيد، وقدم لي الشكر وجلستُ وقرأتُ القصيدة وأنا جالس ثلاث مرات، بعدها طلب البعض من الشيخ كاظم المطر، أن يعيد قراءة قصيدته فرفض ذلك في البداية وأصر عليه، وتم إعادة قصيدته مرة أخرى.

إن قصيدتي أوجدت لي شهرة في الوسط الاجتماعي، فتعرفتُ فيما بعد عن قرب على القاضي السيد محمد بن السيد حسين العلي، وفي السنة نفسها عين قاضياً فأنشدتُ له قصيدة، وتمت قراءتها بحضور السيد محمد مرارا، ً ثم

أجابني السيد محمد العلي بعشرين بيتاً تقريباً، بعدما كانت قصيدتي بأربعين بيتاً، فأجبت السيد فيما بعد ثم نظمتُ قصيدة ثالثة لم يطلع عليها السيد، ونشرتُها فيما بعد في ديوان مائدة رمضان، إلا أن السيد لم يرد علي بقصيدة إلا في الأولى فقط. ثم أنشأتُ قصيدة بائية وأرسلتُها للسيد محمد (ولي ثلاث أو أربع قصائد نظمتُها في شأن السيد محمد)، وكان من جلساء السيد محمد بن السيد حسين الحاج حسين المحمد علي فقد طلب منه أن يوصلها لي، وقد تعجب الكثير من ذلك فالحاج حسين المحمد العلي يصبح الرسول بيننا، لكني عرفتُ أن ذلك اعتناء من السيد محمد، فقد كان المحمد علي جليس ومستشار السيد محمد العلي، وله مقام رفيع في المبرز.

وكان مما قلْتُه في القاضي السيد محمد بن السيد حسين العلي مقرضاً قصيدته الجوابية:

أنا حييتك الغداة بحسناء فحييتني بأحسن منها
يا لها من تحية هي زانتني على حين أنني لم أزنها
منحتني فضائلاً لك دوني هي أغلا ما في الوجود فصنها
هي أخلاقك الحميدة يا مولاي في نظمها تحدثت عنها

ثم عدتُ إلى مدحه مهنئاً سنة ١٣٦٩هـ فقلت:

يا بلبل الروض هزتني أغانيكا وأرشفتني حميا اللحن من فيكا

وفي سنة ١٣٧٠هـ وكنت حينذاك في جزيرة البحرين قلتُ مادحاً له ومهنئاً بعيد الفطر

سرت بريا الخزامى أم برياكا غريبة حملت للقلب ذكراكا
ما ذكرتني وسرتني بما حملت حاشا محبك أن يلهو فينساكا

ولا غرابة في أن ألهج بمدح هذا السيد النجيب، فهو بحق أحد مفاخر هذا البلد الطيب وعندما فوجئتُ بفجيعة العلم والعمل بانتقاله إلى الرفيق الأعلى وكنتُ حينذاك في سوريا شاركتُ في ذكرى أربعينيته بقصيدة والتي منها:

أما في جمال الكون عندك سلوة ... كأنك ما كونت إلا لتحزنا
فيا مغمض العينين افتحهما ترى ... محاسن بالحسنى يسبحن محسنا
تبارك خلاقاً تبارك مبدعاً ... وأبدع مما كان ما عاد ممكنا
تعال ابتسم إن التبسم زينة ... بلا ثمن والحزن لم ينف محزنا
فقلت له:دعني فخزني مؤيد ... ولو محت الأقدار ما كان أحزنا
فلو هم ثغري بابتسام لطمته ... مع العلم أن لو رامه ما تمكنا
وفيه لو جهي زينة غير أنه ... حرام على الثكلاء أن تتزينا
وما ثكلي مما يرجى له العزا ... وليس العزا مما يباع فيقتنى
وهيهات أن أستشعر الصبر ساعة ... وقد ذهبت كف المنية بالمنى
نحرت مطايا الصبر بعد محمد ... وقلت تيقن بالوفاء لتأمنا
حرام على قلبي سلوك إنه ... لك الكفر لا أرضاه ما دمت مؤمنا
وما كانت الدنيا بدونك بالتي ... تروق لمن أورثته الحزن والضنا
وما كنت إلا روح دنياك مالها ... وقدمت إلا الموت والفوت والفنا
وكانت بعيني في حياتك جنة ... ملأت سماها بالمسرات والهنا

ثم قلتُ:

وما بدلت بل بدل الموت نظرتي ... إليها فكان المسخ في ناظري أنا
فيا موحش الدنيا ويا مؤنس الثرا ... ويا هادماً صرح السرور الذي بنا
بروحك فاز الخلود واستأثر الثرى ... بجسمك والخسران صار نصيبنا
هنيئاً لقبر وسدوك ترابه ... فقد صار للدنيا وللدين مدفنا
وصارت له الأملاك تحني رؤسها ... وزارته أملاك السماء تيمنا

وودت نجوم الأفق لوأنها هوت وطافت به سبعاً لتظفر بالمنى
وقد كان بطن الأرض يغبط ظهرها فأصبح مغبوطاً بما منك ضمنا
فليت ثـراه صار يا طيب الثرى ذروراً لعين فجرت بك أعينا

حتى قلتُ:

ويا هاجر الأوطان من غير ما قلى تركت المغاني لا سناء ولا سنى
ويا قاضياً ما كان أعدل حكمه وأبـعـده عن أن يحيف ويغبنا
ويـا مـرشـداً بالفعل لا بلسانه إذا رام تحسين المريدين حسّنا
ويـا زاهــداً فيما عليه تكالبوا ولو شاء لا ستولى عليه وهيمنا
ويا من رأى الدنيا لأخراه ضرةً فطلقها قبل الـدخـول تدينا
ويا حجة الإسـلام موتك ثلمة وخطب لركن الدين أوهى وأوهنا
وداعــاً ومـا الدنيا بـدار إقامة وداعـاً إلى أن يجمع اللَّه بيننا

الشيخ محمد بن سلمان الهاجري:

الشيخ محمد بن سلمان الهاجري، هو من الأرحام والجيران، وأتذكر وأنا طفل بين الثلاث والأربع سنوات أنه كان بمجرد أن يراني، يقبلني ويحملني، فيما بعد أعجبت به، وجلستُ معه كثيراً، ولما كنتُ أقول الشعر: حصلتُ على نوع من التشجيع، وقال كلاماً أعتز به، كما أنني التقيتُ معه فيما بعد عندما جاء بلاد الشام وجلست معه وسألته في أمور عقدية و استفدت منه في ذلك فيما أقرأه في تلك الفترة و بعد وفاته رثيته بقصيدة.

الشيخ حسين الشواف:

هو من أقاربنا، وأمه من آل الرمضان وحينما كنتُ في الأحساء كانت إقامته في الكاظمية.

الملا علي بن فايز الحجي:

كلمة الملا عند الأحسائيين تعني (الخطيب الحسيني)، ولكن تقدم عليها مصطلح (روزخون) لأن الخطابة الحسينية في القرن الثالث عشر لم تكن عن ظهر غيب، وإنما القراءة في نسخة، حيث هناك كتاب واسمه، (روض الإخوان) صدر في القرن العاشر أو قبل صدور (كتاب الفخري) وهو مترجم بالفارسية، والضاد تحول لزاي عند الإيرانيين وأصبح (روزخون) وهذه الكلمة كنتُ أسمعها في طفولتي أكثر من كلمة الملا، وهو القارئ على الإمام الحسين عليه السلام، والإيرانيون يطلقون على العالم الكبير الملا، وكنتُ أعتقد أن أصلها من الإملاء، وهي ليس كذلك وإنما تحريف كلمة مولى، لكن فيما بعد أصبحت تطلق على الملا، وهي تقدير وتشريف للقارئ الحسيني بما ينقله عن أهل البيت عليهم السلام من معاجز وفضائل، والتي يختلف المستمعون في التفاعل معها بحسب اختلاف عقيدة السامع، ولكن في آخر القرن الثالث عشر أصبحوا يقرؤون من دون كتاب، لذا رأيتُ بعض الخطباء الحسينيين كان يقرأ من نسخ يأخذها من الكتب، والقراءة من النسخة ليس النعي فقط، إنما يقرأ أحاديث في أهل البيت عليهم السلام. وقد سمعتُ في طفولتي عن شخص اسمه الملا عبد اللطيف بن الشيخ عبد اللَّه الوايل، ويقال: إنه تصنّع عند الملا علي بن فايز الحجي، وقالوا: إنه يحمل الشمعة في الليل وابن فايز يقرأ من نسخة مع العلم أنني سمعتُ أن بن فايز كان أمياً (لم يقرأ ولم يكتب) وإن كنتُ أختلف مع هذا لما نقله ذلك الخطيب الحسيني الذي يمسك الشمعة له، إضافة إلى أن ابن فايز كان موظفاً لدى الأجهزة البحرانية، وهل يمكن أن يكون موظفاً وهو غير متعلم؟ وفي سوريا رأيتُ ديوان ابن فايز يباع، وقال لي البائع: خمس وعشرين ليره سورية، وقيمة الليرة ريال واحد، فلم اشتريه لأن سعره غالٍ، ولكن سمعتُ مقاطع له فيما بعد من الخطباء الحسينيين، وقرأتُ فيما بعد بعض شعره، وهو ليس له أثر على الخليج فقط، بل أثر على أهل

العراق، وبرز بعمقه في المعاني، ولغته وإن كانت ألفاظها عامية لكن الصياغة والتعبير بليغ وقوي.

يقول:

شبان ما حالكم ورى وحسين جدام.....،

وابن فايز هو من أسرة الحجي التي جذورها من البحرين، ومن مواقف الملا علي بن فايز أنه سمع من أحدهم أنه ينتقد الأحسائيين فقال:

أنا حساوي من زينة الرجاجيل
وأنت ال أبوك حنين يا مشبي العجاجيل

سمعتُ له الكثير، وفي طفولتي كنتُ أستمع في بيتنا للملا علي بن عبد اللَّه العامر، واستشهد بقصيدة للشاعر المرحوم الملا علي بن فايز، وقال: إن بعض شعراء البحرين قالوا في القصيدة التي ذكرها: بأن الملا علي بن فايز (سوى لنا شيالة)، وأتذكر منها بيتاً واحداً:

ملا علي بن فايز سوى لنا شيالة خلى ادموع الشيعة مثل المطر همالة

يقولون: هذا الشخص لما قال هذا الكلام رأى في المنام الإمام المهدي عليه السلام وقال له: صح اللَّه لسانك، كانت شهرة الملا علي بن فايز في البحرين أكثر من الأحساء بسبب إقامته هناك، وقال الملا سلمان الستري من أهل سترة، وهو ممن يرجع لأسرة آل الرمضان، وذكر نادرة بأن الشيخ عبد اللَّه بن الشيخ محمد علي الستري قد توفي فجأة، ولما جاء وقت التشييع حضر الملا علي بن فايز، وقال لأبيه الشيخ محمد علي ما رأيك أرثي الإمام الحسين أو أرثي ابنك؟ فقال الشيخ بل إرث الإمام الحسين عليه السلام، فذكر أن الملا علي بن فايز وأمام الجنازة قبل الصلاة عليها بدأ ينعي يقول:

إذا ابتليت بنايبة وشـقـيـت جيبك
اذكـــر حبيب المصطفى تنسى حبيبك
لمـــا ذكـــرت مصيبته الـلَّـــه يثيبك
وسفة قضى المـذبـوح محد له غمض عين

فأصبح أهل البحرين إذا مات عزيز عليهم، لا يلطمون إلا بهذه الأبيات.

وسمعتُ أن الملا علي بن فايز كان يقرأ في حسينية، وبمجرد أن وصل إلى المأتم نزل من على الدابة لقضاء حاجة، والدابة مرت على المأتم والرجال والنساء بمجرد أن عرفوا أن هذه هي دابة الملا علي بن فايز صار البكاء واللطيم من التأثر به، وما يملك من موهبة.

قال لي أحدهم: يعلق على كتاب الملا عطية في لهجة أهالي البحرين، وقال: كانت لهجة أهل البحرين فيها لين، ولكن الملا علي بن فايز أبدل هذا اللين بقوة، وأصبح الآن جميع من ينشد في الإمام الحسين عليه السلام يستخدم اللهجة البحرانية، معتمداً على ابن فايز في طريقته في الإيقاع.

الشيخ عبد الهادي الغضلي:

أحد علماء المنطقة الكبار قرأتُ له عن شعراء وعلماء أهل البحرين في كتاب الموسوعة الشيعية في دمشق للسيد حسن الأمين، واطلاعه قوي، وشخصيته الثقافية، ومتخصص في اللغة العربية (نحو وصرف وبيان)، من بيت علم، ومن فروع أسرة العلي، فوالده الشيخ محسن وجده الشيخ سلطان العباد، من تلاميذة الشيخ محمد آل أبي خمسين.

السيد علي بن السيد ناصر السلمان:

من شخصيات المنطقة الدينية درس في النجف الاشرف التقي معه في الكثير من المناسبات، وقد أعجبتني لباقته وحسن أخلاقه ونشاطه في الدمام، فقد كافح مكافحة قوية، إلى أن ساهم في إنشاء هذا الجامع الكبير بمنطقة العنود بالدمام، وله تأثير قوي على المجتمع، ونحن ممن نتردد على مسجده لأداء صلاة الجماعة خلفه.

الشيخ باقر بن الشيخ موسى آل أبي خمسين:

من علماء المنطقة الكبار له مؤلفات عده درس في النجف الأشرف وتولى مسؤولية القضاء الجعفري.

وعندما تم تجديد الحسينية المحمدية (آل أبي خمسين) دعيتُ من قبل الشيخ باقر قدس سره للمشاركة بقصيدة في الحفل الافتتاحي لها.

وبعد وفاته رحمه اللَّه رثيته بقصيده.

الشيخ عبد الوهاب بن سعود الغريري:

التقيتُ بالشيخ عبد الوهاب الغريري مرة واحدة فقط، في مجلس عزاء أسرة الرمضان، وكان بصحبة أستاذه الشيخ محمد الهاجري، فسألتُ عنه، فقالوا لي: هذا الشيخ عبد الوهاب الغريري، وقد سمعتُ عنه أنه مؤمن وخير، وصاحب أخلاق وتواضع، لأن الحقيقة هناك من العلماء يسمونهم جبابرة العلماء، ولكن ما رأيتُه في تلك الشخصية بروز التواضع والانسانية، بعد ذلك لما قرأتُ كتاب الشيخ عبد الوهاب المعنون الشيخ الغريري نموذج للمدرسة الأخلاقية، تعرفتُ عليه كثيراً وعنده مواقف طريفة.

وبسبب غيابي الطويل عن أرض الوطن وعن الأحساء، وكوني منعزلاً عن المجتمع لأسباب عدة (بعضها اجتماعية وبعضها معيشية وبعضها أسرية وبعضها ذاتية)، هي من أهم أسباب عدم اللقاء الموسع ببعض الشخصيات العلمية ومنهم الشيخ عبد الوهاب الغريري.

الشيخ أحمد البغلي:

كان يقيم الصلاة في مسجد الرقيات فلما توفي الشيخ موسى آل أبي خمسين قدس سره صار إماماً لمسجد الفوارس ولكنه مات في نفس السنة ١٣٥٤ه وبعده أقام صلاة الجماعة بمسجد الرقيات أخوه الشيخ حسن البغلي طاب ثراه.

الشيخ كاظم المطر:

اجتمعتُ مع الشيخ كاظم المطر بفريقنا فريق الفوارس، حيث كان مستأجراً منزلاً يرجع لأسرة آل أبي خمسين يسمى مجلس الشيخ محمد آل أبي خمسين، ومنزلاً ثانياً أجره عام ١٣٦٥هـ على طبيب سوري، ومنزلاً ثالثاً بقي عند آل أبي خمسين، والظاهر أن الذي سكنه الشيخ ناصر آل أبي خمسين.

والطبيب السوري كان أبناء العم يتعالجون عنده، وكنتُ أدرس القرآن الكريم في شهر رمضان في منزل موسى بن أحمد بن ياسين آل أبي خمسين عام ١٣٦٥هـ ليلاً أقرأ ثلاثة أجزاء بشهر رمضان، حيث كان يدرس له القرآن الكريم أحد أبناء العم ثم انشغل فطلب مني أن أقرأ له، وقرأتُ سنتين، مرة حضر الطبيب السوري، ومرة حضر الميرزا علي الإسكوئي، وثلاث مرات حضر الشيخ كاظم المطر وكان ذلك عام ١٣٦٦هـ.

الشيخ كاظم المطر ربما يتميز بقريحة عالية الجودة، بسبب النشأة في العراق، والعراق بيئة أدبية ومطلعة على الحركة الثقافية العالمية، اطلعتُ على

ديوان الشيخ كاظم المطر، منها ما يرد على أبي ماضي في قصيدته (لستُ أدري) طبع بإشراف الشيخ جعفر الهلالي، وعندي ديوان للشيخ كاظم المطر(قلائد وفرائد) لما قرأتُه أنشأت قصيدة فيه كتقريض. لم أجلس مع الشيخ كاظم المطر جلسة موسعة، لكن من ذكرياتي معه في وفاة القاضي السيد حسين بن السيد محمد العلي ١٣٦٩هـ ألقى قصيدة، وألقيت لي قصيدة فصار العرف بيني وبينه فنظمتُ قصيدة في مدح القاضي السيد محمد بن السيد حسين فعرضتها عليه واستحسنها.

الشيخ كاظم الصحاف:

كان الشيخ كاظم الصحاف يعيش في الكويت، ثم رجع إلى الأحساء، وقد طبع له ديوان، ولكن ليس هذا كل شعره، حيث له قصائد في مدح الملك عبد العزيز، وفي مدح الشيخ علي بن ثاني، وفي الثناء على وجهاء أهل الأحساء من الشيعة والسنة وكلها لم توثق في الديوان، وأغلب شعره ضاع، لكن شعره في رأيي لا يختلف عن شعر غالب الأحسائيين.

الشيخ أحمد الوايل:

كانت لي جلسات مع الشيخ أحمد الوايل، وكان كل سنة يأتي إلى الشام أستضيفه بمنزلي، وقد استفدتُ منه، حيث قرأتُ في كتاب للشيخ محمد آل أبي خمسين المتوفي عام ١٣١٦ بتصرف فيه اسمه (مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار) لكن هو بالعكس مدون عليه، (مفاتيح الأنوار ومصابيح الأسرار) حيث إن الشيخ موسى بن عبد الهادي آل أبي خمسين أشار في كتابه بأن كتابه أفضل أن يحمل (مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار) وقد سمعتُ أنه طبع في إحدى لقاءاتنا مع الشيخ أحمد الوايل، وذكر لي اسم الكتاب وقال لي: سيأتي به إلى الشام في سفرته القادمة.

وقد اطلعتُ على الكتاب وكان أوله في التوحيد، لما قرأتُه استصعب علي فجلستُ مع الشيخ أحمد أتناقش معه، فأعانني على توضيح بعض المفاتيح فيما يرتبط بالتوحيد، بحسب المنهاج الفلسفي للشيخ أحمد بن زين الدين، لما استوضحتُ تلك الصفحة، سهل علي فهم ذلك الكتاب.

الشيخ أحمد بن إبراهيم آل أبي علي:

الشيخ أحمد آل أبي علي كان يسكن معنا في فريق الحويش، كان ينصب مجلساً حسينياً ليلة الأحد ويقرأ له الملا محمد بن أحمد الوايل، والشيخ أحمد آل أبي علي، كانت لنا معه جلسات مفيدة لكنها لم تدم كثيراً.

السيد عبد الحسين بن السيد أحمد الشخص:

إن أول حقل ركزتُ عليه، هو علم اللغة في مفردات النحو والبيان والبلاغة، لأني أحتاج له في النظم، وحينما نظمتُ أول قصيدة لم أكن أعرف النحو، فأخبرني أحدهم بأن البعض ينتقد قصائدي لأن فيها لحناً، وكان عمري آنذاك أربع عشرة سنة، فالتقيتُ بالسيد عبد الحسين بن السيد أحمد الشخص عام ١٣٦٤هـ وهو من بلدة القارة، وكان يستأجر بيتاً في مدينة الهفوف بفريق الفوارس، فسألتُه عن اللحن وكيف أتجنبه؟ فقال لي: اللحن يكون في حركة أواخر الكلمة، ولا يعرف إلا بالنحو، لأن النحو هو علم تعرف به حركة أواخر الكلمة، ولما قال لي هذا: لم أكن أدرس النحو، ولكنني قررتُ أن أرجع إلى القرآن الكريم وأركز على الكلمة متى يضم آخرها؟ أو يفتح؟ أو يكسر؟ أو يسكن؟ فأصبحتُ أقارن ما أنظمه من قصائد بما هو في القرآن الكريم وأستنتج القاعدة.

الشيخ علي بن الشيخ موسى آل أبي خمسين:

هو من أرحامنا وأمه من آل رمضان توفي سنة ١٤٣٣هـ وقد درس ما لا يقل عن عشر سنوات في النجف الأشرف، فهو من مواليد ١٣٤٠هـ تقريباً، وهو يكبرني بعشر سنوات، ووالدته هي فاطمه بنت عبد المحسن بن الشيخ حسن بن أحمد الرمضان، في عام ١٣٦٤هـ صار يأتي إلى مجلس آل الشيخ علي الرمضان، ونستقبله ونكرمه، وكنتُ أعرض الشعر عليه من باب الاطمئنان إليه، من ناحية اللغة العربية بسبب أنه لا يوجد عندي كتاب في اللغة، وإن كنتُ أعرف الحركات للكلمات، ولكنني أريد صواب نطق الكلمة واشتقاقها، فكنتُ أعرض عليه بعض قصائدي، وقد وجدتُه في الواقع من أعلم الناس في الأدب، واستفدتُ منه كثيراً، وكانت جلساتنا معه على مدار ثلاث سنوات، بعد ذلك سافرتُ، وهو بمقام أستاذ لي.

الجد الشهيد الشيخ محمد الرمضان:

وجدي الرابع وهو والد الشهيد الشيخ علي الرمضان، وهو الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللَّه بن الشيخ حسن بن الشيخ علي الرمضان كان رحمه اللَّه عالماً أديباً وشاعراً مجيداً له القصيدة النونية المسماة بخير الوصية في الوعظ والإرشاد مطبوعة ومشهورة، وكان له ديوان ضاع فيما ضاع من الآثار في حادثة استشهاد الشيخ علي وذلك أنه لما ألقي القبض عليه خشي من مداهمة بيته وتفتيشه فأمر بنقل محتويات مكتبته وترحيلها إلى أبي شهر في إيران فعمل بوصيته وكان ذلك آخر العهد بتلك الكتب ويظهر أنها مكتبةً عامرةً بالكتب، وقد توفي الجد الشيخ محمد في البحرين، وكان قد هاجر إليها أثناء الصراع بين السعوديين وبني خالد على الحكم مع من هاجر من علماء الأحساء فراراً من بطش المتغلبين سنة ألف ومئتين وثمان للهجرة، وأقام في البحرين في قرية سلماباد إلى أن توفاه اللَّه سنة

ألف ومئتين وأربعين وتاريخ وفاته (غاب البدر) ودفن في الحجرة التي فيها قبر الشيخ مفلح السيمري، وقرية سلماباد تقوم على أنقاض قرية تسمى سيمر.

الجد الشهيد الشيخ علي الرمضان:

كان الشيخ علي طاب ثراه من كبار الأدباء، وصفه المترجمون له بأن له يداً طولى في العربية، وقال آخر:له يد قوية في الشعر، ولدينا ديوان يحوي بعضاً من منظومه ومنثوره، وقد ترجم له الأميني في كتابه شهداء الفضيلة، وصاحب أنوار البدرين في أنواره، وكتب عنه الشاب النبيه الشيخ محمد الحرز كتاباً مطبوعاً متداول سماه « طائر الأحساء المهاجر».

الملا علي الرمضان:

الملا علي بن محمد آل رمضان المتوفى سنة ألف وثلاث مئة وثلاث وعشرين هجرية، كان رحمه اللَّه خطيباً مفوهاً، وشاعراً طويل النفس، يرتجل القصيدة التي تزيد على سبعين بيتاً، وكأنه يقرؤها من صحيفة، وقد ورث الخطابة عنه أربعة من أولاده هم: الملا عيسى، والملا موسى، والملا حسين، والملا عبد اللَّه، ولم يرث الشعر عنه من أولاده إلا واحد هو الملا موسى فقط.

الملا موسى الرمضان:

الملا موسى بن علي الرمضان المتوفى بمدينة الكاظمية في العراق سنة ألف وثلاث مئة وثمان وستين، كان رحمه اللَّه شاعراً باللهجتين العامية والفصحى طويل النفس جيد التعبير، كان الملا موسى الرمضان ذلك الشاعر – بحق – المعبر عن مشاعر مواطنيه، وما يزالون حتى يومنا هذا يستشهدون بأقواله رحمه اللَّه، ويَسْترِوحون بها ويستريحون إليها.

الشاعر الحاج ياسين الرمضان:

الشاعر الحاج ياسين بن الحاج عبد اللَّه بن أحمد بن محمد بن عبد علي بن محمد صالح بن حسن بن عبد النبي بن رمضان، الأديب المتميز والشاعر المتفوق وصاحب العلم الغزير، وإذا جلست معه تستفيد منه، وهو أول من طلب الشعر مني، وكان من رجال الأعمال، ومعظم إقامته في البحرين، وكان يتعامل مع الشعر والأدب، ويحمل الجنسية السعودية، المتوفى سنة ألف وثلاث مئة وتسعين عن عمر ناهز الخامسة والسبعين سنة. وقلتُ في رثائه:

لـه الـلَّـه مـن جسـد فـي كبد ... ونـفـس تكابد سجن الجسد
وفـكـر تبلبل حتى استحال ... وشـــرده الـهـم حـتـى شـرد
وقـلـب ويـالـيـتـه كالقلوب ... تـجـاوزت فـي لـومـه كـل حد
وقـلـت بـدونـك لـو أنـني ... أعيش كما عـاش مقطوع يد
إذن لـنـبـذتـك نـبـذ الـنـواة ... وأزمـعـت عنك فـراق الأبـد
وحطمت مـن أجـل ألاّ تعود ... إلـي جـمـيـع جـرار الـبـلـد
لأنـك يـا قلب جسر الهموم ... إلى الناس بل أنت سوس الجسد
هـمـمـت و كـدت ولكنني ... تراجعت إذ كـان لي منك يد
غـدا يفصل الـمـوت مـا بيننا ... قـريـب لـنـاظـر يـوم غد

إلى أن قلتُ:

وأنـت الـذي فـقـده ثلمة ... إذا كـان بـل ثـغـرة لا تسد
فمالك فـي الـنـاس مـن مشبه ... إذا مـا اطرحنا شبيه الجسد
فـلـسـت الـكـثـيـر بـأمـثـالـه ... فـيـعـتـاض عـنـه إذ مـا فقد
وكـم فـي بني رمـضـان ذويـك ... من الماجدين الـكـرام النجد
ولـكـنـك الـفـرد مـن بينهم ... بـرغـم الـعـلا ووفـور الـعـدد

وإن تك ياسين قلب الكتاب فإنك يا سيننا والصمد
وأنت الذي بك جاد الزمان ونلنا الذي لم ينله أحد
ورحنا نحوك برود المديح إلى أن كسوناه أضفى البرد
ولكن تداركه لؤمه فأفسد معروفه واسترد

إلى آخره:

الحاج منصور بن علي الرمضان:

الحاج منصور بن علي بن أحمد الرمضان، من وجهاء الأسرة، توفي عام ١٣٧٧هـ.

ومما قلتُ في رثائه:

حياة للمنون بنا تجد وموت يستعير ولا يرد
ودنيا لا يقر لها قرار نوائبها تروح بنا وتفد
تكيل لنا العداوة فهي صاب ونمنحها المودة فهي شهد
ونضفي من مودتنا عليها جمالاً ما لها بسواه عهد
ونشكوها ونشفق من جفاها على طمع كأن القرب بعد
تلقت حيث شئت فلن تلاقي سوى من فت في عضديه فقد
ومن هو في طريق الموت ماشٍ وآخر للمنية يستعد

إلى أن قلتُ:

ومن يبكي إذا لم يبك شهم تفرد بالمكارم فهو فرد
فتى جاد الزمان به جواداً فشح وما لجزر الدهر مد
فتى لا كالذين كما تراهم تساوى عندهم غي ورشد
جميل السمت مقتصد المزايا إذا ما أعوز الميزات قصد

ضحوك السن في عسر ويسر يفيض بشاشة والـدهـر نكد
على فيه ابتسامة ذي انشراح تـضـيء وبـالـرزانـة تسترد
ملامح تقتضيك لها احترام مـلامـح بـالـمـشـاعـر تستبد
طوته يد المنون سجل فضل عدمت يـد المنون فكم تمد

إلى آخر القصيدة.

الشاعر علي الرمضان:

الشاعر علي بن عبد اللّه الرمضان وهو اخو الحاج ياسين وهو شخصية متميزة في الأدب ونظم الشعر له ديوان مطبوع بعنوان « نفحات رمضانية « في مراثي أهل البيت عليهم السلام.

الملا عيسى بن علي بن محمد الرمضان:

استفدتُ من الملا عيسى بن علي بن محمد الرمضان، فهو خالي لوالدي، وكان في مجلسنا عادة يوم الأحد يقرأ، وإذا قرأ كنتُ أسأله بعض الأسئلة فيجبني، وكانت كل أسئلتي في اللغة ومعاني الكلمات والنحو، وإن كان عمري سبع عشرة سنة إلا أنه كان يقدرني ويشعرني بأني صاحب موهبة.

الأديب جواد بن حسين الرمضان:

أما عن الأخ جواد، ففي صغره عندما سافر الأهل، بقي عندي في الأحساء، وكان يصاحبني ويجالسني كثيراً، ويكون معي للكتابة في الليل، وعندما سافرتُ إلى البحرين واشتريتُ بعض الكتب، كان يأخذها ليستفيد منها، وقد تابعني وتأثر بي، وسبب ذلك توجهه للقراءة المكثفة، حتى أن أحد إخوتي كان متعجباً من تطور شخصية أخي فكان يقول: هذا جواد أخذ بالعناية بالقراءة أكثر والاحتفاظ

بأي ورقة حتى لو كانت ملقاة، كان يأخذها ويقرأها ثم يحتفظ بها إذا كان فيها فائدة.

وله كتاب «مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين» طبع منه جزءان في مجلد، والكتاب موسوعة ضخمة تضم مئات التراجم لأعلام المنطقة من الشيعة والسنة جميعاً.

الحاج حسين بن ناصر الخرس:

وكان الحاج حسين بن ناصر الخرس ممن يعمل معنا في الخياطة في الكاظمية، وهو من أهالي أسرة الخرس الذين يسكنون بدولة الكويت، وكان هذا الرجل يحب القراءة فلما شاهدني وعمري (١٤) عاماً أحفظ وأحب القراءة، وأنشد بعض الأبيات، أصبح يتجاوب معي إذا استشهدتُ له ببيت شعر، قال لي هذا للشاعر المعين وذاك لذلك الشاعر، وكان عمره لا يقل عن ٨٠ سنة، تفاعلتُ معه حتى إنه قال لي: بما أنك تحب القراءة سوف أعيرك كتاب المعلقات، وبعد قراءته، كنتُ أتناقش معه حول محتوى الكتاب، كما مكنني من قراءة كتاب المعلقات السبع وغيرها من الكتب، وقد استفدتُ من هذا الرجل لثقافته وقد حدثني عن الأدباء بالكويت، كما حدثني عن أبيه ناصر الخرس الذي كان يسكن بالكويت، ويتردد للتجارة إلى لنجة.

الملا طاهر البحراني:

وأنا طفل صغير كنت ألعب معه، فيما بعد استمعتُ له عام ١٣٦٩هـ مأتماً في حسينية العامر، ومأتماً في منزل الحاج ناصر البغلي، بعدها سافرتُ.

يوجد من آل بحراني من تعلم الخياطة عند الآباء ومنهم من عمل معنا في الخياطة في البحرين والكاظمية والشام.

آل البحراني هم من حمائل الفوارس، بعضهم سكن بمدينة المبرز، رغبة في أداء صلاة الجمعة بالمبرز خلف السيد هاشم السلمان طاب ثراه.

الحاج طاهر بو حليقة:

هو مؤمن خير، وكان يمارس مهنة الخياطة، وكان في ذلك الوقت يصلي صلاة الجماعة خلف السيد حسين العلي بمدينة المبرز، ونمت علاقة بين أسرة أبو حليقة وسادة السلمان وكان رموز أسرة أبو حليقة يستضيفون السادة.

الشيخ أحمد بو حليقة:

التقيتُ مع الشيخ أحمد، وأبوه هو عبد اللَّه بن عيسى كان من التجار ورجال الأعمال، ومن الشخصيات البارزة أيام حكم الأتراك.

الحاج عبد اللَّه بو حليقة:

عبد اللَّه بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن يحيى أبو حليقة، والجد إبراهيم كان من الأثرياء وكانت له مضافة يتردد عليه الضيوف من غير الأحساء، كما كان أهل الأحساء من فريق الفوارس يترددون عليه وكان مشهوراً بالكرم، وقد شاهدتُ بيتاً كبيراً في فريق العامر يسمى مجلس إبراهيم أبو حليقة.

وعبد اللَّه أبو حليقة كان خياطاً، واشتغل في الكاظمية، ثم تعرف على شخص يقال له: (نبيه حمد اللَّه) من سوريا، وبواسطة (عبد اللَّه) شجع الكثير من الخياطين في التوجه إلى دمشق عام ١٣٧٥-١٣٧٧ هـ، ثم تكاثر الخياطون في سوريا إلى أن أصبحوا نحو مئة عائلة، وشجعهم على ذلك مستوى المعيشة وازدهار مهنة الخياطة.

الحاج محمد طاهر النمر:

كان يبيع ويشتري الذهب، والتقيتُ به في سوريا، وتزوج بسورية، وكان رجلاً صاحب أخلاق عالية،ومن أبنائه الشيخ عبد اللَّه و الشيخ عبد المحسن، وهذا الفرع من آل النمر يسمون آل بني سليمان، وهم من الفرع الذين لنا قرابة معهم عن طريق آل بن صالح.

الشيخ أحمد الخليفة:

الشيخ أحمد بن الملا حسين الخليفة من أسرة الصاغة، وهناك كتاب للشيخ أحمد الخليفة عن علامات ظهور الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام، وقد أهداني نسخة من ذلك الكتاب، أبوه هو الملا حسين بن أحمد بن خليفة بن عمار، وزوجته من أسرة الرمضان.

الحاج محمد علي المرزوق:

من أسرة المرزوق محمد علي، والملا أحمد، والملا عبد اللَّه، وكان الملا أحمد يعلم الأطفال القراءة والكتابة، وكان من أصدقاء الآباء، وسمعتُه ذات مرة يقول: إننا من الغزال، أخوه الملا عبد اللَّه، كان كفيفاً، وله ابن عم يعرف بالصبّاغ، وكان عمله في الحياكة، ودوره صبغ الصوف، وهو محمد علي، وممن اشتهر بالمزاح، وقد التقيتُ به وجلستُ معه، يأتي عند الوالد، وفي تلك الفترة كان التتن ممنوعاً، فكان إذا أراد أحدهم يسأل (شربت التتن أو لا) كان يقول: (تدخيت).

فمحمد علي كان مزاحاً، وعنده كلمات كثيرة ونكت، ومما حدثنا في ١٣٥٦هـ يقول: إنه توجه لسوق التمر، وسأل أحد بائعي التمر: عندك تمر حويل (ويقصد به ما كان بعد صرامه أكثر من سنة) فيحصل من يقول له: عندي تمر حويل، وهناك شخص واقف بجواره، يعلق عليه يقول: تمر الحويل لا يؤكل،

فلماذا تشتريه؟ فهل تريد تعمل به خمراً؟ سكت (محمد علي) وكان هدفه من شراء تمر الحويل للصبغ ولتتمير العباءات، حيث يتم وضع التمر في خابية، ثم يصب عليه ماء، بعد ذلك تجمع قطع حديد وترمى في الخابية مع ذلك التمر، ليتحلل مع الصبغ، ويسمى (ندوة) فهو صباغ.

لما التقى ذلك الرجل بمحمد علي قال لمحمد علي: بأنه يريد خمراً، فقال له محمد علي: إن شاء اللَّه غداً انتظرني في المكان الفلاني وأحضرها لك، ثم انصرف عنه محمد علي، ثم ملأ المرزوق علبة من الندوة، وأعطاها إياه، وقال له: هذا خمر ذاك الرجل، فأخذها على أنها خمر، وأسرع بوضع الخمر في فمه، وبمجرد شعر بأنها ندوة، لفظها قبل أن يصل أثر ذلك للمعدة، وإلا قتلته، ولكنه لم يستطع أن يشتكي على (محمد علي) ويقول له لأي أحد: بأن محمد علي غشه وباعه خمراً مغشوشاً.

الحاج علي بن علي الغريب:

علي بن علي بن يوسف الغريب، شكله أبيض الوجه، شعره أشقر، ووجه جميل مستدير وعريض، يشتغل في التجارة، وعنده أخت تزوجها شخص من آل الكنقوني من أولاد عم آل غريب في البحرين، وهي صديقة للوالدة، وما يدل على ممارسة علي الغريب لتجارته، تشخيصه أن سوق الأحساء، يحتاج لسلعة كانت متوفرة بالبحرين، فأرسل خطاباً إلى عباس الشواف المتواجد في البحرين يطلبه بتعجيل شراء تلك السلعة بمواصفات معينة، فتأخر شراء الشواف لتلك السلعة من جهة أخرى، فأقدم الحاج منصور الرمضان على إرسال ابنه علي إلى البحرين لجلب تلك السلعة، ووصلت له البضاعة سريعاً، وما وصلت بضاعة علي الغريب إلى الأحساء إلا والسوق أصبحت مكتفية من تلك السلعة، التي سوقها الرمضان، فخسر علي الغريب من تلك التجارة، وباع بعض أملاكه لسداد

خسارته من تلك الصفقة.

وأسرة الغريب من اصول جنوب لبنان ففي القرن العاشر انتقلت أسرة الغريب من جنوب لبنان إلى إيران بمنطقة تسمى الكنقون، وأصبحت لقباً لهم، وذلك اللقب لم يعجب أحد رموز الأسرة وهو الشيخ محمد بن عبد المحسن الكنقوني فبدأ يسطر اسمه في كتبه بمحمد بن عبد المحسن بن خلف بن غريب الهمداني العاملي.

الحاج حسن العطية:

كان عمدة بلدة بني معن، وله ابن عم يدعى الحاج عبد محسن وعنده أوقاف، ويقولون إن العطية أصولهم من البحرين، وانتقلوا فيما بعد إلى بلدة بني معن.

نماذج من شعر شاعرنا الشهيد الثاني الشيخ علي الرمضان:

وقال متشوقاً إلى أهله وبلاده:

تحملت الهوى وبه فسادي ... وأهملت الحجى وبه رشادي
وقادني الغرام إليه حتى ... أتيت بكفه سلس القياد
وأهون ما ألاقي منه داءً ... تصدع منه أكباد الصلاد
وبالأحساء وهي مناي قوم ... بعادهم نفى عني رقادي
لهم جفني القريح يفيض ريّاً ... بفيض دموعه والقلب صادٍ
هيامي فيهم شغلي ودأبي ... ووجدي منهم شربي وزادي
أحب لأجلهم خفقان قلبي ... وأهوى في محبتهم سهاد
سقى الأحساء باريها بغيث ... يمد الخصب من صوب العهاد
فللأحساء ما دامت ودادي ... وفي أرجاء ساحتها مرادي

وبالهفوف من هجر غزال يصيد بطرفه طير الفؤاد
تجود لحاظه أبداً وتسطو على قلبي بأسياف حداد
علقت به وتيمني هلال محاسنه البديعة في ازدياد
أغازل منه في الخلوات طفلاً يقود إلى الهوى قلب الجماد
إذا أبدى تبسمه بريقاً أهلت مقلتي غيث الفؤاد
وأرشف من مباسمه رضاباً هو الخمر المعتق في اعتقادي
وذياك الغزيل قاد قلبي بحسن بارع كالشمس باد
وزين لي على رغم اللواحي بساحة لذتي ركض الجواد
زمان أقول للأيام كوني كما أهوى فتذعن بانقياد
أهيم بذلك الرشأ المفدى على الحالين قرب وابتعاد
عليه من الملا وقع اختيار وما أخطى ولا كذب انتقاد
لأجل القرب منه فدته نفسي تخيرت التباعد عن بلادي
وذقت من الشدائد كل طعم وجبت من الفدافد كل واد
وعمت من السرى والليل داج بسفن العيس في لجج السواد
يبيت على حدائجها فراشي ويصبح فوق أرجلها مهادي
إلى أن بلت الأسفار جسمي وأخفاني النحول عن العباد
وصرت كأنني سر خفي بأفئدة الروابي والوهاد
فيا ويح المتيم كم يلاقي لمن يهوى من النوب الشداد
فساعد يا إلهي كل صب فإنك ذو المكارم والأيادي

وقال أيضاً متشوقاً إلى دياره وأوطانه:

يكر بلومي في الرواح وفي المغدا وأكره منه ما يعاد وما يبدا
ومالي واللوام لا در درهم قد استحنوا باللوم سفك دمي عمدا
يريدون صرفي عن هواي سفاهة وهيهات يأبى ذاك من طلب الرشدا

يقولون: في أرض (العجير)[١] قذارة ... فقلت لهم: والله أشتاقه جدّا
وقالوا: (أبو زهمول)[٢] مر مذاقه ... فقلت لهم: والله أحسبه شهدا
ألاليت لي من مائه المر شربة ... يصادف حر القلب من طيبها بردا
وياليت لي وهي السعادة وقفة ... على رمل (ام الذر)[٣] أبرى بها الوجدا
فياليت شعري هل أبيت برملها ... وأوقد حمظاً يفضح المسك والرندا
إذا عبقت بي نفحة من دخانه ... شممت بها ما تحمل الريح من سعدا
أهيم بتلك السوح ودّاً وقد درى ... أخو اللب من ماذا أهيم بها ودا
رعى اللَّه من تلك الديار دياره ... ومد لهم من فيض معروفه مدا
لقد قلدوني منةً لست قادراً ... على شكرها حيث ارتضوني لهم عبدا
سقى اللَّه ربعاً كان يجمع شملنا ... وألبسه الوسمي من نسجه بردا
فلله ربعاً ينبت الأسد و الظبا ... ويحمى بشوك السمر من غيده وردا
لقد نلت فيه منتهى كل لذة ... وصاحبت فيه طالعاً كان لي سعدا
ليالي وجه الدهر نحوي مقبل ... ولم يولني الأعراض منه ولا الصدا
ليالي تأتيني الأماني مطيعة ... فأبلغ من أوطاري الغور والنجدا
على ذلك المغنى المنير وأهله ... سلام محب نازح هالك جهدا
له الدهر بعد السلم أضحى محارباً ... يجر عليه من فنون البلى جندا
رماه بمر القطع من بعد وصله ... وأبدله من قرب أحبابه بعدا
فأمسى وقد شطت به غربة النوى ... يصالي من الأشجان في صدره وقدا
يبيت كما بات السليم ويغتدي ... بقلب حسام البين شطره قدا
وإني لأرجو من إلهي بفضله ... شفائي بوصل قبل أن أسكن اللحدا

(١) ميناء الأحساء ونجد على الخليج العربي. توقف استخدامه للأستيراد والتصدير والسفر في سنة ١٣٦٥هـ بعد تأسيس بعض الموانئ في المنطقة الشرقية، مثل ميناء الخبر وغيره.
(٢) عين ماء وبالقرب منها برج من عدة طوابق لمراقبة طريق (العقير).
(٣) أم الذر كثبان رمل واسعة بين العقير وقرية الجشة في طريق الذهاب إلى الهفوف.

وقال متشوقاً أيضاً:

أهيل النياق الهوج شدت رحالها فليس لكم في دون ذلك من عذر
إليكم لهذا الواله الصب حاجة من الكوت سور شامخ العز والنصر
خـذوا نظرة مني إذا ما نزلتمو عراصاً ثراها منبت المجد والفخر
فلاقوا بها تلك التلاع لعلني لها تربة أذكى لعمري من العطر
ومهما مررتم بـ (الـفـضـول)[١] فعرجوا
بني (رمـضـان)[٢] صالحي الـسر والجهر
وإن كضكم حر الظما فدونكم عقوداً لهم منهم تنل أرفع القدر
وفي ضمن هذا فاذكروني فإنني عليهم بما يربو على العد والحصر
وإن بلغت أيدي المطى بكم إلـى ينوح على الأفراخ والألف والوكر
فخروا على حر الوجوه لربكم نهار أتاه الويل من مطلع الفجر
ومهما جلا الهفوف من ربعه لكم همت سحب عينيه من الوجد بالقطر
إلى هجر والقلب يهفو إلى هجر ألح عليه الشوق بالطي والنشر
فإن تنجحوها تربحوا أعظم الأجر يد الدهر بالتفريق في موقف وعر
على النهر صافي الماء من أيمن (الجفر)[٣]
ويـطـلـب أمـــراً مستحيلاً مـن الصبر
أبـل بها حـراً تضمنه صـدري تزر على قلبي ثياباً من الجمر
على (أم فراج)[٤] لدى الدوح والزهر يبدل إعساري من الوصل باليسر

---

(١) الفضول قرية من قرى الاحساء الشرقية.
(٢) آل رمضان هم عشيرة الشاعر، وكانت مساكنهم في قلعة الكوت ونزحوا منها إلى حي الرفعة المعروف.
(٣) مدينة الجفر المعروفة شرقي الهفوف وتبعد عنها نحو (١٤) كيلًا.
(٤) نخل كبير معروف قرب الفضول، والظاهر أنه في تلك الفترة ملك لصاحب الديوان.

(غصيبة)[١] حيث العذب فوق الحصى يجري
فليس لكم في دون ذلك من عذر
لمنتعش منكم على النأي بالذكر من الكوت سور شامخ العز والنصر
ربوع من (الهفوف)[٢] نفاحة النشر عراصاً ثراها منبت المجد والفخر
سجوداً وأدوا ما عليكم من الشكر لها تربة أذكى لعمري من العطر
من (الكوت)[٣] أبراجاً لأنجمه الزهر
بني (رمضان)[٤] صالحي السر والجهر
فحنوا ابتهاجاً واستهيموا مسرة عقوداً لهم منهم تنل أرفع القدر
وسيروا على اسم اللّه حتى يحوطكم عليهم بما يربو على العد والحصر
وميلوا إذاً نحو (الجنوب)[٥] لتبلغوا ينوح على الأفراخ والألف والوكر
فثمة عني فالثموا وتنشقوا نهار أتاه الويل من مطلع الفجر
مرابع أحبابي ورهطي ومعشري همت سحب عينيه من الوجد بالقطر
ومن جوهر التسليم عني فأنظموا ألح عليه الشوق بالطي والنشر
وقولوا: إذا أديتم واجب الثنا يد الدهر بالتفريق في موقف وعر
تركنا لكم حيث التغرب طائراً ويطلب أمراً مستحيلاً من الصبر
يجن إذا جن الظلام وإن أتى تزر على قلبي ثياباً من الجمر
إذا شام برقاً لاح من نحو حيكم يبدل إعساري من الوصل باليسر

(١) غصيبة عين من عيون الأحساء الجارية، تسقي نخيل الفضول وغيرها.
(٢) مدينة الهفوف عاصمة محافظة الأحساء
(٣) قلعة الكوت محلة من محلاة الهفوف القديمة وفيها بعض الآثار الاسلامية مثل المساجد والمدارس والأربطة، وفيها قصر إبراهيم الذي يعود بناؤه إلى العقد السابع من القرن العاشر الهجري.
(٤) آل رمضان هم عشيرة الشاعر، وكانت مساكنهم في قلعة الكوت ونزحوا منها إلى حي الرفعة المعروف.
(٥) يقصد حي (الرفعة) من مدينة الهفوف، حيث يسكن ابناء عمومته آل رمضان.

وإن شم من ريح الصبا طيب نشركم فليس لكم في دون ذلك من عذر
له اللَّه صب واله جعجعت به من الكوت سور شامخ العز والنصر
يروم من السلوان إحياء ميت عراصاً ثراها منبت المجد والفخر
إلى اللَّه أشكو جور دهر صروفه لها تربة أذكى لعمري من العطر
فأسأل من عم البرية جوده بني (رمضان)[1] صالحي السر والجهر

وقال أيضاً متشوقاً للأحساء:

يا تارك الأحساء بعد فراقه كالصدر أصبح ليس فيه فؤاد
قسماً بمجدك إن حشون حشاشتي لك ما حييت تشوق ووداد

كلمة للباحث خالد النزر:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين.... وبعد.

كم يسعدني ويشرفني أن أتحدث عن أستاذي المؤرخ والنسابة الحاج محمد بن حسين الرمضان (العم أبو سمير)، أحد أهم الشخصيات الأحسائية والمصادر الشفهية التي اعتمدتُ عليها خلال بحث ميداني طويل امتد الآن لأكثر من ثلاث عشرة سنة، حول تاريخ الأحساء والعوائل والأسر الأحسائية.

كانت بداياتي مع الأستاذ محمد عندما كنت أزوره في دكانه الصغير لبيع أدوات الخياطة داخل سوق البحرين بالدمام. فقد كان سلمه اللَّه سعيداً بذلك الشاب الذي لم يكمل الثلاثين من عمره بعد، ولديه كل هذا الاهتمام بتاريخ الأحساء. وأنا كنت منبهراً بهذا الرجل الذي رغم كبر سنه كان يتحدث عن التاريخ،

(١) آل رمضان هم عشيرة الشاعر، وكانت مساكنهم في قلعة الكوت ونزحوا منها إلى حي الرفعة المعروف.

ويذكر بعض المصادر العلمية والنصوص، ويحفظ الكثير من أبيات الشعر العربي ويستشهد بها، وهذا ما لم أجده في جميع كبار السن الأحسائيين الذين كنت أزورهم في تلك الفترة، إلا النادر منهم كالشيخ صالح السلطان رحمه اللَّه، أو أخيه الأستاذ جواد الرمضان، وإلى حد ما الملا عبد الحميد المسبح رَحِمَهُ اللَّهُ.

كما كان الأستاذ محمد بن حسين الرمضان يحفظ الكثير من أبيات الشعر الشعبي الذي اندثر في الأحساء حالياً، رغم أنه في الماضي كان أحد طرق التخاطب الرئيسة في المجتمع، فالأستاذ محمد يمتلك ثقافة عامة واطلاعاً واسعاً، ولعل أسفاره وإقامته لفترات من الزمن في أماكن متعددة كالعراق وسوريا والبحرين وغيرها صقلت شخصيته ومعارفه بشكل جعله يختلف عن أقرانه من الأحسائيين.

أما النقطة الأكثر أهمية، اطلاعه الواسع على عدد كبير من النسخ لوثائق أحسائية من مبايعات وصكوك وغيرها، فهو يتذكر المعلومات الواردة فيها من أسماء لمواقع وأشخاص، أو ألقاب لأسر، وأحياناً اسم الناسخ أو القاضي الرسمي بدقة، حتى إنه يستطيع ذكر القرن الذي كتبت فيه، إن لم يحدد السنة نفسها، وهذا كله رغم أنه لا يمتلك تلك النسخ.

لقد شعرتُ منذ البدايات أنني وقعت على كنز ثمين في ظل ضياع شبه كامل لتاريخ الأحساء والأحداث السياسية والاقتصادية التي مرت عليها خلال المئتي سنة الماضية، لكن رغم هذا كله اصطدمتُ في البداية بتحفظ الأستاذ محمد وتمنعه لكثير من المعلومات، إلا أن هذا لم يثنني عن مواصلة الزيارات والمحاولات للحصول على المزيد، فلقد فهمتُ العم أبا سمير وفهمت دوافع ذلك التحفظ، فهو لم يكن نابعاً من جهل بقيمة البحث التاريخي ونشر المعلومات (كما هو الحال لدى أغلب كبار السن في الأحساء)، وكذلك لم يكن نابعاً من أنانية وتكتم على معلومات لا يريد لغيره معرفتها ونشرها كما واجهنا ذلك لدى

بعض الشخصيات الأحسائية المشهورة بامتلاكها لوثائق ومعلومات، وهي تبخل بتزويد الآخرين بها، حتى يكون مصيرها في الغالب إلى الضياع للأسف الشديد، أو أن تنشر في وقت متأخر تفقد فيه مصداقيتها وأهميتها.

ولكن ذلك التحفظ الذي فهمت دوافعه جيداً بحكم الخبرة المتراكمة، كان إضافة إلى التحفظ على المعلومات السياسية وما شابه، فإن هناك تحفظاً آخر كان نابعاً من الحساسية الشديدة لموضوع الأنساب وتاريخ العوائل والأسر، خاصة وأن الكثير منها أصبح لها موروث مختلف عن الواقع الذي عاشه جيل الأجداد، وبعضهم دوّنوا هذا الموروث بشكل أو بآخر مما يصعّب القول بخلافه، ولكن شيئاً فشيئاً زال ذلك التحفظ مع توطد العلاقة وزيادة الثقة المتبادلة كل منا بقدرات الآخر، وكذلك التوافق على ما يقال وعلى ما لا يقال، وعلى ما يمكن نسبته إليه وما لا يرغب بنسبته إليه من معلومات، إلى أن أصبحنا خلال السنوات الأخيرة في انسجام تام، بل في حالة ذوبان وتناغم في المعلومات والأفكار.

في بدايات عام ١٤٢٥هـ بدأتُ بالنشر في الصحف السعودية، وأذكر أنني كتبتُ موضوعاً على جزأين في صحيفة الجزيرة، كان عن قبيلة عبدالقيس البحرانية، يتحدث عن تاريخها وأمجادها في أرض الأحساء والمنطقة عموماً، سواء قبل الإسلام أو بعده، وعن علاقتها بالإمام علي عليه السلام وبالتشيع. وكم فرح العم أبو سمير بهذا المقال عندما عرضته عليه، خاصة وأنه كان يُعتبر طرحاً جريئاً وغريباً على الصحافة السعودية في تلك الحقبة التاريخية. وهكذا كان دوماً خير ناصح ومشجع لي ومبارك لخطواتي، كذلك لا أنسى إعجابه الشديد بكتابي الذي حققتُ فيه عن نسب أسرة آل عصفور وتشجيعه لي للمواصلة، وأيضاً دوره الرئيسي في بحثي الميداني المفصل عن تاريخ قرية بني معن وما حولها.

لا أبالغ إن قلت إن الأستاذ محمد الرمضان هو أعلم أهل زمانه فيما يتعلق

بتاريخ الهفوف بالذات وعوائلها وأسرها، كما أنه على قدر رفيع من المعرفة بتاريخ الأحساء عموماً.

إن بعض المعلومات التي أخبرني بها قبل أكثر من عشر سنوات عن أسر معينة في الأحساء في وقت لم تكن فيه تلك المعلومات معروفة للناس ولا مقبولة عند هذه الأسر نفسها التي كانت تؤمن بمعلومات مختلفة عن أصولها وترابطها، وإذا بي أجد العلم الطبي الحديث كاختبارات الحمض النووي، يثبت صحة تلك المعلومات وبدقة متناهية.

إنه العالم الواثق من نفسه، قد لا يصدق البعض إن قلتُ، إنني أختلف أحياناً معه في بعض المعلومات لديه، فيسمح لي بمناقشته بكل أريحية على الرغم من علمه الواسع وكبر سنه، فإن وجد كلامي منطقياً وحججي مقنعة، يسلم لي بذلك، ويقول: بالفعل كلامك صحيح، أو أقرب إلى الصحة، بل أحياناً يدعم رأيي بمعلومات لم تكن في باله.

أعتقد أن الأستاذ محمد الرمضان لو كتب عن تاريخ الأحساء في شبابه، لكانت كتاباته اليوم هي المصدر الرئيسي لتاريخ الأحساء، ولكان هو من رواد المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الأحساء والمنطقة عموماً ولكن للأسف هذا لم يحدث، وكل ما نحاول عمله اليوم هو تحصيل على ما تبقى من معلومات مكنونة، لنشرها.

أطال اللَّه في عمر أستاذنا العم محمد الرمضان، وألبسه لباس الصحة والعافية وحفظه من كل شر، وسلمه لأهله وذويه، وجعله ذخراً لنا وسنداً وقدوة يحتذى بها في العلم والعطاء.

خالد النزر

الدمام – ٢٥/ ١/ ١٤٣٤هـ

كلمة للأستاذة وفاء بنت جواد الرمضان:

العم أبو سمير الموسوعة المتنقلة:

العم الشاعر والأديب محمد حسين الرمضان (أبو سمير) حفظه اللَّه في الأحساء واحة الحب والخير والعطاء وقضى طفولته فيها وتعلم من أهلها حب طلب العلم والجد في العمل والتسامح والتعايش مع جميع طوائف المجتمع ففي الأحساء توجد جميع المذاهب الإسلامية ويعيشون ويعملون مع بعض في انسجام واحترام وتعايش لا تستطيع ان تراه في اي مكان آخر في العالم.

تعلم العم محمد من الأحساء ومن رحلاته إلى البحرين والعراق ومعيشته في سوريا أن يحترم ويتقبل الجميع مهما كانت اعتقاداتهم وجنسياتهم وأفكارهم فكل من يجلس مع العم يشعر بالتقدير والاحترام ولا يمل من أحاديثه الشيقة والممتعة والهادفة فالعم محمد يعتبر أديبا فذا وباحثًا دؤوبًا ومفكرًا عميقًا ومؤرخًا دقيقًا وشاعرًا متميزا، فتنوع وسعة اطلاعه جعله حكيماً في جميع الأمور الثقافية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والدينية فهو حقا موسوعة متنقلة.

كانت الاحساء منذ القدم مركزاً لطلب العلم من جميع انحاء الوطن والخليج وكانت توجد بها المدارس العلمية والحوزات الدينية منذ مئات السنين فلا عجب ان العم عشق العلم والمعرفة منذ نعومة أظفاره والله وهبه ذاكرة متميزة تجعله يتذكر أشياء وحوادث حصلت له في الأحساء وهو طفل صغير، فهو دائما يروي لنا قصصاً وأشعاراً وقصائد سمعها من الأجداد والجدات عندما كان طفلا في الخامسة من العمر.

كانت والدة العم محمد (أم جعفر) - تغمدها اللَّه بواسع رحمته واسكنها فسيح جناته - تحب العم أبي سمير وتقدره كثيرا لأنها وجدت لديه الذكاء والفطنة

والتميز والنشاط والجد في العمل والحب والحنان والطاعة لها والسعي الجاد لخدمتها وإرضائها منذ ان كان طفلا صغيراً. كانت الجدة تخاف من الحسد ولا تذكر أمام الناس كم كان أبناؤها الصغار الستة يهتمون بها ويعتنون بها ويحبونها ويقدرونها كثيرا وخاصة العم محمد (أبو سمير) بل بالعكس تشتكي من شقاوتهم وعنادهم وعدم طاعتهم لها ولكن حدث مرة ان ذهب العم وهو مراهق في رحلة الى البر لصيد الجراد مع خاله وتأخروا عن الرجوع ليومين فخافت الجدة ان مكروها وقع لأبنها وأخيها فبدأت تبكي وتضرب على رأسها وتعد المناقب والمميزات الرائعة التي كان يتمتع بها العم محمد من همة ونشاط في العمل مع صغر سنه وحبه لطلب العلم والحب والحنان لها ولأخوته وطاعتها في كل ما تأمره به وبره بها وبأخوته الصغار وأقاربه وانه نعمة من رب العالمين عليها وإنها لن تستطيع العيش بدونه وانه سندها بعد اللَّه فتعجبت نساء الحي من كلامها فهم دائما يسمعونها تشتكي وتذم في شقاوة أطفالها وعصيانهم لأوامرها. الحمد لله رجع العم بالسلامة وفرحت الأم برجوعه فرحة لا توصف وحتى أهل الحي فرحوا بسلامته وأصبحوا يقدرونه ويحترمونه أكثر من السابق لأنهم عرفوا حقيقة هذا الطفل البار والنابغة المتميز.

كان العم محمد يسافر مع والدته كثيرا حيث كانت تعشق الذهاب لزيارة الأماكن المقدسة في العراق وسوريا وذلك اكسبه خبرة في الحياة وجعله يتعرف على العديد من الثقافات ويأخذ أفضل ما لديهم وحصل ان توفى والده وأخته الوحيدة وابنتها وهو ووالدته في العراق فكان ذلك الوقت من أصعب الأوقات في حياته. لكنه وأخاه الأكبر جعفر (أبو عبد الرؤوف) تغمده اللَّه بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته – كانا خير العون والدعم لوالدتهم في تربية أخوتهم الصغار الأربعة علي وموسى وجواد وأحمد بالرغم من صغر سنهم حيث كان عمره اثنتي عشرة سنة وعمر أخيه الأكبر جعفر أربع عشرة سنة فقط.

كان للعم تأثير رائع على أخوته جميعا فهم تعلموا منه الجد والاجتهاد والمحافظة على الوقت و حب القراءة والثقافة والمعرفة حيث كان يشترى الكتب والمجلات ويستمتع كثيرا بقراءتها ويتحدث أمام أخوته والأصدقاء عن المعلومات الثقافية والأدبية والتاريخية والقصص والقصائد الرائعة التي يقرأها فأحبه الناس وأحبوا ثقافته الواسعة وانتشر حب القراءة والإطلاع في العائلة كلها وحتى وصل هذا الحب للأحفاد وأبنائهم.

زوجي المهندس عبد الجليل جعفر الرمضان (أبو أيمن) من أشد المعجبين بالعم محمد (أبي سمير) والوالد المؤرخ جواد حسين الرمضان (أبي حسن) فهو تعلم منهم الجد والاجتهاد والالتزام والإخلاص في العمل و حب الكتب والقراءة فإذا جلس معهم يستمتع كثيرا بأحاديثهم الشيقة وكان دائما يحلم بكتب عن سيرة العم أبو سمير والوالد فهما شخصيتان متميزتان لهما دور كبير في حفظ تراث الأحساء وتاريخ المنطقة العريق ولهما بصمة رائعة في قلوب الجميع والحمد لله تحقق هذا الحلم فالشكر الجزيل والامتنان العظيم للأستاذ سلمان الحجي على جهوده الجبارة وعمله الدؤوب في كتابة وطبع ونشر كتاب آمالى الرمضان بقلم سلمان الذي سجل فيه أكثر من خمسين جلسة مع الوالد تحدث فيها عن حياته ورحلاته والشخصيات المهمة والعلماء الذين قابلهم في حياته والأحداث التي عاصرها وجهوده الجبارة في جمع وحفظ تاريخ وتراث المنطقة حقا كتاب معرفي رائع يجعلك تعيش في عبق التاريخ القريب من عصرنا، والآن لدينا كتاب (غيض من فيض) الشيق والمتميز عن حياة وسيرة الأديب والشاعر المبدع العم محمد حسين الرمضان (أبي سمير) والذي يأخذنا في رحلة رائعة لنحلق عبر التاريخ ونعيش الماضي الجميل والبسيط بكل تفاصيله الشيقة والممتعة وكأننا نشاهد الماضي في فلم وثائقي أمام أعيننا فبارك اللّه فيه وفي جهوده وعطائه وجزاه اللّه خيراً على تحقيق أحلامنا وأحلام عشيرة الرمضان والمجتمع.

وفي نهاية هذا الموضوع لا يسعني إلا تقديم الشكر الجزيل والامتنان العظيم لكل من دعم كتاب « غيض من فيض » وساعد في مراجعته وتنقيحه وطباعته ليري النور ويكون بهذا المستوى الراقي والمتميز وعلى الخصوص الوالد المؤرخ جواد حسين الرمضان، والوجيه المهندس مهدي ياسين الرمضان، وابنه البار الأستاذ سمير محمد الرمضان، والأستاذ حسين جواد الرمضان، والأستاذ عمران موسى الرمضان، والأستاذ محمد موسى الرمضان، فبارك اللَّه فيهم وفي جهودهم، وجزاهم اللَّه خيراً على هذا الإنجاز الرائع وان شاء اللَّه في ميزان حسناتهم.

وأقدم شكري وامتناني أيضا لزوجة الأستاذ سلمان الحجي أم محمد ولزوجة العم أم سمير والوالدة أم حسن وابنة العم أم ياسين مهدي الرمضان حفظهن اللَّه وأمدهن بالقوة والصحة والعافية فلولا اللَّه ثم صبرهن وتضحياتهن ودعمهن لأزواجهن وتوفير الجو المناسب لهم للكتابة والإبداع لما تحققت لهم تلك الإنجازات العظيمة والمقالات والقصائد والكتب المتميزة الشيقة التي حفظت لنا تراثنا الجميل وتاريخنا العريق فبارك اللَّه فيهن وجزاهن اللَّه خيراً فحقا وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة، فكتابة الكتب تستغرق الوقت الطويل والجهد العظيم والمال الكثير ولولا دعمهن وتشجيعهن وصبرهن على انشغال أزواجهن وتضحيتهن في سبيل نجاح أزواجهن لما رأت كتبهم ومقالاتهم وإبداعاتهم النور فهنيئا للأحساء شخصيات عظيمات شامخات كأمثال العم والوالد والأستاذ سلمان والمهندس مهدي وزوجاتهم الرائعات فهكذا هم أهل الأحساء أهل الحب والإيثار والسلام والتواضع والخير والعطاء والثقافة والكرم.

الأستاذة: وفاء جواد الرمضان

الخاتمة

وإلى هنا انتهت رحلتنا مع المؤرخ الأديب محمد بن حسين الرمضان؛ حيث كانت رحلة شيقة وممتعة؛ إذ كانت منفتحة على الكثير من الآفاق التاريخية التي كان غيرُ واحدٍ من الباحثين يجهلها فضلاً عن جهله بتفاصيلها، وفضلاً عن غيابها على الكثير من القرَّاء الأعزاء.

وهذا الانفتاح على تلك الآفاق التاريخية وإن كان منطلقاً من جلسات متعددة مع شاعرنا الكبير الرمضان في منزله العامر الكائن بمدينة الدمام إلا أننا ومن خلالها استطعنا بما استقيناه منه من المعلومات التاريخية المختزنة في ذاكرته الرحبة تكوين صورٍ متكاملةٍ عن بعض الأحداث التاريخية الغابرة التي وصلت إلينا مشافهةً حيناً وكتابةً آخر وقد كان وصولها محفوفاً بالغموض تارةً وبالتشويش تارة أخرى.

ومن الطبيعي جداً أن ينبري من لا يرى قيمة للتاريخ الشفهي مطلقاً للتقليل من جهودنا في وضع هذا الكتاب؛ إلا أن هذا الإقصاء للتاريخ الشفهي والتقليل من حجمه بشكل مطلق لا موضوعية فيه فرُبَّ ملفوظٍ جاء بالصدق والحق بأعلى درجاته، ولرُبَّ مكتوبٍ جاء بالزور والكذب بأعلى درجاته؛ ومن هنا فالمعيار في القبول والرفض هو مطابقة المنقول لفظاً أو كتابةً للواقع من عدمها على

مستوى الأحداث، أو على الأقل احترام الرأي على مستوى التحليل للأحداث، فإذا عرفنا ذلك فليس من السليم تجاهل تدوين وتوثيق الأحداث والتحليلات التاريخية وحرمان الأجيال اللاحقة من منقولات أهل الدراية أو الاهتمام من الأجيال السابقة بحجة هذا الحكم العام والمسبق على التاريخ الشفهي.

وهذا هو ملخَّص عملنا في هذا الكتاب حيث نقلنا الأحداث التاريخية أو الكثير منها عن شخص أديبنا المؤرخ الحاج محمد بن حسين الرمضان الذي عايشها بنفسه أو اعتمد في نقلها على من يحظى بالوثاقة عنده، وكذلك قمنا باستجلاء وجهة نظره والوقوف على تحليله لبعض الأحداث التاريخية التي نحسب أن له باعاً لا بأس بطوله في مناقشتها.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنه لا ربط بين ورود حدثٍ أو تحليل تاريخيين بين دفتيِّ هذا الكتاب وبين موافقة الكاتب على ذلك الحدث التاريخي بالصورة التي نُقل بها، أوتبنِّي الكاتب لكامل ذلك التحليل التاريخي أو لبعض فصوله.

ومن باب من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق لا يفوتني تكرار تقديم الشكر إلى مؤرخنا الكبير الأديب محمد بن حسين الرمضان على تفاعله واستجابته لطلبنا، وإلى المؤرخ القدير جواد بن حسين الرمضان على تأييده ومراجعته لبعض ما رصد في هذا الكتاب، وإلى الأستاذ خالد النزر على مراجعته الأولية للكتاب، وإلى الأستاذ حسين بن جواد الرمضان على متابعته الدقيقة أولاً بأول لأهم ما رصد تاريخياً في كتابنا، وإلى المتعاونين معنا في تنسيق تلك اللقاءات والجلسات مع أبي سمير المؤرخ القدير محمد بن حسين الرمضان، ومنهم الأستاذ محمد بن موسى الرمضان، والأستاذ علي المحمدعلي.

وأشكر الأخ الشيخ محمد بن علي الحرز لتفضِّله بكتابة التقديم.

وأتقدم بالشكر الجزيل لمن بذلوا جهودهم في مراجعة الكتاب من الأساتذة، وأخص بالذكر: الأستاذ يوسف بن عبد اللَّه البو قرين، والأستاذ عيسى آل ربح.

والشكر موصولٌ كذلك للأستاذ حيدر بن جمعة السنيني لتدقيقه العام على ما قمتُ بتدوينه وإيراده في هذا الكتاب.

أتمنى أن أكون قد وفقت في تقديم ما فيه الفائدة والنفع للباحثين خصوصاً، والقرَّاء عموماً، وأعتذر عن أي تقصير.

وأُرحب بكافة الّملاحظات البناءة، والمقترحات القيمة من خلال إرسالها على البريد الإلكتروني التالي: salheji@yahoo.com

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللَّه على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

سلمان بن حسين الحجي
١٤٣٦/٧/١٣هـ

الفهرس

تقديم..... ٧
مقدمة ١١
مرحلة الطفولة ١٦
والدتي..... ١٧
مدرسة القرآن الكريم..... ١٧
تعليم القرآن الكريم ١٨
معلمو القرآن الكريم ١٩
تعلم القراءة والكتابة ٢٠
أهمية المنبر الحسيني ٢٠
تأثري بالمنبر الحسيني ٢٠
الالتحاق بالمدارس الحكومية ٢١
بداية الدراسة في البحرين ٢١
الدراسة بالنجف الأشرف ٢٢
المدرسة الأولى بالأحساء..... ٢٣
وجهة نظر..... ٢٤
موقف..... ٢٤
مدارس البنين ٢٥
مدارس البنات ٢٥

بداية الحراك الثقافي..... ٢٦
الحاجة فاطمة بنت الملا علي الرمضان..... ٢٦
المطالعة ٢٧
طموح والدي ٢٧
دراسة اللغة العربية ٢٨
موقف في الخياطة ٢٩
المدرسة الجعفرية ٢٩
الاتهام بالانفتاح..... ٣٠
توسع انتشار المجلات ٣٠
تنمية القراءة (١٣٥٦-١٣٥٧هـ) ٣١
جامع آل أبي خمسين..... ٣١
جبل القارة ٣٢
مسجد الرقيات..... ٣٢
خلاصة القول..... ٣٢
١٣٥٦هـ..... ٣٣
الملك عبد العزيز ٣٣
أول ديوان..... ٣٤
الراديو في الأحساء..... ٣٤
الفقر ٣٦
١٣٥٣هـ..... ٣٧
١٣٦٣هـ..... ٣٨
الكاظمية ٤٤
المعيشة بالعراق..... ٤٧
زيارة المراقد الشريفة..... ٤٧
١٣٧٣هـ..... ٤٧
١٣٧٦هـ..... ٤٨

أول قصيدة ٤٩
أول مشاركة في الإلقاء ٤٩
العلاقات بين الاتجاهات الفكرية الشيعية..... ٤٩
أفرقة (فرجان) الهفوف القديمة..... ٥٢
فريق الرقيات..... ٥٦
الجحاحفة ٥٧
سكة العجم ٥٨
فريق النعاثل..... ٥٨
الرفعة ٥٩
فريق الفوارس..... ٥٩
سكة الحداديد..... ٦١
فريق الشهارنة ٦١
القصير ٦١
فداغم..... ٦١
السدرة..... ٦٢
الحلة..... ٦٢
فريق الرفعة الشمالية ٦٢
ساباط القريني..... ٦٦
ممر رسيول ٦٧
وجهة نظركم..... ٦٨
بين الموضوعية والأعراف ٦٨
براحة ٦٩
براحة زكي ٦٩
السكة..... ٧٠
لويلوة الشوفعي ٧٠
دروازة الخميس..... ٧٠

دروازة الخباز ٧١
دروازة الكوت..... ٧١
دروازة الشمالية ٧٢
دروازة الهدام ٧٢
دروازة الصالحية ٧٣
عام ١٣٦٠هـ..... ٧٣
الخر ٧٣
مدينة العمران ٧٥
سنة ١٢١٠هـ ٧٥
عيون المياه..... ٧٦
سنة ١٣٧٠هـ ٧٧
سنة الطبعة ٧٧
يوم القرش ٧٧
أسرة القطان..... ٧٨
الأطباء ٧٨
كتاب أمالي الرمضان بقلم سلمان ٨٠
الفرق بين الأديب والمثقف ٨١
الحاج محمد بن عبد اللَّه الخرس..... ٨١
الملا محمد بن الملا علي الرمضان ٨٢
الحاج علي بن عبد اللَّه آل أبي خمسين ٨٣
الحاج عبد المحسن بن محمد الغلام..... ٨٣
الحاج موسى القضيب ٨٥
مسألة الأنساب..... ٨٥
تجربتي في الأنساب..... ٨٩
الحمض النووي..... ٨٩
العادات والتقاليد في الزواج..... ٩٠

الحديث عن الماضي ٩٣
التاريخ الشفهي ٩٤
نصائح للكتّاب ٩٥
التوجه للكتابة ٩٦
كتاب ألف ليلة وليلة ٩٨
كتاب هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف ٩٨
كتاب رباعيات الخيام ٩٩
كتاب المائدة ١٠٠
كتاب أمثال وأقوال ١٠١
التأليف ١٠١
مكتبة التعاون الثقافية ١٠٢
أفضل كتاب ١٠٣
طموحات ١٠٣
القدوة ١٠٣
الشباب ١٠٣
الشعراء المحليون ١٠٣
تجربتي الأدبية في البحرين ١٠٤
مكتبة التاجر ١٠٥
أبرز الملامح الإيجابية في البحرين ١٠٦
أسباب انتعاش الخياطة في البحرين ١٠٨
الحراك الثقافي في الأحساء ١٠٩
قلة الكتب ١٠٩
الوضع الاقتصادي في العراق ١٠٩
الوضع الاقتصادي في سوريا ١١٠
ملجأ الأطفال ١١٠
موقف في سوريا ١١٠

تجربتي الأدبية في سوريا ١١١
المذاهب الإسلامية ١١٣
أثر المعيشة على الثقافة..... ١١٤
مجلس الخياطة ١١٤
السفر إلى مصر..... ١١٦
كتاب تحفة المستفيد ١١٦
موقف..... ١١٩
شراء الكتب بمصر ١١٩
الوضع السياسي في الدول ١٢٠
تأثري بالشعر النجفي..... ١٢١
الخياطة في الأحساء ١٢١
العلاقة بين الخياطين والصاغة ١٢٢
لبس البشت ١٢٣
أسماء أدوات الخياطة ١٢٤
الاسماعيلية ١٢٥
الخياطة ١٢٦
لهجات مختلفة ١٢٧
تجربتي المهنية..... ١٢٨
أسر المخايطة في الفوارس..... ١٣١
مهنة الصاغة..... ١٣٢
الإقامة في الدمام..... ١٣٢
اختيار الدمام..... ١٣٢
تجربة العمل التجاري بالدمام ١٣٣
محل السكن بالدمام..... ١٣٦
سنة الحج ١٣٧
تعاقب الحكم في المنطقة ١٣٨

أسرة البوحليقة ١٣٩
كتاب جليس السمراء وسمير الجلساء ١٣٩
دور العمد..... ١٤٠
العلاقة بين الشيعة والسنة..... ١٤٢
العقال..... ١٤٢
الحياكة..... ١٤٣
الشاوي ١٤٥
قدسية المشائخ..... ١٤٥
الزراعة..... ١٤٦
المقايضة..... ١٤٦
الجهاد ١٤٦
أسباب الهجرة ١٤٧
النواطير ١٤٩
جلسة المزارعين ١٤٩
أساتذة البناء..... ١٥٠
صيد الجراد ١٥٠
الشخصيات النسائية البارزة في المجتمع الأحسائي..... ١٥١
المطوعات..... ١٥١
شراء احتياجات البيت..... ١٥٢
عيون السباحة ١٥٢
الميت..... ١٥٣
هجرة البصرة..... ١٥٤
دخول الملك عبد العزيز ١٥٥
الشيخ محمد بن أبي جمهور ١٥٥
الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي..... ١٥٦
السيد ناصر بن السيد هاشم السلمان..... ١٥٩

الشيخ حبيب بن الشيخ صالح القرين ١٦٠
الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ١٦٢
الميرزا علي بن الميرزا موسى الإسكوئي ١٦٢
السيد محمد علي بن السيد حسين العلي..... ١٦٥
الشيخ محمد بن سلمان الهاجري ١٧٠
الشيخ حسين الشواف ١٧٠
الملا علي بن فايز الحجي ١٧١
الشيخ عبد الهادي الفضلي ١٧٣
السيد علي بن السيد ناصر السلمان ١٧٤
الشيخ باقر بن الشيخ موسى آل أبي خمسين ١٧٤
الشيخ عبد الوهاب بن سعود الغريري ١٧٤
الشيخ أحمد البغلي ١٧٥
الشيخ كاظم المطر ١٧٥
الشيخ كاظم الصحاف..... ١٧٦
الشيخ أحمد الوايل..... ١٧٦
الشيخ أحمد بن إبراهيم آل أبي علي ١٧٧
السيد عبد الحسين بن السيد أحمد الشخص..... ١٧٧
الشيخ علي بن الشيخ موسى آل أبي خمسين..... ١٧٨
الجد الشهيد الشيخ محمد الرمضان ١٧٨
الجد الشهيد الشيخ علي الرمضان ١٧٩
الملا علي الرمضان ١٧٩
الملا موسى الرمضان ١٧٩
الشاعر الحاج ياسين الرمضان..... ١٨٠
الحاج منصور بن علي الرمضان ١٨١
الشاعر علي الرمضان..... ١٨٢
الملا عيسى بن علي بن محمد الرمضان ١٨٢

الأديب جواد بن حسين الرمضان ١٨٢
الحاج حسين بن ناصر الخرس ١٨٣
الملا طاهر البحراني ١٨٣
الحاج طاهر بو حليقة ١٨٤
الشيخ أحمد بو حليقة ١٨٤
الحاج عبد اللّه بو حليقة ١٨٤
الحاج محمد طاهر النمر ١٨٥
الشيخ أحمد الخليفة ١٨٥
الحاج محمد علي المرزوق ١٨٥
الحاج علي بن علي الغريب ١٨٦
الحاج حسن العطية ١٨٧
نماذج من شعر شاعرنا الشهيد الثاني الشيخ علي الرمضان ١٨٧
كلمة للباحث خالد النزر ١٩٢
كلمة للأستاذة وفاء بنت جواد الرمضان..... ١٩٦
الخاتمة..... ٢٠١
الفهرس ٢٠٥